



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغفلة



الرأيا  
عليكم يا صابغين

www. **Ghaemiyeh** .com  
www. **Ghaemiyeh** .org  
www. **Ghaemiyeh** .net  
www. **Ghaemiyeh** .ir

# شرح التلخيص

لابن أبي الحديد

بتحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

(٩)

دار الفکر للطباعة والنشر  
بيبي الباي ايجلبي وسيسركاه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# شرح نهج البلاغه ابن ابى الحديد

كاتب:

ابن ابى الحديد معتزلى

نشرت فى الطباعة:

كتابخانه آيت الله مرعشى نجفى - قم

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريريات الكمبيوترية

## الفهرس

|    |   |
|----|---|
| ٥  | الفهرس  |
| ٨  | شرح نهج البلاغه المجلد ١٧   |
| ٨  | اشاره   |
| ١٠ | اشاره   |
| ١٢ | تتمه أبواب الكتب و الرسائل  |
| ١٢ | اشاره   |
| ١٢ | ٤٦ و من كتاب له ع إلى بعض عماله   |
| ١٤ | ٤٧ و من وصيه له ع للحسن و الحسين ع لما ضربه ابن ملجم لعنه الله            |
| ١٤ | اشاره   |
| ١٧ | فصل في الآثار الواردة في حقوق الجار                                       |
| ٢٢ | ٤٨ و من كتاب له ع إلى معاويه  |
| ٢٤ | ٤٩ و من كتاب له ع إلى معاويه أيضا   |
| ٢٦ | ٥٠ و من كتاب له ع إلى أمراءه على الجيوش                                   |
| ٢٩ | ٥١ و من كتاب له ع إلى عماله على الخراج                                    |
| ٣٢ | ٥٢ و من كتاب له ع إلى أمراء البلاد في معنى الصلاة                         |
| ٣٢ | اشاره   |
| ٣٢ | بيان اختلاف الفقهاء في أوقات الصلاة                                       |
| ٤٠ | ٥٣ و من كتاب له ع كتبه للأشتر النخعي رحمه الله لما ولاه على مصر و أعمالها |
| ٤٠ | اشاره   |
| ٤٧ | فصل في النهي عن ذكر عيوب الناس و ما ورد في ذلك من الآثار                  |
| ٤٩ | فصل في النهي عن سماع السعاه و ما ورد في ذلك من الآثار                     |
| ٦٥ | رساله الإسكندر إلى أرسطو و رد أرسطو عليه                                  |
| ٧١ | فصل في القضاء و ما يلزمهم و ذكر بعض نوادرهم                               |
| ٨٤ | عهد سابور بن أردشير لابنه   |

|     |   |
|-----|---|
| ٨٦  | فصل فيما يجب على مصاحب الملك  |
| ٨٩  | فصل في الكتاب و ما يلزمهم من الآداب                                       |
| ٩٠  | فصل في ذكر ما نصحت به الأوائل الوزراء                                     |
| ١٠١ | ذكر الحجاب و ما ورد فيه من الخير و الشعر                                  |
| ١٠٨ | طرف من أخبار عمر بن عبد العزيز و نزاهته في خلافته                         |
| ١١٩ | فصل فيما جاء في الحذر من كيد العدو  |
| ١٢٨ | [فصل في ذكر بعض وصايا العرب ]   |
| ١٤١ | ٥٤ و من كتاب له ع إلى طلحه و الزبير                                       |
| ١٤١ | اشاره   |
| ١٤٢ | [عمران بن الحصين ]  |
| ١٤٢ | [أبو جعفر الإسكافي ]  |
| ١٤٥ | ٥٥ و من كتاب له ع إلى معاوية  |
| ١٤٨ | ٥٦ و من كلام له ع وصى به شريح بن هانئ لما جعله على مقدمته إلى الشام       |
| ١٤٨ | اشاره   |
| ١٤٨ | [شريح بن هانئ ]   |
| ١٥٠ | ٥٧ و من كتاب له ع إلى أهل الكوفه عند مسيره من المدينه إلى البصره          |
| ١٥١ | ٥٨ و من كتاب له ع كتبه إلى أهل الأمصار يقص فيه ما جرى بينه و بين أهل صفين |
| ١٥٥ | ٥٩ و من كتاب له ع إلى الأسود بن قطبه صاحب جند حلوان                       |
| ١٥٥ | اشاره   |
| ١٥٥ | [الأسود بن قطبه ]   |
| ١٥٧ | ٦٠ و من كتاب له ع إلى العمال الذين يطأ عملهم الجيوش                       |
| ١٥٩ | ٦١ و من كتاب له ع إلى كميل بن زياد النخعي                                 |
| ١٥٩ | اشاره   |
| ١٥٩ | [كميل بن زياد و نسبه ]  |
| ١٦١ | ٦٢ و من كتاب له ع إلى أهل مصر مع مالك الأشتر رحمه الله لما ولاه إمارتها   |
| ١٦١ | اشاره   |

|     |   |
|-----|---|
| ١٦٤ | ..... [ذكر ما طعن به الشيعة في إمامه أبي بكر و الجواب عنها] |
| ١٦٤ | ..... اشاره   |
| ١٦٥ | ..... [الطعن الأول]   |
| ١٧٤ | ..... الطعن الثاني  |
| ١٧٨ | ..... الطعن الثالث  |
| ١٨٥ | ..... الطعن الرابع  |
| ٢٠٥ | ..... الطعن الخامس  |
| ٢١١ | ..... الطعن السادس  |
| ٢١٢ | ..... الطعن السابع  |
| ٢٢٤ | ..... الطعن الثامن  |
| ٢٢٩ | ..... الطعن التاسع  |
| ٢٣١ | ..... الطعن العاشر  |
| ٢٣٢ | ..... الطعن الحادى عشر                                      |
| ٢٣٢ | ..... الطعن الثانى عشر                                      |
| ٢٣٣ | ..... الطعن الثالث عشر                                      |
| ٢٣٤ | ..... الطعن الرابع عشر                                      |
| ٢٣٤ | ..... الطعن الخامس عشر                                      |
| ٢٣٧ | ..... [أخبار الوليد بن عقبه]                                |
| ٢٥٦ | ..... ٦٣ و من كتاب له ع إلى أبى موسى الأشعري                |
| ٢٦٠ | ..... ٦٤ و من كتاب له ع إلى معاويه جوابا [عن كتابه]         |
| ٢٦٠ | ..... اشاره   |
| ٢٦١ | ..... [كتاب معاويه إلى على]                                 |
| ٢٦٧ | ..... [ذكر الخبر عن فتح مكة]                                |
| ٢٩٥ | ..... فهرس الكتب  |
| ٢٩٧ | ..... فهرس الموضوعات  |
| ٣٠٠ | ..... تعريف مركز  |

شرح نهج البلاغه

شارح: ابن ابى الحديد، عبد الحميد بن هبه الله

گرداورنده: شريف الرضى، محمد بن حسين

نويسنده: على بن ابى طالب (عليه السلام)، امام اول

شماره بازيايى : ۵-۷۶۹۲

پديدآور : ابن ابى الحديد، عبد الحميد بن هبه الله، ۵۸۶ - ۶۵۵ ق.

عنوان قراردادى : نهج البلاغه. شرح

Nhjol-Balaghah. Commantries

عنوان و نام پديدآور : شرح نهج البلاغه [نسخه خطى] / ابن ابى الحديد

وضيقت كتابت : محمد طاهر ابن شيخ حسن على ۱۰۸۳-۱۰۸۴ ق.

مشخصات ظاهرى : ۳۴۵ گك [عكس ص ۶-۶۸۹]، ۳۰ سطر، اندازه سطرها: ۱۲۰×۲۴۰؛ راده گذارى؛ قطع: ۲۰۰×۳۴۰

آغاز ، انجام ، انجامه : آغاز: الجزء الرابع عشر من شرح ابن ابى الحديد على نهج البلاغه. بسمله. و منه الاستعانه و توفيق التتميم.

باب المختار من كتب امير المومنين على عليه السلم و رسائله الى ...

انجام:.... و من دخل ظفار حمر و النسخه التى بنى هذا الشرح على قصها اتم نسخه وجدتها بنهج البلاغه فانها مشتمله على

زيادات تخلو عنها اكثر النسخ... و يكف عنى عاديه الظالمين انه سميع مجيب و حسبنا الله وحده و صلواته على سيدنا محمد

النبي و اله و سلامه. اخر الجزء العشرين و تم به الكتاب و لله الحمد حمدا دائما لا انقضاء له و لا نفاذ.

انجامه: قد فرغ من تسويده فى ظهر يوم الثلاثاء غره شهر جمدى الاول سنه اربع و ثمانين و الف كتبه الفقير الحقيير ... ابن شيخ

حسن على محمد طاهر غفرالله تعالى له و لوالديه تمت.

يادداشت كلى : زبان: عربى

تاريخ تاليف: اول رجب ۶۴۴- صفر ۶۴۹ ق.



یادداشت مشخصات ظاهری: نوع و درجه خط: نسخ

نوع کاغذ: فرنگی نخودی

تزیینات متن: کتیبه منقوش به زر، سیاه، آبی، قرمز با عناوین زرین در آغاز هر جلد و خطوط اسلیمی به زر در کتیبه و بالای متن در ص: نخست، ۱۱۶، ۲۲۲، ۳۱۶، ۴۰۴، ۵۰۲، ۶۰۰. عناوین، علائم و خطوط بالای برخی عبارات به سرخی. جدول دور سطرها به زر و تحریر.

نوع و تزیینات جلد: کاغذ گل دار رنگی، مقوایی، اندرون کاغذ

خصوصیات سند موجود: توضیحات صحافی: صحافی مرمت شده است.

حواشی اوراق: اندکی حاشیه با نشان "صح، ق" دارد.

یادداشت تملک و سجع مهر: شکل و سجع مهر: مهر بیضی با نشان "محمدباقر"، دو مهر چهار گوش ناخوانا در بسیاری از اوراق در میان متن زده شده است.

توضیحات سند: نسخه بررسی شده. جداشدگی شیرازه، رطوبت، لکه، آفت زدگی، وصالی. بین فرازهای متفاوت، برگ های نانوشته و عناوین نانوشته دارد.

منابع، نمایه ها، چکیده ها: ملی ۸: ۷۵، ۱۵: ۱۱۱، ۴: ۳۶۰؛ الذریعه ۱۰: ۲۱۰، ۱۴: ۲۵۵؛ دایره المعارف بزرگ اسلامی ۲: ۶۲۰.

معرفی سند: شرح ابن ابی الحدید به دلایل متعددی اهمیت دارد اول تبصر شارح بر ادبیات عرب، تاریخ فقه و کلام؛ دیگر این که وی نخستین شارح غیر شیعی نهج البلاغه است. اهمیت دیگر این شرح در گزارش های مفصل تاریخی است شارح در تدوین این گزارش ها علاوه منابع مشهوری چون اغانی ابی الفرج اصفهانی، سیره ابن هشام و تاریخ طبری، از برخی منابع نادر استفاده کرده که امروزه از میان رفته یا در دسترس قرار ندارند. شارح در نقل حوادث تاریخی به گونه ای مبسوط عمل می کند که می توان تاریخ ابن ابی الحدید را از شرح نهج البلاغه وی به عنوان کتابی مستقل استخراج نمود هر چند در پاره ای موارد هم اشاره ای به حوادث تاریخی نمی کند. این شرح مورد نقد دانشمندان شیعی قرار گرفته از جمله نقد احمد بن طاوس با نام "الروح فی نقض ما برمه ابن ابی الحدید"، شیخ یوسف بحرانی با نام "سلاسل الحدید لتقید ابن ابی الحدید"، مصطفی بن محمد امین با نام "سلاسل الحدید فی رد ابن ابی الحدید"، شیخ علی بن حسن بلاذری بحرانی با نام "الرد علی ابن ابی الحدید"، شیخ عبدالنبی عراقی با نام "الشهاب العتید علی شرح ابن ابی الحدید"، شیخ طالب حیدر با نام "الرد علی ابن ابی الحدید". ابن ابی الحدید این اثر را در بیست جزء و به نام ابن علقمی وزیری تألیف کرد. او در پایان کتاب خود می نویسد تدوین این اثر چهار سال و هشت ماه طول کشید که برابر است با مدت خلافت حضرت علی علیه السلام. ترجمه های فارسی این شرح از جمله عبارتند از شمس الدین محمد بن مراد از دانشمندان عصر صفوی، ترجمه ای دیگر با نام "مظهر البینات؛ اثر نصرالله تراب بن فتح الله دزفولی؛ نسخه حاضر شامل: جلد: ۱۴: صفحه (۶-۱۰۹)، جلد ۱۵: (۱۱۶-۲۱۸)، جلد ۱۶: (۲۲۲-۳۱۳)،

جلد ۱۷: (۳۱۶-۴۰۰)، جلد ۱۸: (۴۰۴-۵۰۰)، جلد ۱۹: (۵۰۲-۵۹۷)، جلد ۲۰: (۶۰۰-۶۸۹). مطالب باعناوین الشرح ، الاصل بیان شده است. برای توضیح بیشتر به شماره بازیابی ۴۸۳۶-۵ در فهرست همین کتابخانه بنگرید.

شناسه افزوده : محمدطاهر بن حسن علی، قرن ۱۱ق.، کاتب

شناسه افزوده : عاطفی، فروشنده

دسترسی و محمول الکترونیکی : <http://dl.nlai.ir/UI/c412c51b-cfb8-4e09-942b-8cb6448242e2/Catalogue.aspx>

ص : ۱

**اشاره**



بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الواحد العدل (١)

٤٦ و من كتاب له ع إلى بعض عماله

أَمَا بَعْدُ فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسَدٍ تَظْهَرُ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ وَ أَقْمَعُ بِهِ نَخْوَةَ الأَثِيمِ وَ أَسُدُّ بِهِ لَهَاةَ الشَّعْرِ المَخُوفِ فَاسْتَعِنُ بِاللهِ عَلَى مَا أَهَمَّكَ وَ  
اخْلَطِ الشَّدَّةَ بِضَعْفٍ مِنَ اللِّينِ وَ ارْزُقْ مَا كَانَ الرِّفْقُ أَرْفَقَ وَ اعْتَرِّمْ بِالشَّدَّةِ حِينَ لَا تُغْنِي عَنْكَ إِلَّا الشَّدَّةُ وَ اخْفِضْ لِلرَّعِيَّةِ جَنَاحَكَ وَ  
ابْسِطْ لَهُمْ وَجْهَكَ وَ أَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ وَ آسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَ النَّظَرَةِ وَ الإِشَارَةِ وَ التَّحِيَّةِ حَتَّى لَا يَطْمَعَ العُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ وَ لَا  
يَتَأَسَّ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ وَ السَّلَامُ .

قد أخذ الشاعر معنى قوله و آس بينهم في اللحظة و النظره فقال

ص: ٣

(١ - ١) ا: «و به نستعين»، د: «و به ثقتي».

قوله و آس بينهم في اللحظه أى اجعلهم أسوه و روى و ساو بينهم في اللحظه و المعنى واحد .

و أستظهر به أجعله كالظهر.

و النخوه الكبرياء و الأثيم المخطئ المذنب.

و قوله و أسد به لهاه الثغر استعاره حسنه .

و الضغث في الأصل قبضه حشيش مختلط يابسها بشيء من الرطب و منه أضغاث الأحلام للرؤيا المختلطة التي لا يصح تأويلها فاستعار اللفظه هاهنا و المراد امزج (١) الشده بشيء من اللين (٢) فاجعلهما كالضغث و قال تعالى وَ خُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا (٣) .

قوله فاعتزم بالشده أى إذا جد بك الحد فدع اللين فإن في حال الشده لا تغنى إلا الشده قال الفند الزمانى فلما صرح الشر

قوله حتى لا يطمع العظماء فى حيفك أى حتى لا يطمع العظماء فى أن تماثلهم على حيف الضعفاء و قد تقدم مثل هذا فيما سبق

ص: ٤

١- ١) د: «مزج».

٢- ٢- ٢) ساقط من د.

٣- ٢- ٢) ساقط من د.

أَوْصِيَّكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَ أَلَا- تَبِعِيَا الدُّنْيَا وَ إِنِ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ شَيْءًا مِنْهَا زُورِي عَنْكُمْ وَ قُولَا بِالْحَقِّ وَ أَعْمَلَا لِلْأَجْرِ وَ كُونَا لِلظَّالِمِ حَصِيَّةً مَّا وَ لِلْمَظْلُومِ عَوْنًا أَوْصِيَّكُمْ بِكُلِّ عَمَلٍ وَ جَمِيعِ وَ لَمَدِي وَ أَهْلِي وَ مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي بِتَقْوَى اللَّهِ وَ نَظْمِ أَمْرِكُمْ وَ صِيْلَاحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ فَإِنِّي سَمِعْتُ خِدْمًا ص يَقُولُ صِيْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عِيَامِهِ الصَّلَاةِ وَ الصِّيَامِ اللَّهُ فِي الْإِيْتَامِ فَلَا- تُعْبُوا أَفْوَاهَهُمْ وَ لَا يَضِيْعُوا بِحَضْرَتِكُمْ وَ اللَّهُ اللَّهُ فِي جِيرَانِكُمْ فَإِنَّهُمْ وَصِيَّيْكُمْ مَا زَالَ يُوصِي بِيهِمْ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُورِّثُهُمْ وَ اللَّهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ لَا يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ وَ اللَّهُ اللَّهُ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ وَ اللَّهُ اللَّهُ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ لَا- تُخْلُوهُ مَا بَقِيْتُمْ فَإِنَّهُ إِنْ تَرِكَ لَمْ تَنَاطَرُوا وَ اللَّهُ اللَّهُ فِي الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ وَ أَلْسِنَتِكُمْ (١) فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ عَلَيْكُمْ بِالتَّوَاضُعِ وَ التَّبَادُلِ وَ إِيَّاكُمْ وَ التَّدَابُرِ وَ التَّقَاطُعِ لَا تَتْرُكُوا

الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَيَوَلِّي عَلَيْكُمْ [أَشْرَارُكُمْ]

شِرَارُكُمْ ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا- يُسْتَجَابُ لَكُمْ ثُمَّ قَالَ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُلْفِيَنَّكُمْ تَخُوضُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ خَوْضًا تَقُولُونَ قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ [قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ]

أَلَا لَا تَقْتُلَنَّ بِي إِلَّا قَاتِلِي أَنْظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ مِنْ ضَرْبَتِهِ هَذِهِ فَاضْرِبُوهُ ضَرْبَهُ بِضَرْبِهِ وَ لَا تُمَثِّلُوا بِالرَّجُلِ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ يَاكُمْ وَ الْمُثَلَّةَ وَ لَوْ بِالْكَلبِ الْعَقُورِ .

روى و اعملا للآخره و روى فلا تغيروا أفواهم يقول لا تطلبوا الدنيا و إن طلبتكما فإذا كان من تطلبه الدنيا منها عن طلبها فمن لا تطلبه يكون منها عن طلبها بالطريق الأولى.

ثم قال و لا تأسفا على شيء منها زوى عنكما أى قبض

٤٣٩١

قال رسول الله ص زويت لى الدنيا فأريت مشارقتها و مغاربها و سيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها.

و روى و لا تأسيا و كلاهما بمعنى واحد أى لا تحزنا و هذا من قوله تعالى لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ (١) .

ص: ٤

قوله صلاح ذات البين أخذه هذه اللفظه عبد الملك بن مروان فقال لبنيه و قد جمعوا عنده يوم موته انفوا الضغائن بينكم و عليكم

و ذات هاهنا زائده مقحمه .

قوله فلا تغبوا أفواههم أى لا تجيعوهم بأن تطعموهم غبا و من روى فلا تغيروا أفواههم فذاك لأن الجائع يتغير فمه

٤٣٩٢

قال ع

لخوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.

قال و لا يضيعوا بحضرتكم أى لا تضيعوهم فالنهي فى الظاهر للأيتام و فى المعنى للأوصياء و الأولياء و الظاهر أنه لا يعنى الأيتام الذين لهم مال تحت أيدى أوصيائهم لأن أولئك الأوصياء محرم عليهم أن يسيبوا من أموال اليتامى إلا القدر النزر جدا عند الضروره ثم يقضونه مع التمكن و من هذه حاله لا يحسن أن يقال له لا تغيروا أفواه أيتامكم و إنما الأظهر أنه يعنى الذين مات آباؤهم و هم فقراء يتعين مواساتهم و يقبح القعود عنهم كما قال تعالى وَ يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مَشَكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (١) و اليتيم فى الناس من قبل الأب و فى البهائم من قبل الأم لأن الآباء من البهائم لا عناية لهم بالأولاد بل العناية للأم لأنها المرضعه المشفقه و أما الناس فإن الأب هو الكافل القيم بنفقه الولد فإذا مات وصل الضرر إليه لفقد كافله و الأم بمعزل عن ذلك و جمع يتيم على أيتام كما قالوا شريف و أشراف و حكى أبو على فى التكملة كميء و أكماء و لا يسمى الصبى يتيماً إلا إذا

ص: ٧



كان دون البلوغ و إذا بلغ زال اسم اليتيم (١) عنه و اليتامى أحد الأصناف الذين عينوا فى الخمس بنص الكتاب العزيز

### فصل فى الآثار الواردة فى حقوق الجار

ثم أوصى بالجيران و اللفظ الذى ذكره ع

٤٣٩٣

قد ورد مرفوعا فى روايه عبد الله بن عمر لما ذبح شاه فقال أهديتم لجارنا اليهودى فإنى سمعت رسول الله ص يقول ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه.

٤٣٩٤

و فى الحديث أنه ص قال

مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمِ جَارَهُ.

٤٣٩٥

و عنه ع جار السوء فى دار المقامه قاصمه الظهر.

٤٣٩٦

و عنه ع من جهد البلاء جار سوء معك فى دار مقامه إن رأى حسنه دفنها و إن رأى سيئه أذاعها و أفشاها.

٤٣٩٧

و من أدعتهم

اللهم إنى أعوذ بك من مال يكون على فتنه و من ولد يكون على كلا و من حليله تقرب الشيب و من جار ترانى عيناه و ترعانى أذناه إن رأى خيرا دفنه و إن سمع شرا طار به .

٤٣٩٨

ابن مسعود يرفعه و الذى نفسى بيده لا يسلم العبد حتى يسلم قلبه و لسانه و يأمن جاره بوائقه قالوا ما بوائقه قال غشمه و ظلمه.

٤٣٩٩

لقمان

يا بنى حملت الحجارة و الحديد فلم أر شيئا أثقل من جار السوء.

و أنشدوا ألا من يشتري دارا برخص كراهه بعض جيرتها تباع.

و قال الأصمعي جاور أهل الشام الروم فأخذوا عنهم خصلتين اللؤم و قله الغيره

ص: ٨

---

(١ - ١) ا: «اليتيم».

و جاور أهل البصره الخزر فأخذوا عنهم خصلتين الزناء و قله الوفاء و جاور أهل الكوفه السواد فأخذوا عنهم خصلتين السخاء و الغيره.

و كان يقال من تناول على جاره حرم برکه داره.

و كان يقال من آذى جاره ورثه الله داره.

باع أبو الجهم العدوى داره و كان فى جوار سعيد بن العاص بمائه ألف درهم فلما أحضرها المشتري قال له هذا ثمن الدار فأعطني ثمن الجوار قال أى جوار قال جوار سعيد بن العاص قال و هل اشترى أحد جوارا قط فقال رد على دارى و خذ مالك لا أدع جوار رجل إن قعدت سأل عنى و إن رآنى رحب بى و إن غبت عنه حفظنى و إن شهدت عنده قربنى و إن سألته قضى حاجتى و إن لم أسأله بدأنى و إن نابتنى نائبه فرج عنى فبلغ ذلك سعيدا فبعث إليه مائه ألف درهم و قال هذا ثمن دارك و دارك لك.

الحسن ليس حسن الجوار كف الأذى و لكن حسن الجوار الصبر على الأذى.

جاءت امرأه إلى الحسن فشكت إليه الخله (1) و قالت أنا جارتك قال كم بينى و بينك قالت سبع أدور فنظر الحسن فإذا تحت فراشه سبعة دراهم فأعطاها إياها و قال كدنا نهلك.

و كان كعب بن مامه إذا جاوره رجل قام له بما يصلحه و حماه ممن يقصده و إن هلك له شىء أخلفه عليه و إن مات وداه لأهله فجاوره أبو دواد الإيادى فزاره على العاده فبالغ فى إكرامه و كانت العرب إذا حمدت جارا قالت جار كجار أبى دواد قال قيس بن زهير

ص: ٩

أطوف ما أطوف ثم آوى

إلى جار كجار أبي دواد (١).

ثم تعلم منه أبو دواد و كان يفعل لجاره فعل كعب به.

وقال مسكين الدارمي ما ضر جاراً لي أجوره

استعرض أبو مسلم صاحب الدوله فرسا محضيرا (٢) فقال لأصحابه لما ذا يصلح هذا فذكروا سباق الخيل و صيد الحمر و النعام و اتباع الفار من الحرب فقال لم تصنعوا شيئاً يصلح للفرار من الجار السوء.

سأل سليمان على بن خالد بن صفوان عن ابنه محمد و سليمان و كانا جاريه فقال كيف إحمادك جوارهما فتمثل بقول يزيد بن مفرغ الحميري سقى الله داراً لي و أرضاً تركتها

و

٤٤٠٠

فى الحديث المرفوع أيضاً من روايه جابر الجيران ثلاثة فجار له حق و جار له حقان و جار له ثلاثة حقوق فصاحب الحق الواحد جار مشرك لا رحم له فحقه

ص: ١٠

---

١-١) المضاف و المنسوب ١:١٠٠.

٢-٢) الأولان فى أمالى المرتضى ٤٤،٤٣١.

حق الجوار و صاحب الحقين جار مسلم لا-رحم له و صاحب الثلاثة جار مسلم ذو رحم و أدنى حق الجوار ألا تؤذى جارك  
بقتار قدرك إلا أن تقتدح له منها.

قلت تقتدح تغترف و المقدحه المغرفه.

و كان يقال الجيران خمسه الجار الضار السيئ الجوار و الجار الدمس الحسن الجوار و الجار اليربوعى المنافق و الجار البراقشى  
المتلون فى أفعاله و الجار الحسدلى (١) الذى عينه تراك و قلبه يرعاك.

٤٤٠١

و روى أبو هريره كان رسول الله ص يقول

اللهم إنى أعوذ بك من جار السوء فى دار المقامه فإن دار الباديه تتحول .

قوله ع الله الله فى القرآن أمرهما بالمسارعه إلى العمل به و نهاها أن يسبقهما غيرهما إلى ذلك ثم أمرهما بالصلاه و الحج.

و شدد الوصاه فى الحج فقال فإنه إن ترك لم تناظروا أى يتعجل الانتقام منكم .

فأما المثله فمئهى عنها

٤٤٠٢

١٤- أمر رسول الله ص أن يمثل بهبار بن الأسود لأنه روع زينب حتى أجهضت ثم نهى عن ذلك و قال لا مثله المثله حرام .

ص: ١١

---

(١-١) الحسدلى:منسوب إلى الحسدل؛و هو القراد.

فَإِنَّ الْبُغْيَ وَالزُّورَ يُوتِغَانِ الْمَرْءَ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ وَيُبْدِيَانِ خَلْلَهُ عِنْدَ مَنْ يَعْيبُهُ وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ غَيْرُ مُدْرِكٍ مَا قُضِيَ فَوَاتُهُ وَقَدْ رَامَ  
أَقْوَامٌ أَمْرًا بِغَيْرِ الْحَقِّ فَتَأَلَّوْا عَلَى اللَّهِ فَأَكْذَبَهُمْ فَأَحْذَرُ يَوْمًا يَغْتَبِطُ فِيهِ مَنْ أَحْمَدَ عَاقِبَةَ عَمَلِهِ وَيَنْدَمُ مَنْ أَمَكَّنَ الشَّيْطَانَ مِنْ قِيَادِهِ فَلَمْ  
يُجَادِبْهُ وَقَدْ دَعَوْتَنَا إِلَى حُكْمِ الْقُرْآنِ وَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَ لَسْنَا إِيَّاكَ أَجْبِنَا وَ لَكِنَّا أَجْبِنَا الْقُرْآنَ فِي حُكْمِهِ وَ السَّلَامِ .

يوتغان

يهلكان و الوتغ بالتحريك الهلاك و قد وتغ يوتغ وتغا أى أثم و هلك و أوتغه الله أهلكه الله و أوتغ فلان دينه بالإثم.

قوله فتألوا على الله أى حلفوا من الأليه و هى اليمين

٤٤٠٣

و فى الحديث من تألى على الله أكذبه الله.

و معناه من أقسم تجبرا و اقتدارا لأفعلن كذا أكذبه الله و لم يبلغ أمله.

و قد روى تأولوا على الله أى حرفوا الكلم عن مواضعه و تعلقوا بشبهه فى تأويل القرآن انتصارا لمذاهبهم و آرائهم فأكذبهم الله  
بأن أظهر للعقلاء فساد تأويلاتهم و الأول أصح .

ص: ١٢

و يغتبط فيه يفرح و يسر و الغبطه السرور روى يغبط فيه أى يتمنى مثل حاله هذه.

قوله و يندم من أمكن الشيطان من قياده فلم يجاذبه الياء التى هى حرف المضارعه عائده على المكلف الذى أمكن الشيطان من قياده يقول إذا لم يجاذب الشيطان من قياده فإنه يندم فأما من جاذبه قياده فقد قام بما عليه .

و مثله قوله و لسنا إياك أجبنا قوله و الله ما حكمت مخلوقا و إنما حكمت القرآن و معنى مخلوقا بشرا لا محدثا

ص: ١٣

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَشْغَلَةٌ عَنْ غَيْرِهَا وَ لَمْ يُصَبَّ صَاحِبُهَا مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا فَتَحَتْ لَهُ حِرْصًا عَلَيْهَا وَ لَهَجًا بِهَا وَ لَنْ يَسْتَتَغْنَى صَاحِبُهَا بِمَا نَالَ فِيهَا عَمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ مِنْهَا وَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ فِرَاقُ مَا جَمَعَ وَ نَقْضُ مَا أُبْرِمَ وَ لَوْ اعْتَبِرْتَ بِمَا مَضَى حَفِظْتَ مَا بَقِيَ وَ السَّلَامُ .

هذا كما قيل في المثل صاحب الدنيا كشارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا و الأصل في هذا قول الله تعالى لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا و لا يملأ عين ابن آدم إلا التراب و هذا من القرآن الذي رفع و نسخت تلاوته.

و قد ذكر نصر بن مزاحم هذا الكتاب

٤٤٠٤

١- و قال إن أمير المؤمنين ع كتبه إلى عمرو بن العاص و زاد فيه زياده لم يذكرها الرضى أما بعد فإن الدنيا مشغله عن الآخرة و صاحبها منهم (١) عليها لم يصب شيئا منها قط إلا فتحت عليه حرصا و أدخلت عليه مثونه (٢) تزيده رغبة فيها

ص: ١٤

١-١ صفين: «مقهور فيها».

٢-٢ صفين: «مثونه».



و لن يستغنى صاحبها بما نال عما لم يدرك و من وراء ذلك فراق ما جمع و السعيد من وعظ بغيره فلا تحبط أجرك أبا عبد الله (١) و لا تشرك معاويه فى باطله (٢) فإن معاويه غمص الناس و سفه الحق (٣) و السلام (٤) .

قال نصر و هذا أول كتاب كتبه على ع إلى عمرو بن العاص فكتب إليه عمرو جوابه أما بعد فإن الذى فيه صلاحنا و ألفه ذات بينا أن تيب إلى الحق (٥) و أن تجيب إلى (٦) ما ندعوكم إليه من الشورى (٧) فصبر الرجل منا نفسه على الحق و عذره الناس بالمحازره و السلام (٨) .

قال نصر فكتب على ع إلى عمرو بن العاص بعد ذلك كتابا غليظا.

و هو الذى ضرب مثله فيه بالكلب يتبع الرجل و هو مذكور فى نهج البلاغه و اللهج الحرص .

و معنى قوله ع لو اعتبرت بما مضى حفظت ما بقى أى لو اعتبرت بما مضى من عمرك لحفظت باقيه أن تنفقه فى الضلال و طلب الدنيا و تضييعه

ص: ١٥

١-١-١ (١-١) صفين: «و لا تجارين معاويه فى باطله».

١-١-٢ (١-١) صفين: «و لا تجارين معاويه فى باطله».

٣-٣ (٣) صفين ١٢٤.

٤-٤ (٤) تيب إلى لحق: ترجع.

٥-٥-٥ (٥-٥) صفين: «أن نجيب إلى ما تدعون إليه من شورى».

٦-٦ (٦) صفين ١٢٣.

٦-٧ (٦) صفين ١٢٣.

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رَفَعَهُ إِلَى أَصْحَابِ الْمَسَالِحِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ حَقًّا عَلَى الْوَالِي أَلَّا يُغَيِّرَهُ عَلَى رِعْيَتِهِ فَضَّلْ نَالَهُ وَلَا طَوْلَ خُصِّ بِهِ وَأَنْ يَزِيدَهُ مِمَّا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ مِنْ نِعْمِهِ دُنُوًّا مِنْ عِيَادِهِ وَعَطْفًا عَلَى إِخْوَانِهِ أَلَّا- وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدِي أَلَّا أُخْتَجِرَ دُونَكُمْ سِرًّا إِلَّا فِي حَرْبٍ وَلَا أَطْوَى دُونَكُمْ أَمْرًا إِلَّا فِي حُكْمٍ وَلَا أُؤَخَّرَ لَكُمْ حَقًّا عَنْ مَحَلِّهِ وَلَا أَقْفَ بِهِ دُونَ مَقْطَعِهِ وَأَنْ تَكُونُوا عِنْدِي فِي الْحَقِّ سَوَاءً فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ وَجِبْتُ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ النِّعْمَةَ وَ لِي عَلَيْكُمْ الطَّاعَةَ وَ أَلَّا تَنْكُصُوا عَنْ دَعْوِهِ وَلَا تَفَرُّطُوا فِي صَلَاحِ وَأَنْ تَخَوْضُوا وَالْغَمَرَاتِ إِلَى الْحَقِّ فَإِنَّ أَنْتُمْ لَمْ تَشِيتَقِيمُوا لِي عَلَى ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَهْيُونَ عَلَيَّ مِمَّنْ اعْوَجَّ مِنْكُمْ ثُمَّ أُعْظِمُ لَهُ الْعُقُوبَةَ وَلَا يَجِدُ عِنْدِي فِيهَا رُخْصَةً فَخُذُوا هَذَا مِنْ أَمْرَائِكُمْ وَأَعْطُوهُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مَا يُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ أَمْرَكُمْ وَالسَّلَامُ .

جماعات تكون بالثغر يحمون البيضة و المسلحه هي الثغر كالمـرغبه

٤٤٠٥

و في الحديث كان أدنى مسالـح فارس إلى العرب العذيب (١).

قال يجب على الوالى ألا- يتناول على الرعيه بولايتـه و ما خص به عليهم من الطول و هو الفضل و أن تكون تلك الزيادة التى أعطيتها سببا لزياده دنوه من الرعيه و حنوه عليهم .

ثم قال لكم عندى ألا أحتجز دونكم بسر أى لا أستتر قال إلا فى حرب و ذلك لأن الحرب يحمد فيها طى الأسرار و الحرب خدعه.

ثم قال و لا- أطوى دونكم أمرا إلا- فى حكم أى أظهركم على كل ما نفسى مما يحسن أن أظهركم عليه فأما أحكام الشريعة و القضاء على أحد الخصمين فإنى لا أعلمكم به قبل وقوعه كيلا تفسد القضية بأن يحتال ذلك الشخص لصرف الحكم عنه.

ثم ذكر أنه لا- يؤخر لهم حقا عن محله يعنى العطاء و أنه لا- يقف دون مقطعه و الحق هاهنا غير العطاء بل الحكم قال زهير فإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء (٢).

أى متى تعين الحكم حكمت به و قطعت و لا أقف و لا أتجسس .

و لما استوفى ما شرط لهم قال فإذا أنا وفيت بما شرطت على نفسى و جبت لله عليكم النعمه و لى عليكم (٣) الطاعه .

ثم أخذ فى الاشتراط عليهم كما شرط لهم فقال و لى عليكم ألا تنكصوا عن

ص: ١٧

١- ١) العذيب؛ بالتصغير؛ يطلق على مواضع؛ منها ماء بين القادسيه و المغيـثه؛ بينه و بين القادسيه أربعة أميال.

٢- ٢) ديوانه ٧٥. النفار: المنافره إلى الحاكم؛ أو رجل يحكم بينهم. الجلاء: أن ينكشف الأمر و ينجلي.

٣- ٣) ا: «نحوكم».

أى لا- تتقاعسوا عن الجهاد إذا دعوتكم إليه و لا تفرطوا فى صلاح أى إذا أمكنتكم فرصه أو رأيتم مصلحه فى حرب العدو أو حمايه الثغر فلا- تفرطوا فيها فتفوت و أن تخوضوا الغمرات إلى الحق أى تكابدوا المشاق العظيمه و لا- يهولنكم خوضها إلى الحق.

ثم توعدهم إن لم يفعلوا ذلك ثم قال فخذوا هذا من أمرائكم ليس يعنى به أن على هؤلاء أصحاب المسالحي أمراء من قبله ع كالواسطه بينهم و بينه بل من أمرائكم يعنى منى و ممن يقوم فى الخلافه مقامى بعدى لأنه لو كان الغرض هو الأول لما كان محلهم عنده أن يقول ألا أحتجز دونكم بسر و لا أطوى دونكم أمرا لأن محل من كان بتلك الصفه دون هذا

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَصْحَابِ الْخَرَاجِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَحْذَرْ مَا هُوَ [سَائِرٌ]

صَدَّائِرٌ إِلَيْهِ لَمْ يَتَقَدَّمْ لِنَفْسِهِ مِمَّا يُحْرِزُهَا وَ اعْلَمُوا أَنَّ مِمَّا كَلَّفْتُمْ بِهِ يَسِيرٌ وَ أَنَّ ثَوَابَهُ كَثِيرٌ وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِمَا نَهْيُ اللَّهِ عَنْهُ مِنَ الْبَغْيِ وَ الْعِدْوَانِ عِقَابٌ يُخَافُ لَكَانَ فِي ثَوَابِ اجْتِنَابِهِ مَا لَا عُذْرَ فِي تَرْكِ طَلْبِهِ فَأَنْصِتُوا لِلنَّاسِ مِنْ أَنْفُسِكُمْ وَ اصْبِرُوا لِحَوَائِجِهِمْ فَإِنَّكُمْ حُرَّانَ الرَّعِيَّةِ وَ وُكَلَاءَ الْأُمَّةِ وَ سُفْرَاءَ الْأَثَمَةِ وَ لَا تُحْشِمُوا أَحَدًا عَنْ حَاجَتِهِ وَ لَا تَحْبِسُوهُ عَنْ طَلْبَتِهِ وَ لَا تَبِعَنَّ [النَّاسَ]

لِلنَّاسِ فِي الْخَرَاجِ كِسْوَةَ شَتَاءٍ وَ لَا صَيْفٍ وَ لَا دَابَّةً يَعْتَمِلُونَ عَلَيْهَا وَ لَا عَبْدًا وَ لَا تَضْرِبَنَّ أَحَدًا سَوْطًا لِمَكَانِ دِرْهَمٍ وَ لَا تَمَسَنَّ مَالَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ مُصَلٌّ وَ لَا مُعَاهِدٍ إِلَّا أَنْ تَجِدُوا فَرَسًا أَوْ سَيْلًا حَاقًا يُعْدَى بِهِ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ فَإِنَّهُ لَا يَتَّبَعِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَدَعَ ذَلِكَ فِي أَيْدِي أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ فَيَكُونَ شَوْكَةً عَلَيْهِ وَ لَا تَدْخِرُوا أَنْفُسَكُمْ نَصِيحَةً وَ لَا الْجُنْدَ حُسْنَ سِيرِهِ وَ لَا الرَّعِيَّةَ مَعُونَةً وَ لَا دِينَ اللَّهِ قُوَّةً وَ [أَبْلُوهُ فِي سَبِيلِ]

أَبْلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا اسْتَوْجَبَ عَلَيْكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ اصْطَنَعَ عِنْدَنَا

وَ عِنْدَكُمْ أَنْ نَشْكُرَهُ بِجُهِدِنَا وَ أَنْ نَنْصُرَهُ بِمَا بَلَغَتْ قُوَّتُنَا وَ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

يقول لو قدرنا أن القبايح العقلية كالظلم و البغى لا عقاب على فعلها بل فى تركها ثواب فقط لم يكن الإنسان معذورا إذا فرط فى ذلك الترك لأنه يكون قد حرم نفسه نفعا هو قادر على إيصاله إليها .

قوله و لا تحشموا أحدا أى لا تغضبوا طالب حاجه فتقطعوه عن طلبها أحشمت زيدا و جاء حشمته و هو أن يجلس إليك فتغضبه و تؤذيه و قال ابن الأعرابى حشمته أخجلته و أحشمته أغضبتة و الاسم الحشمه و هى الاستحياء و الغضب .

ثم نهاهم أن يبيعوا لأرباب الخراج ما هو من ضرورياتهم كثياب أبدانهم و كدابه يعتملون عليها نحو بقر الفلاحه و كعبد لا بد للإنسان منه يخدمه و يسعى بين يديه .

ثم نهاهم عن ضرب الأبخار لاستيفاء الخراج.

و كتب عدى بن أرطاه إلى عمر بن عبد العزيز يستأذنه فى عذاب العمال فكتب إليه كأنى لك جنه من عذاب الله و كأن رضاي ينجيك من سخط الله من قامت عليه بينه أو أقر بما لم يكن مضطهدا مضطرا إلا الإقرار به فخذ به بأدائه فإن كان قادرا عليه فاستأذ و إن أبى فاحبسه و إن لم يقدر فخل سبيله بعد أن تحلفه بالله أنه لا يقدر على شىء فلأن يلقوا الله بجناياتهم أحب إلى من أن ألقاه بدمائهم.

ثم نهاهم أن يعرضوا لمال أحد من المسلمين أو من المعاهدين المعاهد هاهنا هو الذمى أو من يدخل دار الإسلام من بلاد الشرك على عهد إما لأداء رساله أو لتجاره و نحو ذلك ثم يعود إلى بلاده.

ثم نهاهم عن الظلم و أخذ أموال الناس على طريق المصادره و التأويل الباطل قال إلا أن تخافوا غائلة المعاهدين بأن تجدوا عندهم خيولا أو سلاحا و تظنوا منهم و ثبه على بلد من بلاد المسلمين فإنه لا يجوز الإغضاء عن ذلك حينئذ .

قوله و أبلوا فى سبيل الله أى اصطنعوا من المعروف فى سبيل الله ما استوجب عليكم يقال هو يبلوه معروفا أى يصنعه إليه قال زهير جزى الله بالإحسان ما فعلا بكم و أبلاهما خير البلاء الذى يبلو (١).

قوله ع قد اصطنعنا عندنا و عندكم أن نشكره أى لأن نشكره بلام التعليل و حذفها أى أحسن إلينا لنشكره و حذفها أكثر نحو قوله تعالى لَبِئْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ (٢).

ص: ٢١

١-١ (١) ديوانه ١١٦.

٢-٢ (٢) سورة المائدة ٨٠.

أَمَّا بَعْدُ فَصَلُّوا بِالنَّاسِ الظُّهْرَ حَتَّى تَفِيءَ الشَّمْسُ [مِثْلَ]

مِنْ مَرَبِضِ العُنْزِ وَ صَلُّوا بِهِم العَصِيرَ وَ الشَّمْسُ بَيضاءَ حَيْثُ فِي عَضْوٍ مِنَ النَّهَارِ حِينَ يُسَارُ فِيهَا فَزَسِيخَانِ وَ صَلُّوا بِهِم المَغْرِبَ حِينَ يُفْطِرُ الصَّائِمُ وَ يَدْفَعُ الحِجَاجَ إِلَى مَنَى وَ صَلُّوا بِهِم العِشَاءَ حِينَ يَتَوَارَى الشَّفَقُ إِلَى ثُلْثِ اللَّيْلِ وَ صَلُّوا بِهِم العَمْدَاءَ وَ الرَّجُلُ يَعْرِفُ وَجْهَ صَاحِبِهِ وَ صَلُّوا بِهِم صَلَاةَ أضعفهم وَ لَا تَكُونُوا فَتَانِينَ.

### بيان اختلاف الفقهاء في أوقات الصلاة

قد اختلف الفقهاء في أوقات الصلاة فقال أبو حنيفة أول وقت الفجر إذا طلع الفجر الثاني و هو المعترض في الأفق و آخر وقتها ما لم تطلع الشمس و أول وقت الظهر إذا زالت الشمس و آخر وقتها إذا صار ظل كل شيء مثليه سوى الزوال و قال أبو يوسف و محمد آخر وقتها إذا صار الظل مثله.

قال أبو حنيفة و أول وقت العصر إذا خرج وقت الظهر و هذا على القولين و آخر وقتها ما لم تغرب الشمس و أول وقت المغرب إذا غربت الشمس و آخر وقتها



ما لم يغب الشفق و هو البياض الذى فى الأفق بعد الحمرة و قال أبو يوسف و محمد هو الحمرة.

قال أبو حنيفة و أول وقت العشاء إذا غاب الشفق و هذا (1) على القولين و آخر وقتها ما لم يطلع الفجر.

و قال الشافعى أول وقت الفجر إذا طلع الفجر الثانى و لا يزال وقتها المختار باقيا إلى أن يسفر ثم يبقى وقت الجواز إلى طلوع الشمس.

و قال أبو سعيد الإصطخرى من الشافعية لا يبقى وقت الجواز بل يخرج وقتها بعد الإسفار و يصلى قضاء و لم يتابعه على هذا القول أحد قال الشافعى و أول وقت الظهر إذا زالت الشمس و حكى أبو الطيب الطبرى من الشافعية أن من الناس من قال لا تجوز الصلاة حتى يصير الفىء بعد الزوال مثل الشراك.

و قال مالك أحب أن يؤخر الظهر بعد الزوال بقدر ما يصير الظل ذراعا و هذا مطابق لما قال أمير المؤمنين ع حين تفىء الشمس كمربض العنز أى كموضع تربض العنز و ذلك نحو ذراع أو أكثر بزيادة يسيره.

قال الشافعى و آخر وقت الظهر إذا صار ظل كل شىء مثله و يعتبر المثل من حد الزيادة على الظل الذى كان عند الزوال و بهذا القول قال أبو يوسف و محمد و قد حكيناه من قبل و به أيضا قال الثورى و أحمد و هو روايه الحسن بن زياد اللؤلؤى عن أبى حنيفة فأما الروايه المشهوره عنه و هى التى رواها أبو يوسف فهو أن آخر وقت الظهر صيروره الظل مثليه و قد حكيناه عنه فيما تقدم.

و قال ابن المنذر تفرد أبو حنيفة بهذا القول و عن أبى حنيفة روايه ثالثة أنه إذا صار ظل كل شىء مثله خرج وقت الظهر و لم يدخل وقت العصر إلى أن يصير ظل كل شىء مثليه.

ص: ٢٣

و قال أبو ثور و محمد بن جرير الطبري قدر أربع ركعات بين المثل و المثليين يكون مشتركا بين الظهر و العصر.

و حكى عن مالك أنه قال إذا صار ظل كل شيء مثله فهو آخر وقت الظهر و أول وقت العصر فإذا زاد على المثل زياده بينه خرج وقت الظهر و اختص الوقت بالعصر.

و حكى ابن الصباغ من الشافعيه عن مالك أن وقت الظهر إلى أن يصير ظل كل شيء مثله وقتا مختارا فأما وقت الجواز و الأداء فأخره إلى أن يبقى إلى غروب الشمس قدر أربع ركعات و هذا القول مطابق لمذهب الإماميه .

و قال ابن جريج و عطاء لا يكون مفرطا بتأخيرها حتى تكون في الشمس صفره.

و عن طاوس لا يفوت حتى الليل.

فأما العصر فإن الشافعي يقول إذا زاد على المثل أدنى زياده فقد دخل وقت العصر و الخلاف في ذلك بينه و بين أبي حنيفه لأنه يقول أول وقت العصر إذا صار ظل كل شيء مثليه و زاد عليه أدنى زياده و قد حكيناه عنه فيما تقدم.

و كلام أمير المؤمنين ع في العصر مطابق لمذهب أبي حنيفه لأن بعد صيروره الظل مثليه هو الوقت الذي تكون فيه الشمس حيه بيضاء في عضو من النهار حين يسار فيه فرسخان و أما قبل ذلك فإنه فوق ذلك يسار من الفراسخ أكثر من ذلك و لا يزال وقت الاختيار عند الشافعي للعصر باقيا حتى يصير ظل كل شيء مثليه ثم يبقى وقت الجواز إلى غروب الشمس.

و قال أبو سعيد الإصطخري من أصحابه يصير قضاء بمجاوزه المثليين فأما وقت المغرب فإذا غربت الشمس و غروبها سقوط القرص.

و قال أبو الحسن علي بن حبيب الماوردي من الشافعيه لا بد أن يسقط القرص و يغيب

حاجب الشمس و هو الضياء المستعلى عليها كالم متصل بها و لم يذكر ذلك من الشافعيه أحد غيره.

و ذكر الشاشى فى كتاب حليه العلماء أن الشيعة قالت أول وقت المغرب إذا اشتبكت النجوم قال قد حكى هذا عنهم و لا يساوى الحكايه و لم تذهب الشيعة إلى هذا و سنذكر قولهم فيما بعد.

و كلام أمير المؤمنين ع فى المغرب لا ينص على وقت معين لأنه عرف ذلك بكونه وقت الإفطار و وقت ما يدفع الحاج و كلا الأمرين يحتاج إلى تعريف كما يحتاج وقت الصلاة اللهم إلا أن يكون قد عرف أمراء البلاد الذين يصلون بالناس من قبل هذا الكتاب متى هذا الوقت الذى يفطر فيه الصائم ثم يدفع فيه الحاج بعينه ثم يحيلهم فى هذا الكتاب على ذلك التعريف المخصوص.

قال الشافعى و للمغرب وقت واحد و هو قول مالك .

و حكى أبو ثور عن الشافعى أن لها وقتين و آخر وقتها إذا غاب الشفق و ليس بمشهور عنه و المشهور القول الأول و قد ذكرنا قول أبى حنيفة فيما تقدم و هو امتداد وقتها إلى أن يغيب الشفق و به قال أحمد و داود .

و اختلف أصحاب الشافعى فى مقدار الوقت الواحد فمنهم من قال هو مقدر بقدر الطهاره و ستر العوره و الأذان و الإقامة و فعل ثلاث ركعات و منهم من قدره بغير ذلك.

و قال أبو إسحاق الشيرازى منهم التضييق إنما هو فى الشروع فأما الاستداه فتجوز إلى مغيب الشفق.

فأما وقت العشاء فقال الشافعى هو أن يغيب الشفق و هو الحمرة و هو قول مالك و أحمد و داود و أبى يوسف و محمد و قد حكينا مذهب أبى حنيفة فيما تقدم و هو أن يغيب الشفق الذى هو البياض و به قال زفر و المزنى .

قال الشافعى و آخر وقتها المختار إلى نصف الليل هذا هو قوله القديم و هو مذهب أبى حنيفه و قال فى الجديد إلى ثلث الليل و يجب أن يحمل قول أمير المؤمنين ع فى العشاء إنها إلى ثلث الليل على وقت الاختيار ليكون مطابقا لهذا القول و به قال مالك و إحدى الروايتين عن أحمد ثم يذهب وقت الاختيار و يبقى وقت الجواز إلى طلوع الفجر الثانى.

و قال أبو سعيد الإصطخرى لا يبقى وقت الجواز بعد نصف الليل بل يصير قضاء.

فقد ذكرنا مذهبه أبى حنيفه و الشافعى فى الأوقات و هما الإمامان المعتبران فى الفقه و دخل فى ضمن حكاية مذهب الشافعى ما يقوله مالك و أحمد و غيرهما من الفقهاء.

فأما مذهب الإماميه من الشيعة فنحن نذكره نقلا عن كتاب أبى عبد الله محمد بن محمد بن النعمان رحمه الله المعروف بالرساله المقنعه قال وقت الظهر من بعد زوال الشمس إلى أن يرجع الفىء سبعى الشخص و علامه الزوال رجوع الفىء بعد انتهائه إلى النقصان و طريق معرفه ذلك بالأصطلاب أو ميزان الشمس و هو معروف عند كثير من الناس أو بالعمود المنسوب فى الدائره الهنديه أيضا فمن لم يعرف حقيقه العمل بذلك أو لم يجد آله فلي نصب عودا من خشب أو غيره فى أرض مستويه السطح و يكون أصل العود غليظا و رأسه دقيقا شبه المذرى الذى ينسج به التكبك أو المسله التى تخاط بها الأحمال فإن ظل هذا العود يكون بلا شك فى أول النهار أطول من العود و كلما ارتفعت الشمس نقص من طوله حتى يقف القرص فى وسط السماء فيقف الفىء حيثئذ فإذا زال القرص عن الوسط إلى جهه المغرب رجع الفىء إلى الزيادة فليعتبر من أراد الوقوف على وقت الزوال ذلك بخطط و علامات يجعلها على رأس ظل العود عند وضعه

فى صدر النهار و كلما نقص فى الظل شىء علم عليه فإذا رجع إلى الزیاده على موضع العلامه عرف حينئذ برجوعه أن الشمس قد زالت.

و بذلك تعرف أيضا القبلة فإن قرص الشمس يقف فيها وسط النهار و يصير عن يسارها و يمين المتوجه إليها بعد وقوفها و زوالها عن القطب فإذا صارت مما يلي حاجبه الأيمن من بين عينيه علم أنها قد زالت و عرف أن القبلة تلقاء وجهه و من سبقت معرفته بجهه القبلة فهو يعرف زوال الشمس إذا توجه إليها فرأى عين الشمس مما يلي حاجبه الأيمن إلا أن ذلك لا يبين إلا بعد زوالها بزمان و يبين الزوال من أول وقته بما ذكرناه من الأضطراب و ميزان الشمس و الدائره الهنديه و العمود الذى وصفناه و من لم يحصل له معرفه ذلك أو فقد الآله توجه إلى القبلة فاعتبر صيروره الشمس على طرف حاجبه الأيمن وقت العصر من بعد الفراغ من الظهر إذا صليت الظهر فى أول أوقاتها أعنى بعد زوال الشمس بلا فصل و يمتد إلى أن يتغير لون الشمس باصفرارها للغروب و للمضطر و الناسى إلى مغييها بسقوط القرص عما تبلغه أبصارنا من السماء و أول وقت المغرب مغيب الشمس و علامه مغييها عدم الحمره فى المشرق المقابل للمغرب فى السماء و ذلك أن المشرق فى السماء مظل على المغرب فما دامت الشمس ظاهره فوق أرضنا فهى تلقى ضوءها على المشرق فى السماء فىرى حمرتها فيه فإذا ذهب الحمره منه علم أن القرص قد سقط و غاب و آخره أول وقت العشاء الآخره و أول وقتها مغيب الشمس و هو الحمره فى المغرب و آخره مضى الثلث الأول من الليل و أول وقت الغداه اعتراض الفجر و هو البياض فى المشرق يعقبه الحمره فى مكانه و يكون مقدمه لطلوع الشمس على الأرض من السماء و ذلك أن الفجر الأول و هو البياض الظاهر فى المشرق يطلع طولاً- ثم ينعكس بعد مداه عرضاً ثم يحمر الأفق بعده للشمس.

و لا ينبغي للإنسان أن يصلى فريضه الغداه حتى يعترض البياض و ينتشر سعدا فى السماء كما ذكرنا و آخر وقت الغداه طلوع الشمس.

هذا ما تقوله الفقهاء فى مواقيت الصلاه فأما قوله ع و الرجل يعرف وجه صاحبه فمعناه الإسفار و قد ذكرناه .

و قوله ع و صلوا بهم صلاه أضعفهم أى لا تطيلوا بالقراءه الكثيره و الدعوات الطويله.

ثم قال و لا تكونوا فتانين أى لا تفتنوا الناس بإتاعبهم و إدخال المشقه عليهم بإطاله الصلاه و إفساد صلاه المأمومين بما يفعلونه من أفعال مخصوصه نحو أن يحدث الإمام فيستخلف فيصلى الناس خلف خليفته فإن ذلك لا يجوز على أحد قولى الشافعى و نحو أن يطيل الإمام الركوع و السجود فيظن المأمومون أنه قد رفع فيرفعون أو يسبقونه بأركان كثيره و نحو ذلك من مسائل يذكرها الفقهاء فى كتبهم.

و اعلم أن أمير المؤمنين ع إنما بدأ بصلاه الظهر لأنها أول فريضه افترضت على المكلفين من الصلاه على ما كان يذهب إليه ع و إلى ذلك تذهب الإماميه و ينصر قولهم تسميتها بالأولى و لهذا بدأ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بذكرها قبل غيرها فأما من عدا هؤلاء فأول الصلاه المفروضه عندهم الصبح و هى أول النهار.

و أيضا يتفرع على هذا البحث القول فى الصلاه الوسطى ما هى فذهب جمهور

الناس إلى أنها العصر لأنها بين صلاتي نهار و صلاتي ليل و قد رووا أيضا في ذلك روايات بعضها في الصحاح و قياس مذهب الإماميه أنها المغرب لأن الظهر إذا كانت الأولى كانت المغرب الوسطى إلا أنهم يروون عن أئمتهم ع أنها الظهر و يفسرون الوسطى بمعنى الفضلى لأن الوسط في اللغة هو خيار كل شيء و منه قوله تعالى جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسِيْطًا (١) و قد ذهب إلى أنها المغرب قوم من الفقهاء أيضا.

و قال كثير من الناس أنها الصبح لأنها أيضا بين صلاتي ليل و صلاتي نهار و رووا أيضا فيها روايات و هو مذهب الشافعي و من الناس من قال إنها الظهر كقول الإماميه و لم يسمع عن أحد معتبرا أنها العشاء إلا قولاً شاذاً ذكره بعضهم.

و قال لأنها بين صلاتين لا تقصران

ص: ٢٩

---

(١ - ١) سورة البقره ١٤٣.

حين اضطرب أمر أميرها محمد بن أبي بكر و هو أطول عهد كتبه و أجمعه للمحاسن بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ  
اللّهِ عَلِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْطَرِ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ حِينَ وُلَاهُ مِصْرَ جَبَايَه خَرَجَهَا وَ جِهَادَ عَدُوَّهَا وَ اسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا وَ  
عِمَارَةَ بِلَادِهَا أَمْرَهُ بِتَقْوَى اللّهِ وَ إِثَارِ طَاعَتِهِ وَ اتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ وَ سُنَنِهِ الَّتِي لَا يَسْعُدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا وَ لَا يَشْقَى  
إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا وَ إِضَاعَتِهَا وَ أَنْ يَنْصُرَ اللّهُ سُبْحَانَهُ [بِيَدِهِ وَ قَلْبِهِ]

بِقَلْبِهِ وَ يَدِهِ وَ لِسَانِهِ فَإِنَّهُ جَلَّ اسْمُهُ قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ وَ إِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ وَ أَمْرَهُ أَنْ يَكْسِرَ [مِنْ نَفْسِهِ عِنْدَ]

نَفْسِهِ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَ [يَنْزَعَهَا]

يَزَعَهَا عِنْدَ الْجَمْعِيَّاتِ فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ اللّهُ ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالِكُ أَنَّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُورٌ  
قَبْلَكَ مِنْ عَدْلِ وَ جَوْرِ وَ أَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ



الْوَلَاةِ قَبْلَكَ وَ يَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ [تَقُولُهُ]

تَقُولُ فِيهِمْ وَ إِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرَى اللَّهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسِنِ عِيَادِهِ فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرُهُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ  
فَأَمْلِكْ هَوَاكَ وَ شَحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الْإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ .

نصره الله باليد الجهاد بالسيف و بالقلب الاعتقاد للحق و باللسان قول الحق و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و قد تكفل الله  
بنصره من نصره لأنه تعالى قال وَ لِيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ (١) .

و الجمحات منازعه النفس إلى شهواتها و مآربها و نزعها بكفها .

ثم قال له قد كنت تسمع أخبار الولاه و تعيب قوما و تمدح قوما و سيقول الناس في إمارتك الآن نحو ما كنت تقول في الأمراء  
فاحذر أن تعاب و تدم كما كنت تعيب و تدم من يستحق الذم .

ثم قال إنما يستدل على الصالحين بما يكثر سماعه من ألسنة الناس بمدحهم و الثناء عليهم و كذلك يستدل على الفاسقين بمثل  
ذلك .

و كان يقال ألسنة الرعية أقلام الحق سبحانه إلى الملوك .

ثم أمره أن يشح بنفسه و فسر له الشح ما هو فقال إن تنتصف منها فيما أحبت

ص: ٣١

و كرهت أى لا تمكنها من الاسترسال فى الشهوات و كن أميرا عليها و مسيطرا و قامعا لها من التهور و الانهماك.

فإن قلت هذا معنى قوله فيما أحبت فما معنى قوله و كرهت قلت لأنها تكره الصلاة و الصوم و غيرهما من العبادات الشرعيه و من الواجبات العقليه و كما يجب أن يكون الإنسان مهيمنا عليها فى طرف الفعل يجب أن يكون مهيمنا عليها فى طرف الترك و أشعر قلبك الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَ الْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَ اللَّطْفَ بِهِمْ وَ لَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَيِّبَعًا ضَارِيًا تَعْتَنِمُ أَكْلَهُمْ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَ إِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ يَفْرُطُ مِنْهُمْ الزَّلْلُ وَ تَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلْلُ وَ يُؤْتِي عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَ الْخَطَا فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَ صِيْفِحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ وَ تَرْضَى أَنْ يُعْطِيكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَ صَفْحِهِ فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ وَ وَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ وَ اللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَ لَاكَ وَ قَدْ اسْتَكْفَاكَ أَمْرُهُمْ وَ ابْتَلَاكَ بِهِمْ وَ لَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللَّهِ فَإِنَّهُ لَا [يَدَى]

يَدَ لَكَ بِنِقْمَتِهِ وَ لَا غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَ رَحْمَتِهِ وَ لَا تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ وَ لَا تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبِهِ وَ لَا تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرِهِ وَ جَدَّتْ [عَنْهَا]

مِنْهَا مُنْذُوْحَهُ وَ لَا تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ أَمْرٌ فَأُطَاعُ فَإِنَّ ذَلِكَ إِذْغَالٌ فِي الْقَلْبِ وَ مِنْهَكِهِ لِلدِّينِ وَ تَقَرَّبُ مِنَ الْغَيْرِ

وَ إِذَا أَحَدَتْ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أَبْهَةً أَوْ مَخِيلَةً فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللَّهِ فَوْقَكَ وَ قُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ فَإِنَّ ذَلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ وَ يَكْفُ عَنْكَ مِنْ غَرَبِكَ وَ يَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ إِيَّاكَ وَ مُسَامَاةَ اللَّهِ فِي عَظَمَتِهِ وَ التَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبْرُوتِهِ فَإِنَّ اللَّهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ وَ يُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ.

أشعر قلبك الرحمه

أى اجعلها كالشعار له و هو الثوب الملاصق للجسد قال لأن الرعيه إما أخوك فى الدين أو إنسان مثلك تقتضى رقه الجنسيه و طبع البشريه الرحمه له.

قوله و يؤتى على أيديهم مثل قولك و يؤخذ على أيديهم أى يهدبون و يثقفون يقال خذ على يد هذا السفيه و قد حجر الحاكم على فلان و أخذ على يده .

ثم قال فنسبتهم إليك كنسبتك إلى الله تعالى و كما تحب أن يصفح الله عنك ينبغى أن تصفح أنت عنهم .

قوله لا تنصين نفسك لحرب الله أى لا تبارزه بالمعاصى فإنه لا يذى لك بنقمته اللام مقحمه و المراد الإضافه و نحوه قولهم لا أبا لك .

قوله و لا تقولن إنى مؤمر أى لا تقل إنى أمير و وال أمر بالشىء فأطاع.

ص: ٣٣

و الإدغال الإفساد و منهكه للدين ضعف و سقم .

ثم أمره عند حدوث الأبهبه و العظمه عنده لأجل الرئاسة و الإمرة أن يذكر عظمه الله تعالى و قدرته على إعدامه و إيجاده و إمامته و إحيائه فإن تذكر ذلك يطامن من غلوائه أى يغض من تعظمه و تكبره و يطأطئ منه .

و الغرب حد السيف و يستعار للسطوه و السرعه فى البطش و الفتك .

قوله و يفىء أى يرجع إليك بما بعد عنك من عقلك و حرف المضارعه مضموم لأنه من أفاء .

و مساماه الله

تعالى مباراته فى السمو و هو العلو أنصف الله و أنصف الناس من نفسك و من خاصه أهلك و من لك [هوى فيه]

فيه هدى من رعيتك فإنك إلا تفعل تظلم و من ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده و من خاصمه الله أدحض حجته و كان لله حرباً حتى ينزع أو يتوب و ليس شئء أذعى إلى تغيير نعمه الله و تعجيل نقمته من إقامه على ظلم فإن الله [يسمع]

سميع دعوة المضطهدين و هو للظالمين بالمرصاة و ليكن أحب الأمور إليك أو سيئها فى الحق و أعظمها فى العدىل و أجمعها [لرضا]

لرضى الرعية فإن سخط العامه يجحف [برضا]

برضى الخاصه و إن سخط الخاصه يعتفر مع [رضا]

رضى العامه

ص: ٣٤

وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرِّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِيِّ مَثُونَهُ فِي الرِّخَاءِ وَأَقْلَبَ مَعُونَهُ لَهُ فِي الْبَلَاءِ وَأَكْرَهَ لِلْإِنصِافِ وَأَسْيَأَلَ بِالْإِلْحِيافِ وَأَقْلَبَ شُكْرًا عِنْدَ الْإِعْطَاءِ وَأَبْطَأَ عُذْرًا عِنْدَ الْمَنْعِ وَأَضْعَفَ صَبْرًا عِنْدَ مُلَمَّاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ وَإِنَّمَا [عَمُودٌ] عِمَادُ الدِّينِ وَجَمَاعُ الْمُسْلِمِينَ وَالْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ الْعَامَّةِ مِنَ الْأُمَّةِ فَلْيَكُنْ صِغُوكَ لَهُمْ وَمَيْلُكَ مَعَهُمْ .

قال له أنصف الله أى قم له بما فرض عليك من العبادة و الواجبات العقلية و السمعية.

ثم قال و أنصف الناس من نفسك و من ولدك و خاصه أهلك و من تحبه و تميل إليه من رعيتك فمتى لم تفعل ذلك كنت ظالما .

ثم نهاه عن الظلم و أكد الوصاية عليه فى ذلك .

ثم عرفه أن قانون الإمامه الاجتهاد فى رضا العامه فإنه لا مبالاه بسخط خاصه الأمير مع رضا العامه فأما إذا سخطت العامه لم ينفعه رضا الخاصه و ذلك مثل أن يكون فى البلد عشره أو عشرون من أغنيائه و ذوى الثروه من أهله يلازمون الوالى و يخدمونه و يسامرونه و قد صار كالصديق لهم فإن هؤلاء و من ضارعهم من حواشى الوالى و أرباب الشفاعات و القربات عنده لا يغنون عنه شيئا عند تنكر العامه له و كذاك لا يضر سخط هؤلاء إذا رضيت العامه و ذلك لأن هؤلاء عنهم غنى و لهم بدل و العامه لا غنى عنهم و لا بدل منهم و لأنهم إذا شغبوا عليه كانوا كالبحر إذا هاج و اضطرب فلا يقاومه أحد و ليس الخاصه كذلك .

ثم قال ع و نعم ما قال ليس شىء أقل نفعاً ولا أكثر ضرراً على الوالى من خواصه أيام الولاية لأنهم يثقلون عليه بالحاجات و المسائل و الشفاعات فإذا عزل هجره و رفضه حتى لو لقوه فى الطريق لم يسلموا عليه .

و الصغو (١) بالكسر و الفتح و الصغا مقصور الميل و لئكن أبعد رعتك منك و أشناهم عندك أطلبهم لمعايب الناس فإن فى الناس عيوباً الوالى أحق من سترها فلا تكسفن عما غاب عنك منها فإنما عليك تطهير ما ظهر لك و الله يحكم على ما غاب عنك فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من (٢) رعتك أطلق عن الناس عقده كل حقد و أقطع عنك سبب كل وثر و تغاب عن كل ما لا يضح لك و لا تعجلن إلى تصيديق ساع فإن الساعى غاش و إن تشبهه بالناصحين و لا تدخلن فى مشورتك بخيلاً يعيد بك عن الفضل و يعدك الفقر و لا جباناً يضغفك عن الأمور و لا حريصاً يزين لك الشره بالجور فإن البخل و الجبن و الحرص عزائر شتى يجمعها سوء الظن بالله.

ص: ٣٦

١ - ١) ب: «الصفو»، تحريف.

٢ - ٢) فى د: «عن».

أشناهم عندك

أبغضهم إليك .

و تغاب تغافل يقال تغابى فلان عن كذا.

و يضح يظهر و الماضى وضح

### فصل فى النهى عن ذكر عيوب الناس و ما ورد فى ذلك من الآثار

عاب رجل رجلا عند بعض الأشراف فقال له لقد استدلت على كثرة عيوبك بما تكثرت فيه من عيوب الناس لأن طالب العيوب إنما يطلبها بقدر ما فيه منها.

و قال الشاعر و أجراً من رأيت بظهر غيب على عيب الرجال أولو العيوب.

و قال آخر يا من يعيب و عيبه متشعب كم فيك من عيب و أنت تعيب

٤٤٠٦

و فى الخبر المرفوع دعوا الناس بغفلاتهم يعيش بعضهم مع بعض.

و قال الوليد بن عتبة بن أبى سفيان كنت أساير أبى و رجل معنا يقع فى رجل فالتفت أبى إلى فقال يا بنى نزه سمعك عن استماع الخنى كما تنزه لسانك عن الكلام به فإن المستمع شريك القائل إنما نظر إلى أخبث ما فى وعائه فأفرغه فى وعائك و لو ردت كلمه جاهل فى فيه لسعد رادها كما شقى قائلها.

و

٤٤٠٧

قال ابن عباس الحدث حدثان حدث من فيك و حدث من فرجك.

ص: ٣٧

و عاب رجل رجلا عند قتيله بن مسلم فقال له قتيله أمسك ويحك فقد تلمظت بمضغه طالما لفظها الكرام.

و مر رجل بجارين له و معه ريبه فقال أحدهما لصاحبه أ فهمت ما معه من الريه قال و ما معه قال كذا قال عبدى حر لوجه الله شكرا له تعالى إذ لم يعرفنى من الشر ما عرفك.

و قال الفضيل بن عياض إن الفاحشه لتشيع فى كثير من المسلمين حتى إذا صارت إلى الصالحين كانوا لها خزانا.

و قيل لبزرجمهر هل من أحد لا عيب فيه فقال الذى لا عيب فيه لا يموت.

و قال الشاعر و لست بذى نيرب فى الرجا

و قال آخر لا تلتمس من مساوى الناس ما ستروا

و قال آخر ابدأ بنفسك فإنهما عن عيها



فأما قوله ع أطلق عن الناس عقده كل حقد فقد استوفى هذا المعنى زياد في خطبته البتراء فقال و قد كانت بينى و بين أقوام إحن (١) و قد جعلت ذلك دبر أذنى و تحت قدمى فمن كان منكم محسنا فليزدد إحسانا و من كان منكم مسيئا فلينزع عن إساءته إني لو علمت أن أحدكم قد قتله السلال (٢) من بغضى لم أكشف عنه قناعا و لم أهتك له سترا حتى يبدى لى صفحته فإذا فعل لم أنظره ألا فليشمل كل امرئ منكم على ما فى صدره و لا يكونن لسانه شفره تجرى على ودجه

### فصل فى النهى عن سماع السعاه و ما ورد ذلك من الآثار

فأما قوله ع و لا تعجلن إلى تصديق ساع فقد ورد فى هذا المعنى كلام حسن قال ذو الرئاستين قبول السعاه شر من السعاه لأن السعاه دلاله و القبول إجازة و ليس من دل على شىء كمن قبله و أجازة فامقت الساعى على سعاهته فإنه لو كان صادقا كان لئىما إذ هتك العوره و أضع الحرمه.

و عاتب مصعب بن الزبير الأحنف على أمر بلغه عنه فأنكره فقال مصعب أخبرنى به الثقة قال كلا أيها الأمير إن الثقة لا يبلغ.

و كان يقال لو لم يكن من عيب الساعى إلا أنه أصدق ما يكون أضر ما يكون على الناس لكان كافيا.

كانت الأكاسره لا تأذن لأحد أن يطبخ السكباچ (٣) و كان ذلك مما يختص به الملك فرجع ساع إلى أنوشروان إن فلاتنا دعانا و نحن جماعه إلى طعام له و فيه

ص: ٣٩

١-١) الإحن: جمع إحنه، و هى العداوه.

٢-٢) السلال و السلل بمعنى.

٣-٣) السكباچ: مرق يعمل من اللحم و الخل؛ معرب.

سكباچ فوق أنوشروان على رقعته قد حمدنا نصيحتك و ذمنا صديقك على سوء اختياره للإخوان.

جاء رجل إلى الوليد بن عبد الملك و هو خليفه عبد الملك على دمشق فقال أيها الأمير إن عندي نصيحة قال اذكرها قال جار لي رجع من بعته سرا فقال أما أنت فقد أخبرتنا أنك جار سوء فإن شئت أرسلنا معك فإن كنت كاذبا عاقبناك و إن كنت صادقا مقتناك و إن تركتنا تركناك قال بل أتركك أيها الأمير قال فانصرف.

و مثل هذا يحكى عن عبد الملك أن إنسانا سأله الخلوه فقال لجلسائه إذا شئتم فانصرفوا فلما تهيأ الرجل للكلام قال له اسمع ما أقول إياك أن تمدحني فأنا أعرف بنفسى منك أو تكذبني فإنه لا رأى لمكذوب أو تسعى بأحد إلى فإنى لا أحب السعاه قال أفيأذن أمير المؤمنين بالانصراف قال إذا شئت.

و قال بعض الشعراء لعمر ك ما سب الأمير عدوه و لكنما سب الأمير المبلغ.

و قال آخر حرمت منائى منك إن كان ذا الذى (1)

و قال عبد الملك بن صالح لجعفر بن يحيى و قد خرج يودعه لما شخص إلى خراسان أيها الأمير أحب أن تكون لي كما قال الشاعر

ص : ٤٠

---

١- ١) فى «إن يكن الذى»، و هو مستقيم الوزن و المعنى أيضا.

فكونى على الواشين لداء شعبه

كما أنا للواشى ألد شغوب (١).

قال بل أكون كما قال القائل وإذا الواشى وشى يوما بها نفع الواشى بما جاء يضر.

وقال العباس بن الأحنف ما حطك الواشون من رتبه قوله ع ولا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل و يعدك الفقر مأخوذ من قول الله تعالى الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا (٢) قال المفسرون الفحشاء هاهنا البخل و معنى يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ يخيل إليكم أنكم إن سمحتم بأموالكم افتقرتم فيخوفكم فتخافون فتبخلون.

قوله ع فإن البخل و الجبن و الحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله كلام شريف عال على كلام الحكماء يقول إن بينها قدرا مشتركا و إن كانت غرائز و طبائع مختلفه و ذلك القدر المشترك هو سوء الظن بالله لأن الجبان يقول فى نفسه إن أقدمت قتلت و البخيل يقول إن سمحت و أنفقت افتقرت و الحريص يقول إن لم أجد و أجتهد و أدأب فاتنى ما أروم و كل هذه الأمور ترجع إلى سوء الظن بالله و لو أحسن الظن الإنسان بالله و كان يقينه صادقا لعلم أن الأجل مقدر و أن الرزق مقدر و أن الغنى و الفقر مقدران و أنه لا يكون من ذلك إلا ما قضى الله تعالى كونه

ص: ٤١

١- (١) اللداء: الشديده الخصومه.

٢- (٢) سورة البقره ٢٦٨.

إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ [قَبْلَكَ لِلأَشْرَارِ]

لِلأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزَيْرًا وَمَنْ شَرِكَهُمْ فِي الأَثَامِ فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بَطَانَةً فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الأَثَمَةِ وَإِخْوَانُ الظَّلْمَةِ وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الخَلْفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَصَادِهِمْ وَ لَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصِرِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ وَ آثَامِهِمْ مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنِ ظَالِمًا عَلَى ظُلْمِهِ وَلَا آثِمًا عَلَى إِثْمِهِ أَوْلِيَّكَ أَحْفُفٌ عَلَيْكَ مَثُونَهُ وَأَحْسَنُ لِمَكَ مَعِيُونَهُ وَأَحْنَى عَلَيْكَ عَطْفًا وَأَقْلُّ لِعَظِيمِكَ إِفْسًا فَاتَّخِذْ أَوْلِيَّكَ خِمَاصَةً لِخَلَوَاتِكَ وَ حَفَلَاتِكَ ثُمَّ لِيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلُهُمْ بِمَرِّ الحَقِّ لَكَ وَ أَقْلُهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ وَأَقِعًا ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ .

نهاه ع ألا يتخذ بطانه قد كانوا من قبل بطانه للظلمه و ذلك لأن الظلم و تحسينه قد صار ملكه ثابتة في أنفسهم فبعيد أن يمكنهم الخلو منها إذ قد صارت كالخلق الغريزي اللازم لتكرارها و صيرورتها عادة فقد جاءت النصوص في الكتاب و السنه بتحريم معاونه الظلمه و مساعدتهم و تحريم الاستعانه بهم فإن من استعان بهم كان معينا لهم قال تعالى و مَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا (١) و قال لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ اليَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ (٢)

٤٤٠٨

و جاء في الخبر المرفوع ينادى يوم القيامة أين من برى (٣) لهم أى الظالمين قلما.

ص: ٤٢

١- ١) سورة الكهف ٥١.

٢- ٢) سورة المجادلة ٢٢.

٣- ٣) ب: «يرى»، تحريف، صوابه في ا، د.

أتى الوليد بن عبد الملك برجل من الخوارج فقال له ما تقول فى الحجاج قال و ما عسيت أن أقول فيه هل هو إلا خطيئه من خطاياك و شرر من نارك فلعنك الله و لعن الحجاج معك و أقبل يشتمهما فالتفت الوليد إلى عمر بن عبد العزيز فقال ما تقول فى هذا قال ما أقول فيه هذا رجل يشتمكم فيما أن تشتموه كما شتمكم و إما أن تعفوا عنه فغضب الوليد و قال لعمر ما أظنك إلا خارجيا فقال عمر و ما أظنك إلا مجنونا و قام فخرج مغضبا و لحقه خالد بن الريان صاحب شرطه الوليد فقال له ما دعاك إلى ما كلمت به أمير المؤمنين لقد ضربت يدي إلى قائم سيفي أنتظر متى يأمرنى بضرب عنقك قال أ و كنت فاعلا لو أمرك قال نعم فلما استخلف عمر جاء خالد بن الريان فوقف على رأسه متقلدا سيفه فنظر إليه و قال يا خالد ضع سيفك فإنك مطيعنا فى كل أمر نأمرك به و كان بين يديه كاتب للوليد فقال له ضع أنت قلمك فإنك كنت تضرب به و تنفع اللهم إنى قد وضعتهما فلا ترفعهما قال فو الله ما زالا وضيعين مهينين حتى ماتا.

و روى الغزالي فى كتاب إحياء علوم الدين قال لما خالط الزهري السلطان كتب أخ له فى الدين إليه عافانا الله و إياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغى لمن عرفك أن يدعو الله لك و يرحمك فقد أصبحت شيخا كبيرا و قد أثقلتك نعم الله عليك بما فهمك من كتابه و علمك من سنه نبيه و ليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء فإنه تعالى قال لَتَبَيَّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ (١) و اعلم أن أيسر ما ارتكبت و أخف ما احتملت أنك آنست و حشه الظالم و سهلت سبيل الغنى بدنوك إلى من لم يؤد حقا و لم يترك باطلا حين أدناك اتخذوك أبا بكر قطبا تدور

ص: ٤٣

عليه رحي ظلمهم و جسرا يعبرون عليه إلى بلائهم و معاصيهم و سلما يصعدون فيه إلى ضلالتهم يدخلون بك الشك على العلماء و يقتادون بك قلوب الجهلاء فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك و ما أكثر ما أخذوا منك في جنب ما أفسدوا من حالك و دينك و ما يؤمنك أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَ اتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا (١) يا أبا بكر إنك تعاملي من لا يجهل و يحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم و هيب زادك فقد حضر سفر بعيد و ما يخفي على الله من شيء في الأرض و لا في السماء (٢) و السلام و الصق بأهل الورع و الصدق ثم رضهم على ألا يطروك و لا يبحوك بباطل لم تفعله فإن كثرة الأخطاء تُعيد الزهو و تُدني من العزه و لا يكونن المحسن و المسمى عندك بمنزله سواء فإن في ذلك تزييداً لأهل الإحسان في الإحسان و تديباً لأهل الإساءة و ألزم كلاً منهم ما ألزم نفسه.

ص: ٤٤

١-١) سورة مريم ١٢٥.

٢-٢) سورة إبراهيم ٣٨.

قوله و الصق بأهل الورع كلمه فصيحہ يقول اجعلهم خاصتك و خلاءك.

قال ثم رضهم على ألا يطروك أى عودهم ألا يمدحوك فى وجهك و لا يبجحوك بباطل لا يجعلوك ممن يبجح أى يفخر بباطل لم يفعله كما يبجح أصحاب الأمراء بأن يقولوا لهم ما رأينا أعدل منكم و لا أسمح و لا حمى هذا الثغر أمير أشد بأسا منكم و نحو ذلك و قد جاء

٤٤٠٩

فى الخبر احتوا فى وجوه المداحين التراب.

و قال عبد الملك لمن قام يساره ما تريد أ تريد أن تمدحنى و تصفنى أنا أعلم بنفسى منك.

و قام خالد بن عبد الله القسرى إلى عمر بن عبد العزيز يوم بيعته فقال يا أمير المؤمنين من كانت الخلافه زائنته فقد زينتها و من كانت شرفته فقد شرفتها فإنك لكما قال القائل و إذا الدر زان حسن وجوه كان للدر حسن وجهك زينا.

فقال عمر بن عبد العزيز لقد أعطى صاحبكم هذا مقولا و حرم معقولا و أمره أن يجلس.

و لما عقد معاويه البيعه لابنه يزيد قام الناس يخطبون فقال معاويه لعمر بن سعيد الأشدق قم فاخطب يا أبا أميه فقام فقال أما بعد فإن يزيد ابن أمير المؤمنين أمل تأملونه و أجل تأمنونه إن افتقرتم إلى حلمه وسعكم و إن احتجتم إلى رأيه أرشدكم و إن اجتديتم ذات يده أغناكم و شملكم جذع قارح سويق فسبق و موجد فمجد

ص: ٤٥

و قورع فقرع و هو خلف أمير المؤمنين و لا خلف منه فقال معاويه أوسعت يا أبا أميه فاجلس فإنما أردنا بعض هذا.

٤٤١٠

و أثنى رجل على على ع في وجهه ثناء أوسع فيه و كان عنده متهما فقال له أنا دون ما تقول و فوق ما في نفسك.

و قال ابن عباس لعتبه بن أبي سفيان و قد أثنى عليه فأكثر رويدا فقد أمهيت يا أبا الوليد يعنى بالغت يقال أمهى حافر البئر إذا استقصى حفرها .

فأما قوله ع و لا يكونن المحسن و المسىء عندك بمنزله سواء فقد أخذه الصابى فقال و إذا لم يكن للمحسن ما يرفعه و للمسىء ما يضعه زهد المحسن فى الإحسان و استمر المسىء على الطغيان و قال أبو الطيب شر البلاد بلاد لا صديق بها

و كان يقال قضاء حق المحسن أدب للمسىء و عقوبه المسىء جزاء للمحسن و اعلم أنه ليس شئء بأدعى إلى حُسن ظنّ [وَالِ]

رَاعِ بَرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ وَ تَخْفِيهِ الْمُثُونَاتِ عَلَيْهِمْ وَ تَزَكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قِبَلَهُمْ فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ  
يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بَرَعِيَّتَكَ فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصِيباً طَوِيلًا وَ إِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسَنَ ظُنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسَنَ بِلَاؤُكَ  
عِنْدَهُ وَ إِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظُنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ

ص: ٤٦



وَلَا تَنْقُضْ سُنَّةَ صَالِحَةٍ عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الْأَلْفَةُ وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ وَلَا تُحَدِثَنَّ سُنَّةَ تَضَرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السُّنَنِ فَيَكُونَ الْأَجْرُ لِمَنْ سَنَّهَا وَالْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا وَ أَكْثَرُ مَدَارِسَةِ الْعُلَمَاءِ وَ مُنَاقَشَةِ الْحُكَمَاءِ فِي تَثْبِيَتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرٌ بِلَادِكَ وَ إِقَامِهِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ .

خلاصه صدر هذا الفصل أن من أحسن إليك حسن ظنه فيك و من أساء إليك استوحش منك و ذلك لأنك إذا أحسنت إلى إنسان و تكرر منك ذلك الإحسان تبع ذلك اعتقادك أنه قد أحبك ثم يتبع ذلك الاعتقاد أمر آخر و هو أنك تحبه لأن الإنسان مجبول على أن يحب من يحبه و إذا أحبته سكنت إليه و حسن ظنك فيه و بالعكس من ذلك إذا أسأت إلى زيد لأنك إذا أسأت إليه و تكررت الإساءة تبع ذلك اعتقادك أنه قد أبغضك ثم يتبع ذلك الاعتقاد أمر آخر و هو أن تبغضه أنت و إذا أبغضته انقبضت منه و استوحشت و ساء ظنك به.

قال المنصور للربيع سلني لنفسك قال يا أمير المؤمنين ملأت يدي فلم يبق عندي موضع للمسألة قال فسلني لولدك قال أسألك أن تحبه فقال المنصور يا ربيع إن الحب لا يسأل و إنما هو أمر تقتضيه الأسباب قال يا أمير المؤمنين و إنما أسألك أن تزيد من إحسانك فإذا تكرر أحبك و إذا أحبك أحبته فاستحسن

المنصور ذلك ثم نهاه عن نقض السنن الصالحة التي قد عمل بها من قبله من صالحى الأمة فيكون الوزر عليه بما نقض و الأجر لأولئك بما أسسوا ثم أمره بمطارحه العلماء و الحكماء فى مصالح عمله فإن المشوره بركه و من استشار فقد أضاف عقلا إلى عقله.

و مما جاء فى معنى الأول قال رجل لإياس بن معاويه من أحب الناس إليك قال الذين يعطونى قال ثم من قال الذين أعطاهم.

و قال رجل لهشام بن عبد الملك إن الله جعل العطاء محبه و المنع مبغضه فأعنى على حبك و لا تعنى فى بغضك و اعلم أن الرعيه طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض و لا غنى ببعضها عن بعض فمنها جنود الله و منها كتاب العامه و الخاصه و منها قضاء العدل و منها عمال الأنصاف و الرفق و منها أهل الجزية و الخراج من أهل الذمه و مسلمه الناس و منها التجار و أهل الصناعات و منها الطبقة السفلى من ذوى الحاجات و المسكنه و كل قد سمى الله له سهمه و وضع على حده [و فريضته]

فريضه فى كتابه أو سيئه نبيه ص عهداً منه عندنا محفوظاً فالجنود بإذن الله حصون الرعيه و زين الولاه و عز الدين و سبل الأمان و ليس تقوم الرعيه إلا بهم ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذى يقوون به على جهاد عدوهم و يعتمدون عليه فيما يصلحهم و يكون من وراء حاجتهم ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاء و العمال

وَ الْكُتَابِ لِمَا يُحْكُمُونَ مِنَ الْمَعَادِ وَيَجْمَعُونَ مِنَ الْمَنَافِعِ وَيُؤْتَمُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الْأُمُورِ وَعَوَامِّهَا وَلَا قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعًا إِلَّا  
بِالتَّجَارِ وَ ذَوِي الصَّنَاعَاتِ فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِهِمْ وَ يُقِيمُونَ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ وَ يَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرْفُقِ بِأَيْدِيهِمْ [مِمَّا]

مَا لَا يَبْلُغُهُ رِفْقٌ غَيْرِهِمْ ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَ الْمَسْكِينِ الَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ وَ مَعُونَتُهُمْ وَ فِي اللَّهِ لِكُلِّ سَبْعَةٍ وَ لِكُلِّ  
عَلَى الْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُضِلُّهُ وَ لَيْسَ يَخْرُجُ الْوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِالْإِهْتِمَامِ وَ الْإِسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ وَ  
تَوْطِينِ نَفْسِهِ عَلَى لُزُومِ الْحَقِّ وَ الصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيمَا خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ ثَقَلَ .

قالت الحكماء الإنسان مدنى بالطبع و معناه أنه خلق خلقه لا بد معها من أن يكون منضمًا إلى أشخاص من بنى جنسه و متمدنا  
فى مكان بعينه و ليس المراد بالتمتدّن ساكن المدينة ذات السور و السوق بل لا بد أن يقيم فى موضع ما مع قوم من البشر و  
ذلك لأن الإنسان مضطر إلى ما يأكله و يشربه ليقوم صورته و مضطر إلى ما يلبسه ليدفع عنه أذى الحر و البرد و إلى مسكن  
يسكنه ليرد عنه عاديه غيره من الحيوانات و ليكون منزلا- له ليتمكن من التصرف و الحركة عليه و معلوم أن الإنسان وحده لا  
يستقل بالأُمور التى عددناها بل لا- بد من جماعه يحرث بعضهم لغيره الحرث و ذلك الغير يحوك للحراث الثوب و ذلك  
الحائك يبنى له غيره المسكن و ذلك البناء يحمل له

غيره (١) الماء و ذلك السقاء يكفيه غيره أمر تحصيل الآله التي يطحن بها الحب و يعجن بها الدقيق و يخبز بها العجين و ذلك المحصل لهذه الأشياء يكفيه غيره الاهتمام بتحصيل الزوجه التي تدعو إليها داعيه الشبق فيحصل مساعده بعض الناس لبعض لو لا ذلك لما قامت الدنيا فلهذا معنى قوله ع إنهم طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض و لا غناء ببعضها عن بعض .

ثم فصلهم و قسمهم فقال منهم الجند (٢) و منهم الكتاب و منهم القضاء و منهم العمال (٣) و منهم أرباب الجزية من أهل الذمه و منهم أرباب الخراج من المسلمين و منهم التجار و منهم أرباب الصناعات و منهم ذوو الحاجات و المسكنه و هم أدون الطبقات .

ثم ذكر أعمال هذه الطبقات فقال الجند للحمايه و الخراج يصرف إلى الجند و القضاء و العمال و الكتاب لما يحكمونه من المعاهد و يجمعونه من المنافع و لا- بد لهؤلاء جميعا من التجار لأجل البيع و الشراء الذى لا غناء عنه و لا بد لكل من أرباب الصناعات كالحداد و النجار و البناء و أمثالهم ثم تلى هؤلاء الطبقة السفلى و هم أهل الفقر و الحاجه الذين تجب معونتهم و الإحسان إليهم .

و إنما قسمهم فى هذا الفصل هذا التقسيم تمهيدا لما يذكره فيما بعد فإنه قد شرع بعد هذا الفصل فذكر طبقه طبقه و صنفا صنفا و أوصاه فى كل طبقه و فى كل صنف منهم بما يليق بحاله و كأنه (٤) مهد هذا التمهيد كالفهرست لما يأتى بعده من التفصيل

ص : ٥٠

١- ١) ب: «غير تحريف».

٢- ٢- ٢) ساقط من ب، و أثبتته من ا د.

٣- ٢- ٢) ساقط من ب، و أثبتته من ا د.

-٤

فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لِلَّهِ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِأَمَامِكَ وَ [أَطَهَرَهُمْ]

أَنْتَاهُمْ جَبِيًّا وَ أَفْضَلَهُمْ حِلْمًا مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ وَ يَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُذْرِ وَ يَرَأْفُ بِالضُّعْفَاءِ وَ يَبْتَوِي عَلَى الْأَقْوِيَاءِ وَ مِمَّنْ لَا يُبَيِّرُهُ الْعُنْفُ وَ لَا يَقْعُدُ بِهِ الضُّعْفُ ثُمَّ الصَّقُ بِذَوِي الْمُرُوءَاتِ وَ الْأَحْسَابِ وَ أَهْلِ الْبَيْتَاتِ الصَّالِحَةِ وَ السَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ ثُمَّ أَهْلَ النَّجْدَةِ وَ الشَّجَاعَةِ وَ السَّخَاءِ وَ السَّمَاخَةِ فَإِنَّهُمْ جَمَاعٌ مِنَ الْكُرَمِ وَ شَعَبٌ مِنَ الْعُرَفِ ثُمَّ تَفَقَّدَ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُ الْوَالِدَانِ مِنَ وَلَدَيْهِمَا وَ لَا يَتَفَاقَمَنَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتَهُمْ بِهِ وَ لَا تَحْقِرَنَّ لُطْفًا تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ وَ إِنْ قَلَّ فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَى بَدْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ وَ حُسْنِ الظَّنِّ بِكَ وَ لَا تَدْعُ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمْ اتِّكَالًا عَلَى جَسَدِيْمَهَا فَإِنَّ لِلْيَسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعًا يَتَّفَعُونَ بِهِ وَ لِلْجَسِيمِ مَوْضِعًا لَا يَسْتَعْنُونَ عَنْهُ وَ لِيَكُنْ آثَرُ رُءُوسِ جُنُودِكَ عِنْدَكَ مِنْ وَاسِيَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ وَ أَفْضَلِ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَاتِهِ بِمَا يَسِيْرُهُمْ وَ يَسْعُ مِنْ وَرَاءِهِمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ حَتَّى يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمًّا وَاحِدًا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ وَ إِنْ أَفْضَلَ قُرَّةَ عَيْنِ الْوَالِدِ اسْتِقَامَتُهُ الْعَدْلَ فِي الْبِلَادِ وَ ظُهُورَ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ وَ إِنَّهُ لَا تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلَّا بِسِيْلَامِهِ صُدُورِهِمْ وَ لَا تَصِحُّ نَصِيْحَتُهُمْ إِلَّا بِحَيْطَتِهِمْ (1) عَلَى وُلَاةِ [أُمُورِهِمْ]

الْأُمُورِ وَ قَلْبِهِ اسْتِثْقَالِ دَوْلِهِمْ وَ تَرْكِ اسْتِثْبَاطِ انْقِطَاعِ مَدَّتِهِمْ فَافْسَحْ فِي آمَالِهِمْ وَ وَاصِلْ [مِنْ]

فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ وَ تَعْدِيدِ مَا أَبْلَى ذَوُو الْبَلَاءِ

ص: ٥١

مِنْهُمْ فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ [فِعَالِهِمْ]

أَفْعَالِهِمْ تَهْزُ الشُّجَاعَ وَ تُحَرِّضُ النَّاكِلَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ امْرِيٍّ مِنْهُمْ مَا أَبْلَى وَ لَا تَضُمَّنَّ بَلَاءَ امْرِيٍّ إِلَى غَيْرِهِ وَ لَا تُقَصِّرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بَلَائِهِ وَ لَا يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ امْرِيٍّ إِلَى أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ صِدْغِيًّا وَ لَا ضَعْفُهُ امْرِيٍّ إِلَى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ عَظِيمًا وَ ارْزُدْ إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الْخُطُوبِ وَ يَشْتَبِهْ عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ [سُبْحَانَهُ]

تَعَالَى لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ (١) فَالرُّدُّ إِلَى اللَّهِ الْأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ وَ الرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ الْأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمُفْرَقَةِ .

هذا الفصل مختص بالوصاه فيما يتعلق بأمراء الجيش أمره أن يولى أمر الجيش من جنوده من كان أنصحبهم لله فى ظنه و أطهرهم جيباً أى عفيفاً أميناً و يكنى عن العفه و الأمانه بطهاره الجيب لأن الذى يسرق يجعل المسروق فى جيبه .

فإن قلت و أى تعلق لهذا بولاه الجيش إنما ينبغى أن تكون هذه الوصيه فى ولاه الخراج قلت لا بد منها فى أمراء الجيش لأجل الغنائم .

ثم وصف ذلك الأمير فقال ممن يبطئ عن الغضب و يستريح إلى العذر أى يقبل

ص : ٥٢

أدنى عذر و يستريح إليه و يسكن عنده و يرؤف (١) على الضعفاء يرفق بهم و يرحمهم و الرأفة الرحمه و ينبو عن الأقوياء يتجافى عنهم و يبعد أى لا يمكنهم من الظلم و التعدى على الضعفاء و لا يثيره العنف لا يهيج غضبه عنف و قسوه و لا يقعد به الضعف أى ليس عاجزا .

ثم أمره أن يلصق بذوى الأحساب و أهل البيوتات أى يكرمهم و يجعل معوله فى ذلك عليهم و لا يتعداهم إلى غيرهم و كان يقال عليكم بذوى الأحساب فإن هم لم يتكروا استحيوا (٢) .

ثم ذكر بعدهم أهل الشجاعه و السخاء ثم قال إنها جماع من الكرم و شعب من العرف من هاهنا زائده و إن كانت فى الإيجاب على مذهب أبى الحسن الأخفش أى جماع الكرم أى يجمعه

٤٤١١

كقول النبى ص الخمر جماع الإثم.

و العرف المعروف.

و كذلك من فى قوله و شعب من العرف أى شعب العرف أى هى أقسامه و أجزاءه و يجوز أن تكون من على حقيقتها للتبعيض أى هذه الخلال جمله من الكرم و أقسام المعروف و ذلك لأن غيرها أيضا من الكرم و المعروف و نحو العدل و العفه .

قوله ثم تفقد من أمورهم الضمير هاهنا يرجع إلى الأجناد لا إلى الأمراء لما سنذكره مما يدل الكلام عليه.

فإن قلت إنه لم يجر للأجناد ذكر فيما سبق و إنما المذكور الأمراء قلت كلا بل سبق ذكر الأجناد و هو قوله الضعفاء و الأقوياء .

ص: ٥٣

١- ١) د: «يرأف»، تحريف...

٢- ٢) د: «استحسبوا»، ب: «استحسبوا»، و أثبت ما فى ا.

و أمره ع أن يتفقد من أمور الجيش ما يتفقد الوالدان من حال الولد و أمره ألا يعظم عنده ما يقويهم به و إن عظم و ألا يستحقر شيئاً تعهدهم به و إن قل و ألا يمنعه تفقد جسيم أمورهم عن تفقد صغيرها و أمره أن يكون أثر رءوس جنوده عنده و أحظاهم عنده و أقربهم إليه من واساهم فى معونته هذا هو الضمير الدال على أن الضمير المذكور أولاً للجند لا لأمرء الجند لو لا ذلك لما انتظم الكلام.

قوله من خلوف أهليهم أى ممن يخلفونه من أولادهم و أهليهم.

ثم قال لا يصح نصيحة الجند لك إلا بحيطتهم على ولاتهم أى بتعطفهم عليهم و تحننهم و هى الحيطة على وزن الشيمه مصدر حاطه يحوطه حوطاً و حياطاً و حيطة أى كلاءه و رعاه و أكثر الناس يروونها إلا بحيطتهم بتشديد الياء و كسرهما و الصحيح ما ذكرناه .

قوله و قله استتقال دولهم أى لا تصح نصيحة الجند لك إلا إذا أحبوا أمراءهم ثم لم يستثقلوا دولهم و لم يتمنوا زوالها .

ثم أمره أن يذكر فى المجالس و المحافل بلاء ذوى البلاء منهم فإن ذلك مما يرهف عزم الشجاع و يحرك الجبان .

قوله و لا تضمن بلاء امرئ إلى غيره أى اذكر كل من أبلى منهم مفرداً غير مضموم ذكر بلائه إلى غيره كى لا يكون مغموراً فى جنب ذكر غيره.

ثم قال له لا تعظم بلاء ذوى الشرف لأجل شرفهم و لا تحقر بلاء ذوى الضعه لضعه أنسابهم بل اذكر الأمور على حقائقها .

ثم أمره أن يرد إلى الله و رسوله ما يضلعه من الخطوب أى ما يثوده و يميله



لثقله و هذه الروايه أصح من روايه من رواها بالظاء و إن كان لتلك وجه

### رساله الإسكندر إلى أرسطو و رد أرسطو عليه

و ينبغي أن نذكر في هذا الموضع رساله أرسطو إلى الإسكندر في معنى المحافظه على أهل البيوتات و ذوى الأحساب و أن يخصهم بالرئاسه و الإمره و لا يعدل عنهم إلى العامه و السفله فإن في ذلك تشييدا لكلام أمير المؤمنين ع و وصيته.

لما ملك الإسكندر ايرانشهر و هو العراق مملكه الأكاسره و قتل دارا بن دارا كتب إلى أرسطو و هو ببلاد اليونان عليك أيها الحكيم منا السلام أما بعد فإن الأفلاك الدائره و العلل السمائيه و إن كانت أسعدتنا بالأمر التي أصبح الناس لنا بها دائبين فإننا جد واجدين لمس الاضطرار إلى حكمتك غير جاحدين لفضلك و الإقرار بمنزلتك و الاستنابه (١) إلى مشورتك و الاقتداء برأيك و الاعتماد لأمرك و نهيك لما بلونا من جدا ذلك علينا و ذقنا من جنا منفعتة حتى صار ذلك بنجوعه فينا و ترسخه في أذهاننا و عقولنا كالغذاء لنا فما ننفك نعول عليه و نستمد منه استمداد الجداول من البحور و تعويل الفروع على الأصول و قوه الأشكال بالأشكال و قد كان مما سيق إلينا من النصر و الفلج و أتيح لنا من الظفر و بلغنا في العدو من النكايه و البطش ما يعجز القول عن وصفه و يقصر شكر المنعم عن موقع الإنعام به و كان من ذلك أنا جاوزنا أرض سوريه و الجزيره إلى بابل و أرض فارس فلما حللنا بعقوه (٢) أهلها و ساحه بلادهم لم يكن إلا ريثما تلقانا نفر منهم برأس ملكهم هديه إلينا و طلبا للحظوه عندنا فأمرنا بصلب من

ص: ٥٥

---

١- ١) كذا في ا، و استناب إلى الأمر: سكن إليه؛ و في ب: «الاستنابه».

٢- ٢) العقوه: ما حول الدار.

جاء به و شهرته لسوء بلائه و قله ارعوائه و وفائه ثم أمرنا بجمع من كان هناك من أولاد ملوكهم و أحرارهم و ذى الشرف منهم فرأينا رجالا (١) عظيمه أجسامهم و أحلامهم حاضره ألبابهم و أذهانهم رائعه مناظرهم و مناطقهم دليلا على أن ما يظهر من روائهم و منطقهم أن وراءه من قوه أيديهم و شدة نجدتهم و بأسهم ما لم يكن ليكون لنا سبيل إلى غلبتهم و إعطائهم بأيديهم لو لا- أن القضاء أدالنا منهم و أظفرنا بهم و أظهرنا عليهم و لم نر بعيدا من الرأى فى أمرهم أن نستأصل شأفتهم و نجتث أصلهم و نلحقهم بمن مضى من أسلافهم لتسكن القلوب بذلك الأمن إلى جرائهم و بوائقهم فرأينا ألا نجعل ياسعاف بادئ الرأى فى قتلهم دون الاستظهار عليهم بمشورتك فيهم فارفع إلينا رأيك فيما استشرناك فيه بعد صحته عندك و تقليبك إياه بجلى نظرك و سلام أهل السلام فليكن علينا و عليك.

فكتب إليه أرسطو لملك الملوك و عظيم العظماء الإسكندر المؤيد بالنصر على الأعداء المهدي له الظفر بالملوك من أصغر عبيده و أقل خوله أرسطو طاليس البخوع بالسجود و التذلل فى السلام و الإذعان فى الطاعة أما بعد فإنه لا قوه بالمنطق و إن احتشد الناطق فيه و اجتهد فى تنقيف معانيه و تأليف حروفه و مبانيه على الإحاطه بأقل ما تناله القدره من بسطه علو الملك و سمو ارتفاعه عن كل قول و إبرازه على كل وصف و اعترافه بكل إطناب و قد كان تقرر عندى من مقدمات إعلام فضل الملك فى صهله سبقه و بروز شأوه و يمن نقيبته مذ أدت إلى حاسه بصرى صوره شخصه و اضطرب فى حس سمعى صوت لفظه و وقع وهمى

ص: ٥٦

١- (١) ب: «رجاله».

على تعقيب نجاح رأيه أيام كنت أؤدى إليه من تكلف تعليمي إياه ما أصبحت قاضيا على نفسي بالحاجه إلى تعلمه منه و مهما يكن منى إليه فى ذلك فإنما هو عقل مردود إلى عقله مستنبطه أواليه و تواليه من علمه و حكمته و قد جلا إلى كتاب الملك و مخاطبته إياى و مسألته لى عما لا يتخالجنى الشك فى لقاح ذلك و إنتاجه من عنده فعنه صدر و عليه ورد و أنا فيما أشير به على الملك و إن اجتهدت فيه و احتشدت له و تجاوزت حد الوسع و الطاقه منى فى استنظافه و استقصائه كالعدم مع الوجود بل كما لا يتجزأ فى جنب معظم الأشياء و لكنى غير ممتنع من إجابته الملك إلى ما سأل مع علمى و يقينى بعظيم غناه عنى و شده فاقتى إليه و أنا راد إلى الملك ما اكتسبته منه و مشير عليه بما أخذته منه فقائل له إن لكل تربه لا محاله قسما من الفضائل و إن لفارس قسمها من النجده و القوه و إنك إن تقتل أشرافهم تخلف الوضعاء على أعقابهم و تورث سفلتهم على منازل عليتهم و تغلب أدنياءهم على مراتب ذوى أخطارهم و لم يبتل الملوك قط ببلاء هو أعظم عليهم و أشد توهينا لسلطانهم من غلبه السفله و ذل الوجوه فاحذر الحذر كله أن تمكن تلك الطبقة من الغلبه و الحركه فإنه إن نجم منهم بعد اليوم على جندك و أهل بلادك ناجم دهمهم منه ما لا- رويه فيه و لا- بقيه معه فانصرف عن هذا الرأى إلى غيره و اعمد إلى من قبلك من أولئك العظماء و الأحرار فوزع بينهم مملكتهم و ألزم اسم الملك كل من وليته منهم ناحيته و اعقد التاج على رأسه و إن صغر ملكه فإن المتسمى بالملك لازم لاسمه و المعقود التاج على رأسه لا يخضع لغيره فليس ينشب (1) ذلك أن يوقع كل ملك منهم بينه و بين صاحبه تدابرا و تقاطعا و تغالبا على الملك و تفاخرا بالمال و الجند حتى ينسوا بذلك أضغانهم عليك و أوتارهم فيك و يعود حربهم لك حربا

ص: ٥٧

بينهم و حنقهم عليك حنقا منهم على أنفسهم ثم لا يزدادون في ذلك بصيره إلا أحدثوا لك بها استقامه إن دنوت منهم دانوا لك و إن نأيت عنهم تعزوا بك حتى يثب من ملك منهم على جاره باسمك و يستره به بجندك و في ذلك شاغل لهم عنك و أمان لأحداثهم بعدك و إن كان لا أمان للدهر و لا ثقه بالأيام.

قد أدت إلى الملك ما رأيت له لي حقا و على حقا من إجابتي إياه إلى ما سألتني عنه و محضته النصيحة فيه و الملك أعلى عينا و أنفذ رويه و أفضل رأيا و أبعد همه فيما استعان بي عليه و كلفني بتبينه و المشوره عليه فيه لا زال الملك متعرفا من عوائد النعم و عواقب الصنع و توطيد الملك و تنفيس الأجل و درك الأمل ما تأتي فيه قدرته على غايه قصوى ما تناله قدره البشر.

و السلام الذي لا انقضاء له و لا انتهاء و لا غايه و لا فناء فليكن على الملك.

قالوا فعمل الملك برأيه و استخلف على ايران شهر أبناء الملوك و العظماء من أهل فارس فهم ملوك الطوائف الذين بقوا بعده و المملكه موزعه بينهم إلى أن جاء أردشير بن بابك فانترع الملك منهم ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيته في نفسه ك مِمَّنْ لَا تَضِيْقُ بِهِ الْأُمُورُ وَلَا تُمَحِّكُهُ الْخُصُومُ وَلَا يَتِمَادَى فِي الزَّلَّةِ وَلَا يَحْصِرُ مِنَ الْفَيْءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ وَلَا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ وَلَا يَكْتَفِي بِأَذْنَىٰ فِهِمْ دُونَ أَفْصَاهُ وَ أَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ وَ آخَذَهُمْ بِالْحَجَجِ وَ أَقْلَهُمْ تَبْرُمًا بِمَرَاجِعِهِ الْخِصْمِ وَ أَصْبَرَهُمْ

عَلَى تَكْشِفِ الْأُمُورِ وَ أَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّصَاحِ الْحُكْمِ مِمَّنْ لَا يَزُدُّهُ إِطْرَاءٌ وَلَا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ وَ أَوْلِكَ قَلِيلٌ ثُمَّ أَكْثَرُ تَعَاهَدَ قَضَائِهِ وَ  
[أَفْسَحُ]

إَفْسَحَ لَهُ فِي الْبَدَلِ مَا [يُزِيحُ]

يُزِيلُ عِلَّتَهُ وَ تَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ وَ أَعْطِهِ مِنَ الْمَنْزِلَةِ لِمَدْيِكَ مَا لَا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ حَاصَّتِكَ لِئَامَنَ بِمَذَلِكِ اغْتِيَالِ الرَّجَالِ  
لَهُ عِنْدَكَ فَانظُرْ فِي ذَلِكَ نَظْرًا بَلِيغًا فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيرًا فِي أَيْدِي الْأَشْرَارِ يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوَى وَ تُطَلَّبُ بِهِ الدُّنْيَا .

تمحكه الخصوم

تجعله ما حكا أى لجوجا محك الرجل أى لجج و ماحك زيد عمرا أى لاجه.

قوله و لا يتمادى فى الزله أى إن زل رجع و أناب و الرجوع إلى الحق خير من التمدادى فى الباطل.

قوله و لا يحصر من الفىء هو المعنى الأول بعينه و الفىء الرجوع إلا أن هاهنا زياده و هو أنه لا يحصر أى لا يعيا فى المنطق لأن  
من الناس من إذا زل حصر عن أن يرجع و أصابه كالفهاهه و العى خجلا.

قوله و لا تشرف نفسه أى لا تشفق و الإشراف الإشفاق و الخوف و أنشد الليث و من مضر الحمراء إسراف أنفس علينا و حياها  
علينا تمضرا.

ص: ٥٩

و قال عروه بن أذينة لقد علمت و ما الإشراف من خلقى أن الذى هو رزقى سوف يأتينى (١).

و المعنى و لا تشفق نفسه و تخاف من فوت المنافع و المرافق.

ثم قال و لا يكتفى بأدنى فهم أى لا يكون قانعا بما يخطر له بادئ الرأى من أمر الخصوم بل يستقصى و يبحث أشد البحث .

قوله و أقلهم تبرما بمراجعته الخصم أى تضجرا و هذه الخصلة من محاسن ما شرطه ع فإن القلق و الضجر و التبرم قبيح و أقبح ما يكون من القاضى.

قوله و أصرمهم أى أقطعهم و أمضاهم و ازدهاهم كذا أى استخفه و الإطراء المدح و الإغراء التحريض .

ثم أمره أن يتطلع على أحكامه و أفضيته و أن يفرض له عطاء و اسعا يملأ عينه و يتعفف به عن المرافق و الرشوات و أن يكون قريب المكان منه كثير الاختصاص به ليمنع قربه من سعايه الرجال به و تقييحهم ذكره عنده .

ثم قال إن هذا الدين قد كان أسيرا هذه إشاره إلى قضاء عثمان و حكاهم و أنهم لم يكونوا يقضون بالحق عنده بل بالهوى لطلب الدنيا.

و أما أصحابنا فيقولون رحم الله عثمان فإنه كان ضعيفا و استولى عليه أهله قطعوا الأمور دونه فإثمهم عليهم و عثمان برىء منهم

ص : ٦٠

قد جاء فى الحديث المرفوع لا يقضى القاضى و هو غضبان.

و جاء فى الحديث المرفوع أيضا من ابتلى بالقضاء بين المسلمين فليعدل بينهم فى لحظه و إشارته و مجلسه و مقعده.

دخل ابن شهاب على الوليد أو سليمان فقال له يا ابن شهاب ما حديث يرويه أهل الشام قال ما هو يا أمير المؤمنين قال إنهم يروون أن الله تعالى إذا استرعى عبدا رعيه كتب له الحسنات و لم يكتب عليه السيئات فقال كذبوا يا أمير المؤمنين أيما أقرب إلى الله نبي أم خليفه قال بل نبي قال فإنه تعالى يقول لنبيه داود يا داود إنا جعلناك خليفه فى الأرض فأحكّم بين الناس بالحقّ و لا تتبع الهوى فيضه لك عن سبيل الله إنّ الذين يضلّون عن سبيل الله لهم عذاب شديد (١) فقال سليمان إن الناس ليغروننا عن ديننا.

و قال بكر بن عبد الله العدوى لابن أرتاه و أراد أن يستقضيه و الله ما أحسن القضاء فإن كنت صادقا لم يحل لك أن تستقضى من لا يحسن و إن كنت كاذبا فقد فسقت و الله لا يحل أن تستقضى الفاسق.

و قال الزهرى ثلاث إذا كن فى القاضى فليس بقاض أن يكره اللائمه و يحب المحمده و يخاف العزل.

و قال محارب بن زياد للأعمش وليت القضاء فبكى أهلى فلما عزلت بكى أهلى فما أدرى مم ذلك قال لأنك وليت القضاء و أنت تكرهه و تجزع منه

فبكى أهلك لجزعك و عزلت عنه فكرهت العزل و جزعت فبكى أهلك لجزعك قال صدقت.

أتى ابن شبرمه يقوم يشهدون على قراح (١) نخل فشهدوا و كانوا عدولا فامتحنهم فقال كم فى القراح (٢) من نخله قالوا لا نعلم فرد شهادتهم فقال له أحدهم أنت أيها القاضى تقضى فى هذا المسجد منذ ثلاثين سنة فأعلمنا كم فيه من أسطوانه فسكت و أجازهم.

خرج شريك و هو على قضاء الكوفه يتلقى الخيزران و قد أقبلت تريد الحج و قد كان استقضى و هو كاره فأتى شاهى (٣) فأقام بها ثلاثا فلم تواف فخف زاده و ما كان معه فجعل يبله بالماء و يأكله بالملح فقال العلاء بن المنهال الغنوى فإن كان الذى قد قلت حقا

و تقدمت كلثم بنت سريع مولى عمرو بن حريث و كانت جميله و أخوها الوليد بن سريع إلى عبد الملك بن عمير و هو قاض بالكوفه فقضى لها على أخيها فقال هذيل الأشجعى أتاه وليد بالشهود يسوقهم

ص: ٦٢

---

١-١) القراح هنا: البستان، و انظر ياقوت (قرح).

١-٢) القراح هنا: البستان، و انظر ياقوت (قرح).

٣-٣) الخبر و الأبيات فى معجم البلدان ٥: ٢٢٤.



فلو كان من فى القصر يعلم علمه

و كان عبد الملك بن عمير يقول لعن الله الأشجعى و الله لربما جاءتنى السعله و النحنحه و أنا فى المتوضأ فأردهما لما شاع من شعره.

كتب عمر بن الخطاب إلى معاوية أما بعد فقد كتبت إليك فى القضاء بكتاب لم آلك و نفسى فيه خيرا الزم خمس خصال يسلم لك دينك و تأخذ بأفضل حظك إذا تقدم إليك الخصمان فعليك بالبينه العادله أو اليمين القاطعه و ادن الضعيف حتى يشدد قلبه و ينبسط لسانه و تعهد الغريب فإنك إن لم تتعهدته ترك حقه و رجع إلى أهله و إنما ضيع حقه من لم يرفق به و آس بين الخصوم فى لحظك و لفظك و عليك بالصلح بين الناس ما لم يستبن لك فصل القضاء.

و كتب عمر إلى شريح لا تسارر و لا تضارر و لا تبع و لا تبغ فى مجلس القضاء و لا تقض و أنت غضبان و لا شديد الجوع و لا مشغول القلب.

شهد رجل عند سوار القاضى فقال ما صناعتك فقال مؤدب قال أنا لا أجزى شهادتك قال و لم قال لأنك تأخذ على تعليم القرآن أجزا قال و أنت أيضا تأخذ على القضاء بين المسلمين أجزا قال إنهم أكرهونى قال نعم أكرهوك على القضاء فهل أكرهوك على أخذ الأجزا قال هلم شهادتك.

و دخل أبو دلامه ليشهد عند أبى لىلى فقال حين جلس بين يديه إذا الناس غطونى تغطيت عنهم و إن بحثوا عنى ففيهم مباحث (١)

ص: ٦٣

١-١) الأغاني ٢٣٤: ١٠، و فيه «إن الناس».

و إن حفروا بثرى حفرت بئارهم

ليعلم ما تخفيه تلك النباث.

فقال بل نغطيك يا أبا دلامه و لا نبحتك و صرفه راضيا و أعطى المشهود عليه من عنده قيمه ذلك الشيء.

كان عامر بن الظرب العدواني حاكم العرب و قاضيها فنزل به قوم يستفتونه فى الخثى و ميراثه فلم يدر ما يقضى فيه و كان له جاريه اسمها خصيله ربما لامها فى الإبطاء عن الرعى و فى الشيء يجده عليها فقال لها يا خصيله لقد أسرع هؤلاء القوم فى غنمى و أطالوا المكث قالت و ما يكبر عليك من ذلك اتبعه مباله و خلاك ذم فقال لها مسى (١) خصيل بعدها أو روحى.

و قال أعرابى لقوم يتنازعون هل لكم فى الحق أو ما هو خير من الحق قيل و ما الذى هو خير من الحق قال التحاط و الهضم فإن أخذ الحق كله مر.

و عزل عمر بن عبد العزيز بعض قضاته فقال لم عزلتنى فقال بلغنى أن كلامك أكثر من كلام الخصمين إذا تحاكما إليك.

و دخل إياس بن معاويه الشام و هو غلام فقدم خصما إلى باب القاضى فى أيام عبد الملك فقال القاضى أ ما تستحىي تخاصم و أنت غلام شيخا كبيرا فقال الحق أكبر منه فقال اسكت ويحك قال فمن ينطق بحجتي إذا قال ما أظنك تقول اليوم حقا حتى تقوم فقال لا إله إلا الله فقام القاضى و دخل على عبد الملك و أخبره فقال اقض حاجته و أخرجه من الشام كى لا يفسد علينا الناس.

و اختصم أعرابى و حضرى إلى قاض فقال الأعرابى أيها القاضى إنه و إن هملج (٢) إلى الباطل فإنه عن الحق لعطوف.

و رد رجل جاريه على رجل اشتراها منه بالحمق فترافعا إلى إياس بن معاويه

ص: ٦٤

١- ١) فى مجمع الأمثال ٢: ٢٩٥ «مسى سخيل بعدها أو صبّحى».

٢- ٢) هملج: أسرع.

فقال لها إياس أى رجليك أطول فقالت هذه فقال أ تذكرين ليله ولدتك أمك قالت نعم فقال إياس رد رد.

٤٤١٤

و جاء فى الخبر المرفوع من روايه عبد الله بن عمر لا قدست أمه لا يقضى فيها بالحق.

٤٤١٥

و من الحديث المرفوع من روايه أبى هريره ليس أحد يحكم بين الناس إلا جىء به يوم القيامه مغلوله يداه إلى عنقه فكه العدل و أسلمه الجور.

٤٤١٦

١- استعدى رجل على على بن أبى طالب ع عمر بن الخطاب رضى الله عنه و على جالس فالتفت عمر إليه فقال قم يا أبا الحسن فاجلس مع خصمك فقام فجلس معه و تناظرا ثم انصرف الرجل و رجع على ع إلى محله فتبين عمر التغير فى وجهه فقال يا أبا الحسن ما لى أراك متغيرا أ كرهت ما كان قال نعم قال و ما ذاك قال كنيته بحضره خصمى هلا قلت قم يا على فاجلس مع خصمك فاعتنق عمر عليا و جعل يقبل وجهه و قال بأبى أنتم بكم هداانا الله و بكم أخرجنا من الظلمه إلى النور

أبان بن عبد الحميد اللاحقى فى سوار بن عبد الله القاضى لا تقدح الظنه فى حكمه

كان ببغداد رجل يذكر بالصلاح و الزهد يقال له برويم فولى القضاء فقال الجنيد من أراد أن يستودع سره من لا يفشيه فعليه برويم فإنه كتم حب الدنيا أربعين سنه إلى أن قدر عليها.

الأشهب الكوفى

يا أهل بغداد قد قامت قيامتكم

ص: ٦٥

و كان الحجاج يسم أيدى النبط بالمشراط و النيل.

لما وقعت فتنه ابن الزبير اعتزل شريح القضاء و قال لا أقضى فى الفتنه فبقى لا يقضى تسع سنين ثم عاد إلى القضاء و قد كبرت سنه فاعترضه رجل و قد انصرف من مجلس القضاء فقال له أ ما حان لك أن تخاف الله كبرت سنك و فسد ذهنك و صارت الأمور تجوز عليك فقال و الله لا يقولها بعدك لى أحد فلزم بيته حتى مات.

قيل لأبى قلابه و قد هرب من القضاء لو أجبت قال أخاف الهلاك قيل لو اجتهدت لم يكن عليك بأس قال و يحكم إذا وقع السابح فى البحر كم عسى أن يسبح.

دعا رجل لسليمان الشاذكونى فقال أرانيك الله يا أبا أيوب على قضاء أصبهان قال و يحك إن كان و لا بد فعلى خراجها فإن أخذ أموال الأغنياء أسهل من أخذ أموال الأيتام.

ارتفعت جميله بنت عيسى بن جراد و كانت جميله كاسمها مع خصم لها إلى الشعبى و هو قاضى عبد الملك فقضى لها فقال هذيل الأشجعى فتن الشعبى لما فقبض الشعبى عليه و ضربه ثلاثين سوطا.

قال ابن أبى ليلى ثم انصرف الشعبى يوما من مجلس القضاء و قد شاعت الأبيات

و تناشدها الناس و نحن معه فمررنا بخادم تغسل الثياب و تقول فتن الشعبى لما و لا تحفظ تتمه البيت فوقف عليها و لقنها و قال رفع الطرف إليها ثم ضحك و قال أبعد الله و الله ما قضينا (١) لها إلا بالحق.

جاءت امرأه إلى قاض فقالت مات بعلى و ترك أبوين و ابنا و بنى عم فقال القاضى لأبويه الشكل و لابنه اليتيم و لك اللانمه و لبنى عمه الذله و احملى المال إلينا إلى أن ترتفع الخصوم.

لقى سفيان الثورى شريكا بعد ما استقضى فقال له يا أبا عبد الله بعد الإسلام و الفقه و الصلاح تلى القضاء قال يا أبا عبد الله فهل للناس بد من قاض قال و لا بد يا أبا عبد الله للناس من شرطى.

و كان الحسن بن صالح بن حى يقول لما ولى شريك القضاء أى شيخ أفسدوا.

٤٤١٧

قال أبو ذر رضى الله عنه قال لى رسول الله ص يا أبا ذر اعقل (٢) ما أقول لك جعل يرددها على سته أيام ثم قال لى فى اليوم السابع أوصيك بتقوى الله فى سريرتك و علانيتك و إذا أسأت فأحسن و لا تسألن أحدا شيئا و لو سقط سوطك و لا تقلدن أمانه و لا تلين ولايه و لا تكفلن يتيما و لا تقضين بين اثنين.

٤٤١٨

١٤- أراد عثمان بن عفان أن يستقضى عبد الله بن عمر فقال له أ لست قد سمعت النبى ص يقول من استعاذ بالله فقد عاذ بمعاذ قال بلى قال فإنى أعوذ بالله منك أن تستقضينى .

ص: ٦٧

---

١- (١) د: «قضيت»، و أثبت ما فى د.

٢- (٢) فى د: «افعل».

وقد ذكر الفقهاء فى آداب القاضى (١) أموراً قالوا لا يجوز أن يقبل هديه فى أيام القضاء إلا ممن كانت له عادة يهدى إليه قبل أيام القضاء ولا يجوز قبولها فى أيام القضاء ممن له حكومه و خصومه و إن كان ممن له عادة قديمه و كذلك إن كانت الهديه أنفس و أرفع مما كانت قبل أيام القضاء لا يجوز قبولها و يجوز أن يحضر القاضى الولائم و لا يحضر عند قوم دون قوم لأن التخصيص يشعر بالميل و يجوز أن يعود المرضى و يشهد الجنائز و يأتى مقدم الغائب و يكره له مباشرة البيع و الشراء و لا يجوز أن يقضى و هو غضبان و لا- جائع و لا- عطشان و لا فى حال الحزن الشديد و لا الفرح الشديد و لا يقضى و النعاس يغلبه و المرض يقلقه و لا و هو يدافع الأخبثين و لا فى حر مزعج و لا فى برد مزعج و ينبغى أن يجلس للحكم فى موضع بارز يصل إليه كل أحد و لا يحتجب إلا لعذر و يستحب أن يكون مجلسه فسيحاً لا يتأذى بذلك هو أيضاً و يكره الجلوس فى المساجد للقضاء فإن احتاج إلى وكلاء جاز أن يتخذهم و يوصيهم بالرفق بالخصوم و يستحب أن يكون له حبس و أن يتخذ كاتباً إن احتاج إليه و من شرط كاتبه أن يكون عارفاً بما يكتب به عن القضاء.

و اختلف فى جواز كونه ذمياً و الأظهر أنه لا- يجوز و لا- يجوز أن يكون كاتبه فاسقاً و لا- يجوز أن يكون الشهود عنده قوماً معينين بل الشهاده عامه فىمن استكمل شروطها ثم انظر فى أمور عمالك فاستعملهم [اختياراً]

إِخْتِيَاراً وَ لَا- تَوَلَّيْتُمْ مُحَايَاةً وَ أَثَرَهُ فَإِنَّهُمْ جَمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الْجَوْرِ وَ الْخِيَانَةِ وَ تَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ وَ الْحَيَاءِ مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَ الْقَدَمِ فِي الْأَسْلَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقاً وَ أَصْحَحُ أَعْرَاضاً وَ أَقْلُ فِي الْمَطَامِعِ [إِشْرَافاً]

إِشْرَافاً وَ أُنْبِغُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ نَظَرًا

ص: ٦٨

(١-١) كذا فى ا،د و هو الصواب و فى ب: «القضاء».

ثُمَّ أَسْبَغَ عَلَيْهِمُ الْأُزْرَاقَ فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ وَغِنَى لَهُمْ عَنِ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ تَلَمَّوْا أَمَانَتِكَ ثُمَّ تَفَقَّدَ أَعْمَالَهُمْ وَابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقِ وَالْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ تَعَاهِدَكَ فِي السِّرِّ لِأُمُورِهِمْ حَيْدُوهُ لَهُمْ عَلَى اسْتِغْمَالِ الْأَمَانَةِ وَالرَّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ وَتَحَفُّظِ مِنَ الْأَعْوَانِ فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانِهِ اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ اِكْتَفَيْتَ بِذَلِكَ شَاهِدًا فَبَسَّطْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ فِي يَدِنِهِ وَأَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ ثُمَّ نَصَيْبْتَهُ بِمَقَامِ الْمِذْلَةِ وَوَسَّيْتَهُ بِالْخِيَانَةِ وَقَلَّدْتَهُ عَارَ التُّهْمَةِ .

لما فرغ ع من أمر القضاء شرع في أمر العمال و هم عمال السواد و الصدقات و الوقوف و المصالح و غيرها فأمره أن يستعملهم بعد اختبارهم و تجربتهم و ألا يوليهم محاباه لهم و لمن يشفع فيهم و لا أثره و لا إنعاما عليهم.

كان أبو الحسن بن الفرات يقول الأعمال للكفاه من أصحابنا و قضاء الحقوق على خواص أموالنا.

و كان يحيى بن خالد يقول من تسبب إلينا بشفاعه في عمل فقد حل عندنا محل من ينهض بغيره و من لم ينهض بنفسه لم يكن للعمل أهلا.

و وقع جعفر بن يحيى في رقعته متحرم به هذا فتى له حرمة الأمل فامتحنه بالعمل فإن كان كافيا فالسلطان له دوننا و إن لم يكن كافيا فنحن له دون السلطان.

ثم قال ع فإنهما يعنى استعمالهم للمحاباه و الأثره جماع من شعب الجور و الخيانه و قد تقدم شرح مثل هذه اللفظه و المعنى أن ذلك يجمع ضروبا من الجور و الخيانه أما الجور فإنه يكون قد عدل عن المستحق إلى غير المستحق ففي ذلك جور على المستحق.

و أما الخيانه فلأن الأمانه تقتضى تقليد الأعمال الأكفاء فمن لم يعتمد ذلك فقد خان من ولاه .

ثم أمره بتخير من قد جرب و من هو من أهل البيوتات و الأشراف لشده الحرص على الشىء و الخوف من فواته .

ثم أمره بإسباغ الأرزاق عليهم فإن الجائع لا- أمانه له و لأن الحجه تكون لازمه لهم إن خانوا لأنهم قد كفوا مثونه أنفسهم و أهليهم بما فرض لهم من الأرزاق (١).

ثم أمره بالتطلع عليهم و إذكاء (٢) العيون و الأرصاد على حركاتهم.

و حدوده باعث يقال حدانى هذا الأمر حدوده على كذا و أصله سوق الإبل و يقال للشمال حدودها لأنها تسوق السحاب .

ثم أمره بمؤاخذه من ثبتت خيانته و استعاده المال منه و قد صنع عمر كثيرا من ذلك و ذكرناه فيما تقدم.

قال بعض الأكاسره لعامل من عماله كيف نومك بالليل قال أنامه كله قال أحسنت لو سرقت ما نمت هذا النوم وَ تَفَقَّدُ أَمْرَ  
الْخَرَّاجِ بِمَا يُضِلُّحُ أَهْلَهُ فَإِنَّ فِي صِيَالِحِهِ وَ صِيَالِحِهِمْ صِيَالِحاً لِمَنْ سِوَاهُمْ وَ لَأَصِيَالِحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ  
عَلَى الْخَرَّاجِ وَ أَهْلِهِ وَ لِيَكُنْ نَظْرُكَ فِي عِمَارَةِ الْمَأْرُضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظْرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخَرَّاجِ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ وَ  
مَنْ طَلَبَ الْخَرَّاجَ بغيرِ عِمَارِهِ أَخْرَبَ الْبِلَادَ وَ أَهْلَكَ

ص : ٧٠

١- ١) فى «الرزق».

٢- ٢) فى «د» و «بعث».



الْعِبَادَ وَ لَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلَّا قَلِيلًا فَإِنْ شَكُوا ثِقَلًا أَوْ عَلَّهُ أَوْ انْقَطَعَ شَرْبٌ أَوْ بَالَهُ أَوْ إِحَالَهُ أَرْضٍ اغْتَمَرَهَا غَرَقٌ أَوْ أَجْحَفَ بِهَا عَطَشٌ خَفَّفَتْ عَنْهُمْ بِمَا تَزُجُو أَنْ يَصِلُحَ بِهِ أَمْرُهُمْ وَلَا يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّفَتْ بِهِ الْمُؤْنَةَ عَنْهُمْ فَإِنَّهُ ذُخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عَمَارِهِ بِلَادِكَ وَ تَزْيِينِ وَ لَأَيَّتِكَ مَعَ اسْتِجْلَابِكَ حُسْنِ ثَنَائِهِمْ وَ تَبَجُّحِكَ بِاسْتِغَاثِهِ الْعِدْلِ فِيهِمْ مُعْتَمِدًا فَضْلَ قُوَّتِهِمْ بِمَا ذَخَرْتَ عِنْدَهُمْ مِنْ إِجْمَاعِكَ لَهُمْ وَ الثَّقَةِ مِنْهُمْ بِمَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ وَ رِفْقِكَ بِهِمْ قُرْبَمَا حَدَثَ مِنَ الْأُمُورِ مَا إِذَا عَوَّلْتَ فِيهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدِ احْتِمَالُوهُ طَيْبَةً أَنْفُسِهِمْ بِهِ فَإِنَّ الْعُمَرَانَ مُحْتَمِلٌ مَا حَمَلْتَهُ وَ إِنَّمَا يُؤْتَى خَرَابُ الْأَرْضِ مِنْ إِعْوَاذِ أَهْلِهَا وَ إِنَّمَا يُعْوِزُ أَهْلُهَا لِإِشْرَافِ أَنْفُسِ الْوَلَاهِ عَلَى الْجَمْعِ وَ سُوءِ ظَنِّهِمْ بِالْبَقَاءِ وَ قَلِهِ انْتِفَاعِهِمْ بِالْعَبْرِ .

انتقل ع من ذكر العمال إلى ذكر أرباب الخراج و دهاقين السواد فقال تفقد أمرهم فإن الناس عيال عليهم و كان يقال استوصوا بأهل الخراج فإنكم لا تزالون سمانا ما سمنوا .

و رفع إلى أنوشروان أن عامل الأهواز قد حمل من مال الخراج ما يزيد على العاده و ربما يكون ذلك قد أجحف بالرعيه فوقع يرد هذا المال على من قد استوفى منه فإن تكثير الملك ماله بأموال رعيته بمنزله من يحصن سطوحه بما يقتلعه من قواعد بنيانه .

و كان على خاتم أنوشروان لا يكون عمران حيث يجور السلطان.

و روى استحلاب الخراج بالحاء .

ثم قال فإن شكوا ثقلا أى ثقل طسق (١) الخراج المضروب عليهم أو ثقل وطأه العامل.

قال أو عله نحو أن يصيب الغله آفه كالجراد و البرق أو البرد.

قال أو انقطاع شرب (٢) بأن ينقص الماء فى النهر أو تتعلق أرض الشرب عنه لفقد الحفر.

قال أو باله يعنى المطر.

قال أو إحاله أرض اغتمرها غرق يعنى أو كون الأرض قد حالت و لم يحصل منها ارتفاع لأن الغرق غمرها و أفسد زرعها.

قال أو أجحف بها عطش أى أتلّفها.

فإن قلت فهذا هو انقطاع الشرب قلت لا قد يكون الشرب غير منقطع و مع ذلك يجحف بها العطش بأن لا يكفيها الماء الموجود فى الشرب.

ثم أمره أن يخفف عنهم متى لحقهم شىء من ذلك فإن التخفيف يصلح أمورهم و هو و إن كان يدخل على المال نقصا فى العاجل إلا أنه يقتضى (٣) توفير زياده فى الآجل فهو بمنزلة التجاره التى لا بد فيها من إخراج رأس المال و انتظار عوده و عود ربحه.

ص: ٧٢

---

١-١) فى اللسان عن التهذيب: «الطسق شبه الخراج له مقدار معلوم؛ و ليس بعربى خالص».

٢-٢) الشرب بالكسر: النصيب من الماء.

٣-٣) فى د «يفضى إلى».

قال و مع ذلك فإنه يفضى إلى تزين بلادك بعمارتها و إلى أنك تبجح بين الولاة بإفاضه العدل فى رعيتك معتمدا فضل قوتهم و معتمدا منصوب على الحال من الضمير فى خفت الأولى أى خفت عنهم معتمدا بالتخفيف فضل قوتهم .  
و الإجمام الترفيه.

ثم قال له و ربما احتجت فيما بعد إلى تكلفهم بحادث يحدث عندك المساعدة بمال يقسطونه عليهم قرضا أو معونه محضه فإذا كانت لهم ثروه نهضوا بمثل ذلك طيبه قلوبهم (١) به.  
ثم قال ع فإن العمران محتمل ما حملته .

سمعت أبا محمد بن خليد و كان صاحب ديوان الخراج فى أيام الناصر لدين الله يقول لمن قال له قد قيل عنك إن واسط و البصره قد خربت لشده العنف بأهلها فى تحصيل الأموال فقال أبو محمد ما دام هذا الشط بحاله و النخل نابتا فى منابته بحاله ما تخرب واسط و البصره أبدا .

ثم قال ع إنما تؤتى الأرض أى إنما تدهى من إعواز أهلها أى من فقرهم.

قال و الموجب لإعوازهم طمع ولا-تهم فى الجبايه و جمع الأموال لأنفسهم و لسلطانهم و سوء ظنهم بالبقاء يحتمل أن يريد به أنهم يظنون طول البقاء و ينسون الموت و الزوال.

و يحتمل أن يريد به أنهم يتخيلون العزل و الصرف فينتهزون الفرص و يقتطعون الأموال و لا ينظرون فى عماره البلاد

ص: ٧٣

(١-١) فى د«نفوسهم».

وقد وجدت في عهد سابور بن أردشير إلى ابنه كلاما يشابه كلام أمير المؤمنين ع في هذا العهد و هو قوله و اعلم أن قوام أمرك بدرور الخراج و درور الخراج بعمارته البلاد و بلوغ الغايه في ذلك استصلاح أهله بالعدل عليهم و المعونه لهم فإن بعض الأمور لبعض سبب و عوام الناس لخواصهم عده و بكل صنف منهم إلى الآخر حاجه فاختر لذلك أفضل من تقدر عليه من كتابك و ليكونوا من أهل البصر و العفاف و الكفايه و استرسل إلى كل امرئ منهم شخصا (١) يضطلع به و يمكنه تعجيل الفراغ منه فإن اطلعت على أن أحدا منهم خان أو تعدى فنكل به و بالغ في عقوبته و احذر أن تستعمل على الأرض الكثير خراجها إلا البعيد الصوت العظيم شرف المنزله.

و لا تولين أحدا من قواد جندك الذين هم عده للحرب و جنه من الأعداء شيئا من أمر الخراج فلعلك تهجم من بعضهم على خيانه في المال أو تضييع للعمل فإن سوغته المال و أغضيت له على التضييع كان ذلك هلاكا و إضرارا بك و برعيتك و داعيه إلى فساد غيره و إن أنت كافأته فقد استفسدته و أضقت (٢) صدره و هذا أمر توقيه حزم و الإقدام عليه خرق و التقصير فيه عجز.

و اعلم أن من أهل الخراج من يلجئ بعض أرضه و ضياعه إلى خاصه الملك و بطانته لأحد أمرين أنت حري بكراهتهما إما لامتناع من جور العمال و ظلم الولاة و تلك منزله يظهر بها سوء أثر العمال و ضعف الملك و إخلاله بما تحت يده و إما للدفع عما يلزمهم

ص: ٧٤

١- ١) في د«شقصا».

٢- ٢) في د«و أضغنت».

من الحق و التيسر له و هذه خله تفسد بها آداب الرعيه و تنتقص بها أموال الملك فاحذر ذلك و عاقب الملتجئين و الملجأ إليهم ركب زياد يوما بالسوس يطوف بالضياح و الزروع فرأى عماره حسنه فتعجب منها فخاف أهلها أن يزيد في خراجهم فلما نزل دعا وجوه البلد و قال بارك الله عليكم فقد أحسنتم العماره و قد وضعت عنكم مائه ألف درهم ثم قال ما توفر على من تهالك غيرهم على العماره و أمنهم جورى أضعاف ما وضعت عن هؤلاء الآن و الذى وضعته بقدر ما يحصل من ذاك و ثواب عموم العماره و أمن الرعيه أفضل ربح ثم انظر في حلال كتابك فقول على أمورك خيرهم و اخضع رسائلك التى تدخل فيها مكايذك و أسرارك بأجمعهم [لوجود]

لوجود صالح الأخلاق ممن لا تبطره الكرامه فيجتري بها عليك في خلاف لك بحضره ملا و لا [تقصر]

تقصر به العفله عن إيراد مكاتبات عمالك عليك و إصدار جواباتها على الصواب عنك [و]

فيما يأخذ لك و يعطى منك و لا يضعف عقداً اعتقده لك و لا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك و لا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور فإن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك و استنامتك و حسن الظن منك

فَإِنَّ الرِّجَالَ [يَتَعَرَّضُونَ]

يَتَعَرَّفُونَ لِفِرَاسَاتِ الْوُلَاهِ بِتَصْنَعِهِمْ وَحُسْنِ [حَدِيثِهِمْ]

خَدَمَتِهِمْ وَ لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ يَحَهُ وَالْأَمَانَةِ شَيْءٌ وَ لَكِنْ اخْتَبَرَهُمْ بِمَا وُلُّوا لِلصَّالِحِينَ فَبَلَكَ فَاغْمَدُ لِأَحْسَنِهِمْ كَانَ فِي الْعَامَةِ  
أَثْرًا وَ أَعْرَفِهِمْ بِالْأَمَانَةِ وَجْهًا فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ لِلَّهِ وَ لِمَنْ وُلِّيتَ أَمْرُهُ وَ اجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأْسًا مِنْهُمْ  
لَا يَقْفَرُهُ كَثِيرُهَا وَ لَا يَتَشَتَّتْ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا وَ مَهْمَا كَانَ فِي كِتَابِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَعَايَيْتَ عَنْهُ أَلْزَمْتَهُ.

### فصل فيما يجب على مصاحب الملك

لما فرغ من أمر الخراج شرع في أمر (1) الكتاب الذين يلون أمر الحضرة و يترسلون عنه إلى عماله و أمرائه و إليهم معاهد التدبير  
و أمر الديوان فأمره أن يتخير الصالح منهم و من يوثق على الاطلاع على الأسرار و المكاييد و الحيل و التدبيرات و من لا يبطره  
الإكرام و التقريب فيطمع فيجتري على مخالفته في ملاء من الناس و الرد عليه ففي ذلك من الوهن للأمرير و سوء الأدب الذى  
انكشف الكاتب عنه ما لا خفاء به.

قال الرشيد للكسائي يا على بن حمزه قد أحللتناك المحل الذى لم تكن تبلغه همتك فرونا من الأشعار أعفها و من الأحاديث  
أجمعها لمحاسن الأخلاق و ذاكرنا بأداب الفرس و الهند و لا تسرع علينا الرد فى ملاء و لا تترك تنقيفنا فى خلاء.

و فى آداب ابن المقفع لا تكونن صحبتك للسلطان إلا بعد رياضه منك لنفسك على

ص: ٧٤

(١- ١) فى «ذكر».

طاعتهم فى المكروه عندك و موافقتهم فيما خالفك و تقدير الأمور على أهوائهم دون هواك فإن كنت حافظا إذا ولو ك حذرا إذا قربوك أمينا إذا ائتمنوك تعلمهم و كأنك تتعلم منهم و تأدبهم و كأنك تتأدب بهم و تشكر لهم و لا تكلفهم الشكر ذليلا إن صرموك راضيا إن أسخطوك و إلا فالبعد منهم كل البعد و الحذر منهم كل الحذر و إن وجدت عن السلطان و صحبته غنى فاستغن عنه فإنه من يخدم السلطان حق خدمته يخلى بينه و بين لذه الدنيا و عمل الأخرى و من يخدمه غير حق الخدمة فقد احتمل وزر الآخرة و عرض نفسه للهلكه و الفضيحة فى الدنيا فإذا صحبت السلطان فعليك بطول الملازمة من غير إملال و إذا نزلت منه بمنزله الثقة فاعزل عنه كلام الملق و لا- تكثر له من الدعاء و لا- تردن عليه كلاما فى حفل و إن أخطأ فإذا خلوت به فبصره فى رفق و لا يكونن طلبك ما عنده بالمسألة و لا تستبطئه و إن أبطأ و لا تخبرنه أن لك عليه حقا و أنك تعتمد عليه ببلاء و إن استطعت ألا- تنسى حقك و بلاءك بتجديد النصح و الاجتهاد فافعل و لا- تعطينه المجهود كله من نفسك فى أول صحبتك له و أعد موضعا للمزيد و إذا سأل غيرك عن شىء فلا تكن المجيب.

و اعلم أن استلابك الكلام خفه فيك و استخفاف منك بالسائل و المسئول فما أنت قائل إن قال لك السائل ما إياك سألت أو قال المسئول أجب بمجالسته و محادثته أيها المعجب بنفسه و المستخف بسلطانه.

و قال عبد الملك بن صالح لمؤدب ولده بعد أن اختصه بمجالسته و محادثته يا عبد الله كن على التماس الحظ فيك بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام فإنهم قالوا إذا أعجبك الكلام فاصمت و إذا أعجبك الصمت فتكلم و اعلم أن أصعب الملوك معاملة الجبار الفطن المتفقد فإن ابتليت بصحبته فاحترس و إن عوفيت فاشكر الله على السلامه فإن السلامه أصل كل نعمه لا تساعدنى على ما يقبح بى و لا تردن على

خطأ فى مجلس و لا تكلفنى جواب التشميت و التهئه و دع عنك كيف أصبح الأمير و كيف أمسى و كلمنى بقدر ما أستنتطقك و اجعل بدل التقريظ لى صواب الاستماع منى و اعلم أن صواب الاستماع أحسن من صواب القول فإذا سمعتنى أتحدث فلا يفوتنك منه شىء و أرنى فهمك إياه فى طرفك و وجهك فما ظنك بالملك و قد أحلك محل المعجب بما يسمعك إياه و أحلته محل من لا يسمع منه و كل من هذا يحبط إحسانك و يسقط حق حرمتك و لا تستدع الزيادة من كلامى بما تظهر من استحسان ما يكون منى فمن أسوأ حالا- ممن يستكدر الملوک بالباطل و ذلك يدل على تهاونه بقدر ما أوجب الله تعالى من حقهم و اعلم أنى جعلتك مؤدبا بعد أن كنت معلما و جعلتك جليسا مقربا بعد أن كنت مع الصبيان مباحدا فمتى لم تعرف نقصان ما خرجت منه لم تعرف رجحان ما دخلت فيه و قد قالوا من لم يعرف سوء ما أولى لم يعرف حسن ما أبلى ثم قال ع و ليكن كاتبك غير مقصر عن عرض مكتوبات عمالك عليك و الإجابة عنها حسن الوكاله و النيابة عنك فيما يحتج به لك عليهم من مكتوباتهم و ما يصدره عنك إليهم من الأجوبه فإن عقد لك عقدا قواه و أحكمه و إن عقد عليك عقدا اجتهد فى نقضه و حله قال و أن يكون عارفا بنفسه فمن لم يعرف قدر نفسه لم يعرف قدر غيره .

ثم نهاه أن يكون مستند اختياره لهؤلاء فراسته فيهم و غلبه ظنه بأحوالهم فإن التدليس ينم فى ذلك كثيرا و ما زال الكتاب يتصنعون للأمرء بحسن الظاهر و ليس وراء ذلك كثير طائل فى النصيحة و المعرفة و لكن ينبغى أن يرجع فى ذلك إلى ما حكمت



به التجربه لهم و ما ولوه من قبل فيان كانت ولايتهم و كتابتهم حسنه مشكوره فهم هم و إلا- فلا- و يتعرفون لفراسات الولاه يجعلون أنفسهم بحيث يعرف بضروب من التصنع و روى يتعرضون .

ثم أمره أن يقسم فنون الكتابه و ضروبها بينهم نحو أن يكون أحدهم للرسائل إلى الأطراف و الأعداء و الآخر لأجوبه عمال السواد و الآخره بحضره الأمير في خاصته و داره و حاشيته و ثقاته.

ثم ذكر له أنه مأخوذ مع الله تعالى بما يتغابى عنه و يتغافل من عيوب كتابه فإن الدين لا يبيح الإغضاء و الغفله عن الأعوان و الخول و يوجب التطلع عليهم

### فصل في الكتاب و ما يلزمهم من الآداب

و اعلم أن الكاتب الذى يشير أمير المؤمنين ع إليه هو الذى يسمى الآن فى الاصطلاح العرفى وزيرا لأنه صاحب تدبير حضره الأمير و النائب عنه فى أموره و إليه تصل مكتوبات العمال و عنه تصدر الأجوبه و إليه العرض على الأمير و هو المستدرک على العمال و المهيمن عليهم و هو على الحقيقه كاتب الكتاب و لهذا يسمونه الكاتب المطلق.

و كان يقال للكاتب على الملك ثلاث رفع الحجاب عنه و اتهام الوشاه عليه و إفشاء السر إليه.

و كان يقال صاحب السلطان نصفه و كاتبه كله و ينبغى لصاحب الشرطه أن يطيل الجلوس و يديم العبوس و يستخف بالشفاعات.

و كان يقال إذا كان الملك ضعيفا و الوزير شرها و القاضى جائرا فرقوا الملك شعاعا.

و كان يقال لا- تخف صوله الأمير مع رضا الكاتب و لا تثقن برضا الأمير مع سخط الكاتب و أخذ هذا المعنى أبو الفضل بن العميد فقال و زعمت أنك لست تفكر بعد ما

و كان يقال إذا لم يشرف الملك على أموره صار أغش الناس إليه وزيره.

و كان يقال ليس الحرب الغشوم بأسرع فى اجتياح (1) الملك من تضييع مراتب الكتاب حتى يصيبها أهل النذاله و يزهد فيها أولو الفضل

### فصل فى ذكر ما نصحت به الأوائل الوزراء

و كان يقال لا شىء أذهب بالدول من استكفاء الملك الأسرار.

و كان يقال من سعادته جد المرء ألا يكون فى الزمان المختلط وزيرا للسلطان.

و كان يقال كما أن أشجع الرجال يحتاج إلى السلاح و أسبق الخيل يحتاج إلى السوط و أحد الشفار يحتاج إلى المسن كذلك أحزم الملوك و أعقلهم يحتاج إلى الوزير الصالح.

و كان يقال صلاح الدنيا بصلاح الملوك و صلاح الملوك بصلاح الوزراء

ص : ٨٠

---

١-١) اجتياح الملك:الذهاب به.

و كما لا يصلح الملك إلا بمن يستحق الملك كذلك لا تصلح الوزارة إلا بمن يستحق الوزارة.

و كان يقال الوزير الصالح لا يرى أن صلاحه في نفسه كائن صلاحا حتى يتصل بصلاح الملك و صلاح رعيته و أن تكون عنايته فيما عطف الملك على رعيته و فيما استعطف قلوب الرعيه و العامه على الطاعه للملك و فيما فيه قوام أمر الملك من التدبير الحسن حتى يجمع إلى أخذ الحق تقديم عموم الأمن و إذا طرقت الحوادث كان للملك عده و عتادا و للرعيه كافيا محتاطا و من ورائها محاميا ذابا يعنيه من صلاحها ما لا يعنيه من صلاح نفسه دونها.

و كان يقال مثل الملك الصالح إذا كان وزيره فاسدا مثل الماء العذب الصافي و فيه التمساح لا يستطيع الإنسان و إن كان سابحا و إلى الماء ظامئا دخوله حذرا على نفسه.

قال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب القرظي حين استخلف لو كنت كاتبى و رداء لى على ما دفعت إليه قال لا أفعل و لكنى سأرشدك أسرع الاستماع و أبطئ فى التصديق حتى يأتىك واضح البرهان و لا تعملن ثبجتك فيما تكتفى فيه بلسانك و لا سوطك فيما تكتفى فيه بشبجتك و لا سيفك فيما تكتفى فيه بسوطك.

و كان يقال التقاط الكاتب للرشا و ضبط الملك لا يجتمعان.

و قال أبرويز لكاتبه اكنم السر و اصدق الحديث و اجتهد فى النصيحه و عليك بالحذر فإن لك على ألا أعجل عليك حتى أستأنى لك و لا أقبل فيك قولا حتى أستيقن و لا أطمع فيك أحدا فتغتا و اعلم أنك بمنجاه (1) رفعه فلا تحطنها و فى

ص: ٨١

(١-١) المنجاه: ما ارتفع من الأرض.

ظل مملكه فلا تستزيلنه قارب الناس مجامله من نفسك و باعدهم مسامحه عن عدوك و اقصد إلى الجميل ازدرعا لغدك و تنزه بالعفاف صونا لمروءتك و تحسن عندي بما قدرت عليه احذر لا تسرعن الألسنه عليك و لا تقبحن الأحداثه عنك و صن نفسك صون الدرہ الصافيه و أخلصها إخلاص الفضه البيضاء و عاتبها معاتبه الحذر المشفق و حصنها تحصين المدينه المنيعه لا تدعن أن ترفع إلى الصغير فإنه يدل على (١) الكبير و لا تكتمن عنى الكبير فإنه ليس بشاغل عن الصغير هذب أمورك ثم القنى بها و احكم أمرك ثم راجعنى فيه و لا تجترئن على فأمتعض و لا تنقبضن منى فأتهم و لا تمرضن ما تلقانى به و لا تخذجنه (٢) و إذا أفكرت فلا تجعل و إذا كتبت فلا تعذر و لا تستعن بالفضول فإنها علاوه على الكفايه و لا تقصرن عن التحقيق فإنها هجنه بالمقاله و لا تلبس كلاما بكلام و لا تبعدن معنى عن معنى و أكرم لى كتابك عن ثلاث خضوع يستخفه و انتشار يهجنه و معان تعقد به و اجمع الكثير مما تريد فى القليل مما تقول و ليكن بسطه كلامك على كلام السوقه كبسطه الملك الذى تحدثه على الملوک لا يكن ما نلته عظيما و ما تتكلم به صغيرا فإنما كلام الكاتب على مقدار الملك فاجعله عاليا كعلوه و فائقا كتفوقه فإنما جماع الكلام كله خصال أربع سؤالك الشىء و سؤالك عن الشىء و أمرک بالشىء و خبرك عن الشىء فهذه الخصال دعائم المقالات إن التمس إليها خامس لم يوجد و إن نقص منها واحد لم يتم فإذا أمرت فاحكم و إذا سألت فأوضح و إذا طلبت فأسمح و إذا أخبرت فحقق فإنك إذا فعلت ذلك أخذت بجرائم القول كله فلم يشته عليك وارده و لم تعجزك صادره أثبت فى دواوينك ما أخذت و أحص فيها ما أخرجت و تيقظ لما تعطى و تجرد لما تأخذ و لا يغلبنك النسيان عن الإحصاء و لا الأناه عن التقدم و لا تخرجن

ص: ٨٢

(١-١) كذا فى ا، و هو الوجه؛ و فى ب: «عن الكبير».

(٢-٢) التمريض: التوهين، و التخديج: أن تأتى بالشىء ناقصا.

وزن قيراط في غير حق ولا- تعظمن إخراج الألفوف الكثيره في الحق و ليكن ذلك كله عن مؤامرتي ثم استتوص بالتجار و ذوى الصناعات و أوص بهم خيراً المقيم منهم و المضطرب بماله و المترفق بيده فإنهم مواد المنافع و أسباب المرافق و جلابها من المبادئ و المطارح في برك و بحر ك و سهلك و جلاك و حيث لا يلتئم الناس لمواضعها و لا يجترئون عليها فإنهم سلم لا تخاف بائقته و صلح لا تخشى غائلته و تفقد أمورهم بحضرتك و في حواشي بلادك و اعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقاً فاحشاً و شحاً قبيحاً و احتكاراً للمنافع و تحكماً في البياعات و ذلك باب مضره للعامة و عيب على الولاه فامنع من الاحتكار فإن رسول الله ص منع منه و ليكن البيع بيعاً سميحاً بموازين عدل و أسعار لا تجحف بالفريقين من البائع و المشتاع فمن قارف حكره بعد نهيك إياه فنكل به و عاقبه [من]

في غير إشراف.

خرج ع الآن إلى ذكر التجار و ذوى الصناعات و أمره (1) بأن يعمل معهم الخير و أن يوصى غيره من أمرائه و عماله أن يعملوا معهم الخير و استوص بمعنى أوص

ص: ٨٣

(١ - ١) ا،ب: «أمره»، بدون واو.

نحو قر في المكان و استقر و علا قرنه و استعلاه.

و قوله استوص بالتجار خيرا أى أوص نفسك بذلك و منه

٤٤١٩

قول النبي ص استوصوا بالنساء خيرا.

و مفعولا- استوص و أوص هاهنا محذوفان للعلم بهما و يجوز أن يكون استوص أى اقبل الوصيه منى بهم و أوص بهم أنت غيرك.

ثم قسم ع الموصى بهم ثلاثة أقسام اثنان منها للتجار (١) و هما المقيم و المضطرب يعنى المسافر و الضرب السير فى الأرض قال تعالى إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ (٢) و واحد لأرباب الصناعات و هو قوله و المترفق بدنه و روى بيديه تشنيه يد .

و المطارح الأماكن البعيده.

و حيث لا يلتئم الناس

لا يجتمعون و روى حيث لا يلتئم بحذف الواو ثم قال فإنهم أولو سلم يعنى التجار و الصناعات استعطفه عليهم و استماله إليهم.

و قال ليسوا كعمال الخراج و أمراء الأجناد فجانبهم ينبغى أن يراعى و حالهم يجب أن يحاط و يحمى إذ لا يتخوف منهم بائنه لا فى مال يخونون فيه و لا فى دوله يفسدونها و حواشى البلاد أطرافها.

ثم قال له قد يكون فى كثير منهم نوع من الشح و البخل فيدعوهم ذلك إلى الاحتكار فى الأقوات و الحيف فى البياعات و الاحتكار (٣) ابتياع الغلات فى أيام

ص: ٨٤

١-١ (١) د: «التجار».

٢-٢ (٢) سورة النساء ١٠١.

٣-٣ (٣) د: «فالاحتكار».

رخصها و ادخارها فى المخازن (١) إلى أيام الغلاء و القحط و الحيف تطفيف فى الوزن و الكيل و زياده فى السعر (٢) و هو الذى عبر عنه بالتحكم و قد نهى رسول الله ص عن الاحتكار و أما التطفيف و زياد التسعير فمنهى عنهما فى نص الكتاب (٣) .

و قارف حكره واقعها و الحاء مضمومه و أمره أن يؤدب فاعل ذلك من غير إسراف و ذلك أنه دون المعاصى التى توجب الحدود فغايه أمره من التعزير الإهانه و المنع ثم الله الله فى الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين و المحتاجين و أهل البؤسى و الرمنى فإن فى هذه الطبقة قانعا و معترا و احفظ [الله]

لله ما استخفظك من حقه فيهم و اجعل لهم قسيما من بيت مالك و قسيما من غلات صوافى الاشلام فى كل بلد فإن للأقصى منهم مثل الذى للأذى و كل قد استزعت حقه و لا يشغلنك عنهم بطر فإنك لا تغدر [بتضييع التافه]

بتضييعك التافه لإحكامك الكثير المهم فلا تشخص همك عنهم و لا تصي عز خدك لهم و تفقد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تفتحهم العيون و تحقره الرجال ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشيه و التواضع فليزفع إليك أموره ثم اعمل فيهم بالإعذار إلى الله [سبحانه]

يوم تلقاه فإن هؤلاء من بين الرعيه أحوج إلى الأنصاف من غيرهم و كل فأعذر إلى الله فى تأديه حقه إليه

ص: ٨٥

١- ١) د: «المحارز».

٢- ٢) د: «التسعير».

٣- ٣) و هو قوله تعالى: وَيُلِّ لِلْمُطْفِئِينَ .

وَتَعَهَّدَ أَهْلَ الْيَتِيمِ وَ ذَوِي الرَّقَبِ فِي السَّنِّ مِمَّنْ لَا حِيلَةَ لَهُ وَ لَا يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ وَ ذَلِكَ عَلَى الْوَلَاهِ ثَقِيلٌ وَ الْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ وَ قَدْ يُخَفِّفُهُ اللَّهُ عَلَى أَقْوَامٍ طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ فَصَبَرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ وَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ اللَّهِ لَهُمْ .

انتقل من التجار و أرباب الصناعات إلى ذكر فقراء الرعيه و مغموريها فقال و أهل البؤسى و هى البؤس كالنعى للنعم و الزمنى أولو الزمانه.

و القانع السائل و المعتر الذى يعرض لك و لا يسألك و هما من ألفاظ الكتاب العزيز (١).

□  
و أمره أن يعطيهم من بيت مال المسلمين لأنهم من الأصناف المذكورين فى قوله تعالى وَ اعْلَمُوا أَنَّهَا غِنْمَةٌ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِإِخْوَانِهِ الْقُرْبَىٰ وَ الْيَتَامَىٰ وَ الْمَسَاكِينَ وَ ابْنِ السَّبِيلِ (٢) و أن يعطيهم من غلات صوافى الإسلام و هى الأرضون التى لم يوجف عليها ب خَيْلٍ وَ لَا رِكَابٍ وَ كانت صافيه لرسول الله ص فلما قبض صارت لفقراء المسلمين و لما يراه الإمام من مصالحي الإسلام .

ثم قال له فإن للأقصى منهم مثل الذى للأدنى أى كل فقراء المسلمين سواء فى سهامهم ليس فيها أقصى و أدنى أى لا تؤثر من هو قريب إليك أو إلى أحد من خاصتك على من هو بعيد ليس له سبب إليك و لا علقه بينه و بينك و يمكن أن يريد به لا تصرف غلات ما كان من الصوافى فى بعض البلاد إلى مساكين ذلك

ص: ٨٦

١- ١) و هو قوله تعالى فى سورة الحج ٣٦: فَكُلُوا مِنْهَا وَ اطْعِمُوا الْقَانِعَ وَ الْمُعْتَرَّ .

٢- ٢) سورة الأنفال ٤١.



البلد خاصه فإن حق البعيد عن ذلك البلد فيها كمثل حق المقيم في ذلك البلد .

و التافه الحقير و أشخصت زيدا من موضع كذا أخرجته عنه و فلان يصعر خده للناس أى يتكبر عليهم .

و تفتحمه العيون تزدرية و تحتقره و الإعدار إلى الله الاجتهاد و المبالغه فى تأديه حقه و القيام بفرائضه .

كان بعض الأكاسره يجلس للمظالم بنفسه و لا- يثق إلى غيره و يقعد بحيث يسمع الصوت فإذا سمعه أدخل المتظلم فأصيب بصمم فى سمعه فنادى مناديه أن الملك يقول أيها الرعيه إنى إن أصبت بصمم فى سمعى فلم أصب فى بصرى كل ذى ظلامه فليلبس ثوبا أحمر ثم جلس لهم فى مستشرف له .

و كان لأمير المؤمنين ع بيت سماه بيت القصص يلقى الناس فيه رقايعهم و كذلك كان فعل المهدي محمد بن هارون الواثق من خلفاء بنى العباس و اجعل لاندوى الحاجات منك قسيما تفرغ لهم فيه شخصك و تجلس لهم مجلسا عاما فتتواضع فيه لله الذى خلقك و تفعد عنهم جندك و أعوانك من أحراسك و شرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متنعين فإنى سمعت رسول الله ص يقول فى غير موطن لن تقدس أمه لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوى غير متنعين

ثُمَّ احْتَمَلَ الْخُرْقَ مِنْهُمْ وَالْعِيَّ وَنَحَّ عَنْهُمْ الضُّيْقَ وَالْمَأْنَفَ يَبْسُطُ اللَّهُ عَلَيْكَ بِذَلِكَ أَكْنَافَ رَحْمَتِهِ وَيُوجِبُ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ وَ  
أَعْطِي مَا أُعْطِيَتْ هَيْئًا وَامْنَعْ فِي إِجْمَالٍ وَإِعْذَارٍ ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لَا بِيَدٍ لَكَ مِنْ مُبَاشَرَتِهَا مِنْهَا إِجَابَةُ عَمَّا لَكَ بِمَا يَعْنِي عَنْهُ  
كُنَابُكَ وَ مِنْهَا إِصْدَارُ حَاجَاتِ النَّاسِ [عِنْدَ]

يَوْمَ وُرُودِهَا عَلَيْكَ بِمَا تَخْرُجُ بِهِ صُدُورُ أَعْوَانِكَ وَ أَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ .

هذا الفصل من تتمه ما قبله و قد روى حتى يكلمك مكلمهم فاعل من كلم و الروايه الأولى الأحسن.

و غير متتبع غير مزعج و لا- مقلق و المتتبع في الخبر النبوي المتردد المضطرب في كلامه عيا من خوف لحقه و هو راجع إلى  
المعنى الأول .

و الخرق الجهل و روى ثم احتمل الخرق منهم و الغي و الغي و هو الجهل أيضا و الروايه الأولى أحسن .

ثم بين له ع أنه لا بد له من هذا المجلس لأمر آخر غير ما قدمه ع و ذلك لأنه لا بد من أن يكون في حاجات الناس ما يضيق به  
صدور أعوانه و النواب عنه فيتعين عليه أن يباشرها بنفسه و لا بد من أن يكون في كتب عماله الوارده عليه

ما يعيا كتابه عن جوابه فيجيب عنه بعلمه و يدخل في ذلك أن يكون فيها ما لا يجوز في حكم السياسة و مصلحه الولاية أن يطلع الكتاب عليه فيجيب أيضا عن ذلك بعلمه .

ثم قال له لا تدخل عمل يوم في عمل يوم آخر فيتعبك و يكدرك فإن لكل يوم ما فيه من العمل و اجعل لنفسك فيما بينك و بين الله [تعالى]

أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيتِ وَ أَجْزَلَ الْأَقْسَامِ وَ إِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لِلَّهِ إِذَا صَلَحَتْ فِيهَا النَّيَّةُ وَ سَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ وَ لَيْكُنْ فِي خَاصِّهِ مَا تُخْلِصُ بِهِ لِلَّهِ دِينَكَ إِقَامَهُ فَرَائِضِهِ الَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّةٌ فَأَعِطِ اللَّهَ مِنْ يَدِنِكَ فِي لَيْلَتِكَ وَ نَهَارِكَ وَ وَفِّ مِمَّا تَقَرَّبْتَ بِهِ إِلَى اللَّهِ [سُبْحَانَهُ]

مِنْ ذَلِكَ كَامِلًا غَيْرَ مَثْلُومٍ وَ لَا مَنْقُوصٍ بِالْغَا مِنْ بَدَنِكَ مَا بَلَغَ وَ إِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ لِلنَّاسِ فَلَا تُكُونَنَّ مُنْفَرًّا وَ لَا مُضَيِّعًا فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَرِنَ بِهِ الْعِلَّةُ وَ لَهُ الْحَرَاةُ وَ قَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص حِينَ وَجَّهَنِي إِلَى الْيَمَنِ كَيْفَ أُصِلُّ بِهِمْ فَقَالَ صِلْ بِهِمْ كَصِيَالِهِ أَضْعَفِهِمْ وَ كُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا .

لما فرغ من وصيته بأمر رعيته شرع في وصيته بأداء الفرائض التي

افترضها الله عليه من عبادته و لقد أحسن ع في قوله و إن كانت كلها لله أى أن النظر فى أمور الرعيه مع صحه النبيه و سلامه الناس من الظلم من جمله العبادات و الفرائض أيضا.

ثم قال له كاملا غير مثلوم أى لا يحملنك شغل السلطان على أن تختصر الصلاة اختصارا بل صلها بفرائضها و سننها و شعائرها فى نهارك و ليلتك و إن أتعبك ذلك و نال من بدنك و قوتك .

ثم أمره إذا صلى بالناس جماعه ألا يطيل فينفرهم عنها و ألا يخدج الصلاة و ينقصها فيضيعها (١).

ثم روى خبرا عن النبي ص و هو قوله ع له صل بهم كصلاه أضعفهم و قوله و كن بالمؤمنين رحيفا يحتمل أن يكون من تتمه الخبر النبوى و يحتمل أن يكون من كلام أمير المؤمنين ع و الظاهر أنه من كلام أمير المؤمنين من الوصيه للأشتر لأن اللفظه الأولى عند أرباب الحديث هى المشهور فى الخبر و أما [بَعْدَ هَذَا]

بَعْدَ فَلَا تَطَوَّلَنَّ اخْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ فَإِنَّ اخْتِجَابَ الْوُلَاهِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شِعْبَةٌ مِنَ الضِّيْقِ وَقَلَّةُ عِلْمٍ بِالْأُمُورِ وَالِاخْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا اخْتَجَبُوا دُونَهُ فَيُضَيِّعُ عُرْءَهُمْ الْكَبِيرُ وَيَعْظُمُ الصَّغِيرُ وَيَقْبُحُ الْحَسَنُ وَيَحْسُنُ الْقَبِيحُ وَيُشَابُّ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ وَإِنَّمَا الْوَالِي بَشَرٌ لَا يَعْرِفُ مَا تَوَارَى عَنْهُ النَّاسُ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ وَ لَيْسَتْ عَلَى الْحَقِّ سِمَاتٌ تُعْرَفُ بِهَا ضُرُوبُ الصِّدْقِ مِنْ

ص : ٩٠

(١ - ١) د: «يفضعها».

الْكَذِبِ وَ إِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ إِمَّا امْرُؤٌ سَخَتْ نَفْسُكَ بِالْيَدْلِ فِي الْحَقِّ فَفِيمَ احْتِجَابِيكَ مِنْ وَاجِبِ حَقِّ تَعْطِيهِ أَوْ فِعْلٍ كَرِيمٍ  
تُسَدِّهِ أَوْ مُبْتَلًى بِالْمَنْعِ فَمَا أَسْرَعَ كَفَّ النَّاسِ عَنْ مَسْأَلَتِكَ إِذَا أَيْسُوا مِنْ بَدْلِكَ مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حَاجَاتِ النَّاسِ إِلَيْكَ [مَا]  
مِمَّا لَا مَثُونَهُ فِيهِ عَلَيْكَ مِنْ شَكَاةٍ مَظْلَمَةٍ أَوْ طَلَبِ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ .

نهاه عن الاحتجاب فإنه مظنه انطواء الأمور عنه و إذا رفع الحجاب دخل عليه كل أحد فعرف الأخبار و لم يخف عليه شيء من  
أحوال عمله .

ثم قال لم تحتجب فإن أكثر الناس يحتجبون كيلا يطلب منهم الرد.

و أنت فإن كنت جوادا سمحا لم يكن لك إلى الحجاب داع و إن كنت ممسكا فسيعلم الناس ذلك منك فلا يسألك أحد شيئا.

ثم قال على أن أكثر ما يسأل منك ما لا مثنونه عليه في ماله كرد ظلامه أو إنصاف من خصم

### ذكر الحجاب و ما ورد فيه من الخبر و الشعر

و القول في الحجاب كثير حضر باب عمر جماعه من الأشراف منهم سهيل بن عمرو و عيينه بن حصن و الأقرع بن حابس  
فحججوا ثم خرج الأذن فنادى أين عمار أين سلمان أين صهيب

فأدخلهم فتمعرت (١) وجوه القوم فقال سهيل بن عمرو لم تتمعروا وجوهكم دعوا و دعينا فأسرعوا و أبطأنا و لئن حسدتموهم على باب عمر اليوم لأنتم غدا لهم (٢) أحسد.

و استأذن أبو سفيان على عثمان فحجبه فقيل له حجبتك فقال لا عدمت من أهلي من إذا شاء حجبتني.

و حجبت معاوية أبا الدرداء فقيل لأبي الدرداء حجبتك معاوية فقال من يغش أبواب الملوك يهن و يكرم و من صادف بابا مغلقا عليه وجد إلى جانبه بابا مفتوحا إن سألت أعطى و إن دعا أجيب و إن يكن معاوية قد احتجب فرب معاوية لم يحتجب.

و قال أبرويز لحاجبه لا تضعن شريفا بصعوبه حجاب و لا ترفعن و ضيعا بسهولة ضع الرجال مواضع أخطارهم فمن كان قديما شرفه ثم ازدرعه (٣) و لم يهدمه بعد آبائه فقدمه على شرفه الأول و حسن رأيه الآخر و من كان له شرف متقدم و لم يصن ذلك حياطه له و لم يزدرعه تثمير المغارسه فألحق بآبائه من رفعه حاله ما يقتضيه سابق شرفهم و ألحق به فى خاصته ما ألحق بنفسه و لا- تأذن له إلا دبريا و إلا سرارا و لا تلحقه بطبقه الأولين و إذا ورد كتاب عامل من عمالي فلا تحبسه عنى طرفه عين إلا أن أكون على حال لا تستطيع الوصول إلى فيها و إذا أتاك من يدعى النصيحة لنا فلتكتبها سرا ثم أدخله بعد أن تستأذن له حتى إذا كان منى بحيث أراه فادفع إلى كتابه فإن أحمدت قبلت و إن كرهت رفضت و إن أتاك عالم مشتهر بالعلم و الفضل يستأذن فأذن له فإن العلم شريف و شريف صاحبه و لا تحجب عنى أحدا من أفناء الناس إذا أخذت مجلسى مجلس العامه فإن الملك لا يحجب إلا عن ثلاث عى يكره أن يطلع عليه منه أو بخل يكره أن يدخل عليه من يسأله أو ريبه هو مصر عليها فيشفق من إبدائها

ص: ٩٢

١-١) تمعرت وجوههم: تغيرت غيظا و حنقا.

٢-٢) ساقطه من د.

٣-٣) ازدرعه: أثبته.

ووقوف الناس عليها ولا بد أن يحيطوا بها علما وإن اجتهد في سترها وقد أخذ هذا المعنى الأخير محمود الوراق فقال إذا  
اعتصم الوالى بإغلاق بابه

أقام عبد العزيز بن زرارہ الكلابى على باب معاويه سنه فى شمله من صوف لا يأذن له ثم أذن له وقربه و أدناه و لطف محله  
عنده حتى ولاه مصر فكان يقال استأذن أقوام لعبد العزيز بن زرارہ ثم صار يستأذن لهم و قال فى ذلك دخلت على معاويه بن  
حرب

و يقال إنه قال له لما دخل عليه أمير المؤمنين دخلت إليك بالأمل و احتملت جفوتك بالصبر و رأيت ببابك أقواما قدمهم  
الحظ و آخريين أخرهم الحرمان فليس ينبغى للمقدم أن يأمن عواقب الأيام و لا للمؤخر أن يئأس من عطف الزمان.

و أول المعرفة الاختبار فابل و اختبر إن رأيت و كان يقال لم يلزم باب السلطان أحد فصبر على ذل الحجاب و كلام البواب و  
ألقي الأنف و حمل الضيم و أدام الملازمه إلا وصل إلى حاجته أو إلى معظمها.

قال عبد الملك لحاجبه إنك عين أنظر بها و جنبه أستلثم بها و قد وليتكم ما وراء بابي فما ذا تراكم صانعا برعيتي قال أنظر إليهم بعينك و أحملهم على قدر منازلهم عندك و أضعهم فى إبطائهم عن بابك و لزوم خدمتك مواضع استحقاقهم و أرتبهم حيث وضعهم ترتيبك و أحسن إبلاغهم عنك و إبلاغك عنهم قال لقد وفيت بما عليك و لكن إن صدقت ذلك بفعلك و قال دعبل و قد حجب عن باب مالك بن طوق لعمرى لئن حجبتى العبيد

و قال آخر سأترك هذا الباب ما دام إذنه

و كتب أبو العتاهيه إلى أحمد بن يوسف الكاتب و قد حجه و إن عدت بعد اليوم إنى لظالم يعنى ليله و نهاره.

استأذن رجلان على معاويه فأذن لأحدهما و كان أشرف منزله من الآخر ثم أذن للآخر فدخل فجلس فوق الأول فقال معاويه إن الله قد ألزمتنا تأديبكم

ص: ٩٤



كما أَلزَمنا رعايتكم و أنا لم نأذن له قبلك و نحن نريد أن يكون مجلسه دونك فقم لا أقام الله لك وزنا و قال بشار تَأبى خلائق  
خالد و فعاله

و قال آخر يهجو يا أميرا على جريب من الأر

و كتب بعضهم إلى جعفر بن محمد بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب أبا جعفر إن الولاية إن تكن

و من جيد ما مدح به بشر بن مروان قول القائل بعيد مراد الطرف ما رد طرفه

و قال بشار خليلي من كعب أعينا أحاكما

ص: ٩٥

و قال إبراهيم بن هرمة هش إذا نزل الوفود ببابه

و قال آخر و إني لأستحيى الكريم إذا أتى

و قال عبد الله بن محمد بن عيينه أتيتك زائرا لقضاء حق

و قال آخر ما ضاقت الأرض على راغب ثم إنَّ لِلوَالِي خَاصَّةً وَ بَطَانَةً فِيهِمْ اسْتِثْنَاءٌ وَ تَطَاوُلٌ وَ قَلَّةٌ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلِهِ فَاحْسِبْهُمْ  
[مُؤَنَّهُ]

مَادَّةٌ أَوْلِيكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ وَ لَا تُقْطِعَنَّ لِأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِكَ وَ حَامَتِكَ قَطِيعَةً وَ لَا يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي اعْتِقَادِ عُقْدِهِ تَضُرُّ  
بِمَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ فِي

ص: ٩٤

شَرِبَ أَوْ عَمِلَ مُشْتَرِكٍ يَحْمِلُونَ مَثُوتَهُ عَلَىٰ غَيْرِهِمْ فَيَكُونُ مَهْنَأً ذَلِكَ لَهُمْ دُونَكَ وَ عَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالزَّمِ الْحَقُّ  
مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ وَ كُنْ فِي ذَلِكَ صَابِرًا مُحْتَسِبًا وَاقِعًا ذَلِكَ مِنْ قَرَاتِكَ وَ [خَوَاصُّكَ]

خَاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ وَ ابْتِغِ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَثْقُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ فَإِنَّ مَعْبَهُ ذَلِكَ مَحْمُودَةٌ وَ إِنْ ظَنَنْتَ الرَّعِيَّةَ بِكَ حَيْنًا فَأَصْرِحْ لَهُمْ بِعُذْرِكَ وَ  
اعْدِلْ عَنْكَ ظُنُونَهُمْ بِأَصْرِحْ حَارِكٍ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ رِيَاضَةً مِنْكَ لِنَفْسِكَ وَ رِفْقًا بِرَعِيَّتِكَ وَ إِعْذَارًا تَبْلُغُ بِهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى  
الْحَقِّ .

نهاه ع عن أن يحمل أقاربه و حاشيته و خواصه على رقاب الناس و أن يمكنهم من الاستئثار عليهم و التطاول و الإذلال و نهاه من  
أن يقطع أحدا منهم قطيعه أو يملكه ضيعه تضر بمن يجاورها من الساده و الدهاقين (1) في شرب يتغلبون على الماء منه أو ضياع  
يضيفونها إلى ما ملكهم إياه و إعفاء لهم من مئونه أو حفر و غيره فيعفيهم الولاة منه مراقبه لهم فيكون مئونه ذلك الواجب  
عليهم قد أسقطت عنهم و حمل ثقلها على غيرهم.

ثم قال ع لأن منفعه ذلك في الدنيا تكون لهم دونك و الوزر في الآخره عليك و العيب و الدم في الدنيا أيضا لاحقان بك .

ثم قال له إن اتهمتكَ الرعيه بحيف عليهم أو ظنت بك جورا فاذا ذكر لهم عذرَكَ

ص: ٩٧

---

١- (١) الدهاقين: جمع دهقان؛ وهو من ألقاب الرؤساء في الأعاجم.

فى ذلك و ما عندك ظاهرا غير مستور فإنه الأولى و الأقرب إلى استقامتهم لك على الحق.

و أصحرت بكذا أى كشفته مأخوذ من الإصحار و هو الخروج إلى الصحراء.

و حامه الرجل أقاربه و بطانته و اعتقدت عقده أى ادخرت ذخيره و المهناً مصدر هنا كذا و مغبه الشىء عاقبته.

و اعدل عنك ظنونهم

نحها و الإعذار إقامة العذر

### طرف من أخبار عمر بن عبد العزيز و نزاهته فى خلافته

رد عمر بن عبد العزيز المظالم التى احتقبتها (١) بنو مروان فأبغضوه و ذموه و قيل إنهم سموه فمات.

و روى الزبير بن بكار فى الموفقيات أن عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز دخل على أبيه يوما و هو فى قائلته فأيقظه و قال له ما يؤمنك أن تؤتى فى منامك و قد رفعت إليك مظالم لم تقض حق الله فيها فقال يا بنى إن نفسى مطيتى إن لم أرفق بها لم تبلغنى إنى لو أتعبت نفسى و أعوانى لم يكن ذلك إلا قليلا- حتى أسقط و يسقطوا و إنى لأحتسب فى نومتى من الأجر مثل الذى أحتسب فى يقظتى إن الله جل ثناؤه لو أراد أن ينزل القرآن جملة لأنزله و لكنه أنزل الآيه و الآيتين حتى استكثر (٢) الإيمان فى قلوبهم.

ثم قال يا بنى مما أنا فيه أمر هو أهم إلى أهل بيتك هم أهل العده و العدد و قبلهم ما قبلهم فلو جمعت ذلك فى يوم واحد خشيت انتشارهم على و لكنى أنصف من الرجل

ص: ٩٨

١- ١) يقال احتقبت فلان الإثم؛ كأنه جمعه و احتقبه من خلفه.

٢- ٢) د: «استكبر».

والاثنين فيبلغ ذلك من وراءهما فيكون أنجع له فإن يرد الله إتمام هذا الأمر أتمه و إن تكن الأخرى فحسب عبد أن يعلم الله منه أنه يحب أن ينصف جميع رعيته.

و روى جويريه بن أسماء عن إسماعيل بن أبي حكيم قال كنا عند عمر بن عبد العزيز فلما تفرقنا نادى مناديه الصلاة جامعه فجئت المسجد فإذا عمر على المنبر فحمد الله و أثنى عليه ثم قال أما بعد فإن هؤلاء يعني خلفاء بنى أميه قبله قد كانوا أعطونا عطايا ما كان ينبغي لنا أن نأخذها منهم و ما كان ينبغي لهم أن يعطوناها و إنى قد رأيت الآن أنه ليس على فى ذلك دون الله حسيب و قد بدأت بنفسى و الأقربين من أهل بيتى اقرأ يا مزاحم فجعل مزاحم يقرأ كتابا فيه الإقطاعات بالضياح و النواحي ثم يأخذه عمر بيده فيقصه بالجلم (١) لم يزل كذلك حتى نودى بالظهر.

و روى الفرات بن السائب قال كان عند فاطمه بنت عبد الملك بن مروان جوهر جليل وهبها أبوها و لم يكن لأحد مثله و كانت تحت عمر بن عبد العزيز فلما ولي الخلافة قال لها اختارى إما أن تردى جوهرك و حليتك إلى بيت مال المسلمين و إما أن تأذنى لى فى فراقك فإنى أكره أن اجتمع أنا و أنت و هو فى بيت واحد فقالت بل أختارك عليه و على أضعافه لو كان لى و أمرت به فحمل إلى بيت المال فلما هلك عمر و استخلف يزيد بن عبد الملك قال لفاطمه أخته إن شئت رددته عليك قالت فإنى لا أشاء ذلك طبت عنه نفسا فى حياه عمر و أرجع فيه بعد موته لا و الله أبدا فلما رأى يزيد ذلك قسمه بين ولده و أهله.

و روى سهيل بن يحيى المروزى عن أبيه عن عبد العزيز عن عمر بن عبد العزيز قال لما دفن سليمان صعد عمر على المنبر فقال إنى قد خلعت ما فى رقبتى من بيعتكم فصاح الناس صيحه واحده قد اخترناك فنزل و دخل و أمر بالسور فهتكت

ص: ٩٩

و الثياب التي كانت تبسط للخلفاء فحملت إلى بيت المال ثم خرج و نادى مناديه من كانت له مظلمه من بعيد أو قريب من أمير المؤمنين فليحضر فقام رجل ذمى من أهل حمص أبيض الرأس و اللحية فقال أسألك كتاب الله قال ما شأنك قال العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني ضيعتي و العباس جالس فقال عمر ما تقول يا عباس قال أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد و كتب لي بها سجلا فقال عمر ما تقول أنت أيها الذمى قال يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله فقال عمر إيها لعمرى إن كتاب الله لأحق أن يتبع من كتاب الوليد اردد عليه يا عباس ضيعته فجعل لا يدع شيئا مما كان فى أيدي أهل بيته من المظالم إلا ردها مظلمه مظلمه.

و روى ميمون بن مهران قال بعث إلى عمر بن عبد العزيز و إلى مكحول و أبى قلابه فقال ما ترون فى هذه الأموال التي أخذها أهلى من الناس ظلما فقال مكحول قولاً ضعيفا كرهه عمر فقال أرى أن تستأنف و تدع ما مضى فنظر إلى عمر كالمستغيث بى فقلت يا أمير المؤمنين أحضر ولدك عبد الملك لننظر ما يقول فحضر فقال ما تقول يا عبد الملك فقال ما ذا أقول أ لست تعرف مواضعها قال بلى و الله قال فارددها فإن لم تفعل كنت شريكا لمن أخذها.

و روى ابن درستويه عن يعقوب بن سفيان عن جويريه بن أسماء قال كان بيد عمر بن عبد العزيز قبل الخلافه ضيعته المعروفه بالسهله و كانت باليمامة و كانت أمرا عظيما لها غله عظيمه كثيره إنما عيشه و عيش أهله منها فلما ولى الخلافه قال لمزاحم مولاة و كان فاضلا إنى قد عزمت أن أرد السهله إلى بيت مال المسلمين فقال مزاحم أ تدرى كم ولدك إنهم كذا و كذا قال فذرفت عيناه فجعل يستدمع و يمسح الدمعه بإصبعه الوسطى و يقول أكلهم إلى الله أكلهم إلى الله فمضى مزاحم فدخل على عبد الملك بن عمر فقال له ألا تعلم ما قد عزم عليه أبوك إنه يريد أن يرد السهله قال فما قلت

له قال ذكرت له ولده فجعل يستدمع و يقول أكلهم إلى الله فقال عبد الملك بئس وزير الدين أنت ثم وثب و انطلق إلى أبيه فقال للآذن استأذن لي عليه فقال إنه قد وضع رأسه الساعة للقائه فقال استأذن لي عليه فقال أ ما ترجمونه ليس له من الليل و النهار إلا هذه الساعة قال استأذن لي عليه لا أم لك فسمع عمر كلامهما فقال ائذن لعبد الملك فدخل فقال علي ما ذا عزمت قال أرد السهله قال فلا تؤخر ذلك قم الآن قال فجعل عمر يرفع يديه و يقول الحمد لله الذي جعل لي من ذريتي من يعينني على أمر ديني قال نعم يا بني أصلى الظهر ثم أصعد المنبر فأردها علانيه على رءوس الناس قال و من لك أن تعيش إلى الظهر ثم من لك أن تسلم نيتك إلى الظهر إن عشت إليها فقام عمر فصعد المنبر فخطب الناس و رد السهله .

قال و كتب عمر بن الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز لما أخذ بنى مروان برد المظالم كتابا أغلظ له فيه من جملته أنك أزريت على كل من كان قبلك من الخلفاء و عبتهم و سرت بغير سيرتهم بغضا لهم و شتأنا لمن بعدهم من أولادهم و قطعت ما أمر الله به أن يوصل و عمدت إلى أموال قريش و مواريتهم فأدخلتها بيت المال جورا و عدوانا فاتق الله يا ابن عبد العزيز و راقبه فإنك خصصت أهل بيتك بالظلم و الجور و و الذي خص محمد ص بما خصه به لقد ازددت من الله بعدا بولايتك هذه التي زعمت أنها عليك بلاء فأقصر عن بعض ما صنعت و اعلم أنك بعين جبار عزيز و في قبضته و لن يتركك على ما أنت عليه.

قالوا فكتب عمر جوابه أما بعد فقد قرأت كتابك و سوف أجيبك بنحو منه أما أول أمرك يا ابن الوليد فإن أمك نباته أمه السكون كانت تطوف في أسواق حمص و تدخل حوانيتها ثم الله أعلم بها اشتراها ذبيان بن ذبيان من فيء المسلمين فأهداها

لأبيك فحملت بك فبئس الحامل و بئس المحمول ثم نشأت فكنت جبارا عنيدا و تزعم أنى من الظالمين لأنى حرمتك و أهل بيتك فىء الله الذى هو حق القرابه و المساكين و الأرامل و إن أظلم منى و أترك لعهد الله من استعملك صيبا سفيها على جند المسلمين تحكم فيهم برأيك و لم يكن له فى ذاك نيه إلا حب الوالد ولده فويل لك و ويل لأبيك ما أكثر خصماء كما يوم القيامه و إن أظلم منى و أترك لعهد الله من استعمل الحجاج بن يوسف على خمسى العرب يسفك الدم الحرام و يأخذ المال الحرام و إن أظلم منى و أترك لعهد الله من استعمل قره بن شريك أعرابيا جافيا على مصر و أذن له فى المعازف و الخمر و الشرب و اللهو و إن أظلم منى و أترك لعهد الله من استعمل عثمان بن حيان على الحجاز فينشد الأشعار على منبر رسول الله ص و من جعل للعاليه البربريه سهما فى الخمس فرويدا يا ابن نباته و لو التقت حلقتا البطان (١) و رد الفىء إلى أهله لتفرغت لك و لأهل بيتك فوضعتكم على المحجه البيضاء فطالما تركتم الحق و أخذتم فى بنيات الطريق و من وراء هذا من الفضل ما أرجو أن أعمله بيع رقبتهك و قسم ثمنك بين الأرامل و اليتامى و المساكين فإن لكل فيك حقا و السلام علينا و لا ينال سلام الله الظالمين.

و روى الأوزاعى قال لما قطع عمر بن عبد العزيز عن أهل بيته ما كان من قبله يجرونه عليهم من أرزاق الخاصه فتكلم فى ذلك عنسه بن سعيد فقال يا أمير المؤمنين إن لنا قرابه فقال مالى إن يتسع لكم و أما هذا المال فحقكم فيه كحق رجل بأقصى برك الغماد (٢) و لا يمنعه من أخذه إلا بعد مكانه و الله إنى لأرى أن الأمور

ص: ١٠٢

١-١) التقت حلقتا البطان: مثل يضرب للأمر العظيم.

٢-٢) برك الغماد: موضع بين مكه و زبيد.



لو استحال حتى يصبح أهل الأرض يرون مثل رأيكم لنزلت بهم بائقة من عذاب الله.

و روى الأوزاعي أيضا قال قال عمر بن عبد العزيز يوما و قد بلغه عن بنى أميه كلام أغضبه إن لله فى بنى أميه يوما أو قال ذبحا و ايم الله لئن كان ذلك الذبح أو قال ذلك اليوم على يدي لأعذر الله فيهم قال فلما بلغهم ذلك كفوا و كانوا يعلمون صرامته و إنه إذا وقع فى أمر مضى فيه.

و روى إسماعيل بن أبى حكيم قال قال عمر بن عبد العزيز يوما لحاجبه لا تدخلن على اليوم إلا مروانيا فلما اجتمعوا قال يا بنى مروان إنكم قد أعطيتم حظا و شرفا و أموالا إني لأحسب شطر أموال هذه الأمة أو ثلثها فى أيديكم فسكتوا فقال أ لا تجيبونى فقال رجل منهم فما بالك قال إني أريد أن أنتزعها منكم فأردها إلى بيت مال المسلمين فقال رجل منهم و الله لا يكون ذلك حتى يحال بين رءوسنا و أجسادنا و الله لا نكفر أسلافنا و لا نفقر (١) أولادنا فقال عمر و الله لو لا أن تستعينوا على بمن أطلب هذا الحق له لأضرعت حدودكم قوموا عنى.

و روى مالك بن أنس قال ذكر عمر بن عبد العزيز من كان قبله من المروانية فعابهم و عنده هشام بن عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين إنا و الله نكره أن تعيب آباءنا و تضع شرفنا فقال عمر و أى عيب أعيب مما عابه القرآن .

و روى نوفل بن الفرات قال شكوا بنو مروان إلى عاتكة بنت مروان بن الحكم عمر فقالوا إنه يعيب أسلافنا و يأخذ أموالنا فذكرت ذلك له و كانت عظيمه عند بنى مروان فقال لها يا عمه إن رسول الله ص قبض و ترك

ص: ١٠٣

١-١) ب: «و نقرر».

الناس على نهر مورود فولى ذلك النهر بعده رجلا لم يستخفا أنفسهما و أهلهما منه بشيء ثم وليه ثالث فكرى منه ساقيه ثم لم تزل الناس يكرون منه السواقى حتى تركوه يابساً لا- قطره فيه و ايم الله لئن أبقانى الله لأسكرن (١) تلك السواقى حتى أعيد النهر إلى مجراه الأول قالت فلا يسبون إذا عندك قال و من يسبهم إنما يرفع الرجل مظلمته فأردها عليه.

و روى عبد الله بن محمد التيمى قال كان بنو أميه ينزلون عاتكه بنت مروان بن الحكم على أبواب قصورهم و كانت جليله الموضع عندهم فلما ولى عمر قال لا- يلى إنزالها أحد غيرى فأدخلوها على دابتها إلى باب قبه فأنزلها ثم طبق لها و سادتين إحداهما على الأخرى ثم أنشأ يمازحها و لم يكن من شأنه و لا من شأنها المزاح فقال أ ما رأيت الحرس الذين على الباب فقالت بلى و ربما رأيتهم عند من هو خير منك فلما رأى الغضب لا- يتحلل عنها ترك المزاح و سألها أن تذكر حاجتها فقالت إن قرابتك يشكونك و يزعمون أنك أخذت منهم خير غيرك قال ما منعتهم شيئاً هو لهم و لا أخذت منهم حقاً يستحقونه قالت إنى أخاف أن يهيجوا عليك يوماً عصيباً (٢) و قال كل يوم أخافه دون يوم القيامة فلا وقانى الله شره ثم دعا بدينار و مجمره و جلد فألقى الدينار فى النار و جعل ينفخ حتى احمر ثم تناوله بشيء فأخرجه فوضعه على الجلد فنش و فتر فقال يا عمه أ ما تأوين لابن أخيك من مثل هذا فقامت فخرجت إلى بنى مروان فقالت تزوجون فى آل عمر بن الخطاب فإذا نزعوا إلى الشبه (٣) جزعتم اصبروا له.

و روى وهيب بن الورد قال اجتمع بنو مروان على باب عمر بن عبد العزيز فقالوا لولد له قل لأبيك يأذن لنا فإن لم يأذن فأبلغ إليه عنا و سألهم فلم يأذن لهم و قال

ص: ١٠٤

١-١) سكر الساقية: سدها.

٢-٢) د: «أن يهيجوا عليك غضباً يوماً».

٣-٣) كذا فى د، و فى ا، ب «السنه».

فليقولوا فقالوا قل له إن من كان قبلك من الخلفاء كان يعطينا و يعرف لنا مواضعنا و إن أباك قد حرمننا ما في يديه فدخل إلى أبيه فأبلغه عنهم فقال اخرج فقل لهم إني أخافُ إن عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ عَظِيمٌ و روى سعيد بن عمار عن أسماء بنت عبيد قال دخل عنسه بن سعيد بن العاص على عمر بن عبد العزيز فقال يا أمير المؤمنين إن من كان قبلك من الخلفاء كانوا يعطوننا عطايا منعناها و لى عيال و ضيعه فأذن لى أخرج إلى ضيعتى و ما يصلح عيالى فقال عمر إن أحبكم إلينا من كفانا مئنته فخرج عنسه فلما صار إلى الباب ناداه أبا خالد أبا خالد فرجع فقال أكثر ذكر الموت فإن كنت فى ضيق من العيش وسعه عليك و إن كنت فى سعه من العيش ضيقه عليك.

و روى عمر بن على بن مقدم قال قال ابن صغير لسليمان بن عبد الملك لمزاحم إن لى حاجه إلى أمير المؤمنين عمر قال فاستأذنت له فأدخله فقال يا أمير المؤمنين لم أخذت قطيعتى قال معاذ الله إن آخذ قطيعه ثبتت فى الإسلام قال فهذا كتابى بها و أخرج كتابا من كمه فقراه عمر و قال لمن كانت هذه الأرض قال كانت للمسلمين قال فالمسلمون أولى بها قال فاردد على كتابى قال إنك لو لم تأتنى به لم أسألكه فأما إذ جئتنى به فلست أدعك تطلب به ما ليس لك بحق فبكى ابن سليمان فقال مزاحم يا أمير المؤمنين ابن سليمان تصنع به هذا قال و ذلك لأن سليمان عهد إلى عمر و قدمه على إخوته فقال عمر ويحك يا مزاحم إنى لأجد له من اللوط (1) ما أجد لولدى و لكنها نفسى أجادل عنها.

و روى الأوزاعى قال قال هشام بن عبد الملك و سعيد بن خالد بن عمر بن عثمان

ص: ١٠٥

---

١-١) فى اللسان: «قد لاط حبه بقلبي، أى لصق، و فى حديث أبى البخترى: ما أزعم أن عليا أفضل من أبى بكر و عمر؛ و لكن أجد له من اللوط ما لا أجد لأحد بعد النبى صلى الله عليه و سلم».

لعمر بن عبد العزيز يا أمير المؤمنين استأنف العمل برأيك فيما تحت يدك و خل بين من سبقك و بين ما ولوه عليهم كان أو لهم فإنك مستكف أن تدخل في خير ذلك و شره قال أنشد كما الله الذي إليه تعودان لو أن رجلا هلك و ترك بنين أصاغر و أكابر فغر الأكابر الأصاغر بقوتهم فأكلوا أموالهم ثم بلغ الأصاغر الحلم فجاءو كما بهم و بما صنعوا في أموالهم ما كنتما صانعين قالوا- كنا نرد عليهم حقوقهم حتى يستوفوها قال فإنني وجدت كثيرا ممن كان قبلي من الولاة غر الناس بسلطانه و قوته و آثر بأموالهم أتباعه و أهله و رهطه و خاصته فلما وليت أتوني بذلك فلم يسعني إلا الرد على الضعيف من القوى و على الدنيا من الشريف فقالا يوفق الله أمير المؤمنين و لا تدفعنَّ ضيلحاً دعاك إليه عدوك و لله فيه رضا فإن في الصلح دعه لجنودك و راحه من هُمومك و أمناً لبلاذك و لكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد ضيلحه فإن العدو ربما قارب ليتغفل فخذ بالحزم و اتهم في ذلك حسن الظن و إن عقدت بينك و بين [عدوك لك]

عِدُّوكَ عَقْدَهُ أَوْ أَلْبَسِيتهُ مِنْكَ ذِمَّةً فَحُطَّ عَهْدُكَ بِالْوَفَاءِ وَ انْعَ ذِمَّتُكَ بِالْأَمَانَةِ وَ اجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دُونَ مَا أُعْطِيَتْ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ شَيْءٌ النَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ اجْتِمَاعاً مَعَ تَفَرُّقِ أَهْوَائِهِمْ وَ تَشَابُهِتِ آرَائِهِمْ مِنْ تَعْظِيمِ الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ وَ قَدْ لَزِمَ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا اسْتَوْبَلُوا مِنْ عَوَاقِبِ الْعُدْرِ فَلَا تَعْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ وَ لَا تَخِيسَنَّ بَعْهْدِكَ وَ لَا تَخْتَلَنَّ عِدُّوكَ فَإِنَّهُ لَا يَجْتَرِي عَلَى اللَّهِ إِلَّا جَاهِلٌ شَقِيٌّ وَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ عَهْدَهُ وَ ذِمَّتَهُ أَمْنًا أَفْضَاهُ بَيْنَ الْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ

وَ حَرِيماً يَسْكُنُونَ إِلَى مَنَعَتِهِ وَ يَسْتَفِيضُونَ إِلَى جِوَارِهِ فَلَا إِذْغَالَ وَ لَا مُدَالَسَةَ وَ لَا خِدَاعَ فِيهِ وَ لَا [تَعْقِدُهُ]

تَعْقِدُ عَقْداً تُجَوِّزُ فِيهِ الْعِلَلَ وَ لَا تُعَوِّلَنَّ عَلَى لَحْنِ [الْقَوْلِ]

قَوْلٍ بَعِيدِ التَّأَكِيدِ وَ التَّوْتُّنَةِ وَ لَا يَدْعُونَكَ ضَمِيْقُ أَمْرٍ لَزِمَكَ فِيهِ عَهْدُ اللَّهِ إِلَى طَلَبِ انْفِصَاحِهِ بِغَيْرِ الْحَقِّ فَإِنَّ صَبْرَكَ عَلَى ضَمِيْقِ أَمْرٍ تَرْجُو انْفِرَاجَهُ وَ فَضْلَ عَاقِبَتِهِ خَيْرٌ مِنْ غَدْرِ تَخَافُ تَبَعْتَهُ وَ أَنْ تُحِيْطَ بِكَ مِنَ اللَّهِ طَلَبَهُ لَا [تَسْتَقْبِلُ] تَسْتَقْبِلُ فِيهَا دُنْيَاكَ وَ لَا آخِرَتَكَ .

أمره أن يقبل السلم و الصلح إذا دعى إليه لما فيه من دعه الجنود و الراحة من الهم و الأمن للبلاد و لكن ينبغي أن يحذر بعد الصلح من غائله العدو و كيده فإنه ربما قارب بالصلح ليتغفل أى يطلب غفلتك فخذ بالحزم و اتهم حسن ظنك لا تثق و لا تسكن إلى حسن ظنك بالعدو و كن كالطائر الحذر .

ثم أمره بالوفاء بالعهود قال و اجعل نفسك جنه دون ما أعطيت أى و لو ذهبت نفسك فلا تغدر .

و قال الراوندى الناس مبتدأ و أشد مبتدأ ثان و من تعظيم الوفاء خبره و هذا المبتدأ الثانى مع خبره خبر المبتدأ الأول و محل الجملة نصب لأنها خبر ليس و محل ليس مع اسمه و خبره رفع لأنه خبر فإنه و شىء اسم ليس و من فرائض الله حال و لو تأخر لكان صفة لشىء و الصواب أن شىء اسم ليس و جاز ذلك و إن كان نكره لاعتماده على النفى و لأن الجار و المجرور قبله فى موضع الحال كالصفة فتخصص بذلك و قرب من المعرفة و الناس مبتدأ و أشد خبره و هذه الجملة المركبه من مبتدأ

و خبر فى موضع رفع لأنها صفة شىء و أما خبر المبتدأ الذى هو شىء فمحذوف و تقديره فى الوجود كما حذف الخبر فى قولنا لا إله إلا الله أى فى الوجود و ليس يصح ما قال الراوندى من أن أشد مبتدأ ثان و من تعظيم الوفاء خبره لأن حرف الجر إذا كان خبرا لمبتدأ تعلق بمحذوف و هاهنا هو متعلق بأشد نفسه فكيف يكون خبرا عنه و أيضا فإنه لا يجوز أن يكون أشد من تعظيم الوفاء خبرا عن الناس كما زعم الراوندى لأن ذلك كلام غير مفيد أ لا ترى أنك إذا أردت أن تخبر بهذا الكلام عن المبتدأ الذى هو الناس لم يقم من ذلك صورة محصله تفيدك شيئا بل يكون كلاما مضطربا.

و يمكن أيضا أن يكون من فرائض الله فى موضع رفع لأنه خبر المبتدأ و قد قدم عليه و يكون موضع الناس و ما بعده رفع لأنه خبر المبتدأ الذى هو شىء كما قلناه أولا و ليس يمتنع أيضا أن يكون من فرائض الله منصوب الموضع لأنه حال و يكون موضع الناس أشد رفعا لأنه خبر المبتدأ الذى هو شىء.

ثم قال له ع و قد لزم المشركون مع شركهم الوفاء بالعهود و صار ذلك لهم شريعة و بينهم سنة فالإسلام أولى باللزوم و الوفاء.

و استوبلوا وجدوه وبيلا أى ثقيلًا استوبلت البلد أى استوخمتها و استثقلتها و لم يوافق مزاجك .

و لا تخيسن بعهدك

أى لا تغدرن خاس فلان بذمته أى غدر و نكث.

قوله و لا تختلن عدوك أى لا تمكرن به ختلته أى خدعته .

و قوله أفضاه بين عباده جعله مشتركا بينهم لا يختص به فريق دون فريق.

قال و يستفيضون إلى جواره أى ينتشرون فى طلب حاجاتهم و مآربهم ساكنين إلى جواره فإلى هاهنا متعلقه بمحذوف مقدر كقوله تعالى فى تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ (١) أى مرسلًا قال فلا إدغال أى لا إفساد و الدغل الفساد و لا مدالسه أى لا خديعه يقال فلان لا يوالس و لا يدالس أى لا يخادع و لا يخون و أصل الدلس الظلمه و التدليس فى البيع كتمان عيب السلعه عن المشتري .

ثم نهاء عن أن يعقد عقدا يمكن فيه التأويلات و العلل و طلب المخارج و نهاء إذا عقد العقد بينه و بين العدو أن ينقضه معولا على تأويل خفى أو فحوى قول أو يقول إنما عنيت كذا و لم أعن ظاهر اللفظه فإن العقود إنما تعقد على ما هو ظاهر فى الاستعمال متداول فى الاصطلاح و العرف لا على ما فى الباطن.

و روى انفساحه بالحاء المهمله أى سعته

### فصل فيما جاء فى الحذر من كيد العدو

قد جاء فى الحذر من كيد العدو و النهى عن التفريط فى الرأى السكون إلى ظاهر السلم أشياء كثيره و كذا فى النهى عن الغدر و النهى عن طلب تأويلات العهود و فسخها بغير الحق.

فرط عبد الله بن طاهر فى أيام أبيه فى أمر أشرف فيه على العطب و نجا بعد لأى (٢) فكتب إليه أبوه أتانى يا بنى من خبر تفريطك ما كان أكبر عندى من نعيك لو ورد لأنى لم أرج قط ألا تموت و قد كنت أرجو ألا تفتضح بترك الحزم و التيقظ.

و روى ابن الكلبي أن قيس بن زهير لما قتل حذيفه بن بدر و من معه بجفر الهباء

ص: ١٠٩

١-١) سورة النمل ١٢.

٢-٢) بعد لأى؛ بعد جهد.

خرج حتى لحق بالنمر بن قاسط و قال لا تنظر في وجهي غطفانيه بعد اليوم فقال يا معاشر النمر أنا قيس بن زهير غريب حريب  
طريد شريد موتور فانظروا لي امرأه قد أدبها الغنى و أذلها الفقر فزوجوه بامرأه منهم فقال لهم إني لا أقيم فيكم حتى أخبركم  
بأخلاقى أنا فخور غيور أنف و لست أفخر حتى أبتلى و لا- أغار حتى أرى و لا آنف حتى أظلم فرضوا أخلاقه فأقام فيهم حتى  
ولد له ثم أراد أن يتحول عنهم فقال يا معشر النمر إن لكم حقا على في مصاهرتي فيكم و مقامي بين أظهركم و إني موصيكم  
بخصال آمركم بها و أنهاكم عن خصال عليكم بالأناه فإن بها تدرك الحاجه و تنال الفرصه و تسويد من لا تعاون بتسويده و  
الوفاء بالعهود فإن به يعيش الناس و إعطاء ما تريدون إعطاءه قبل المسأله و منع ما تريدون منعه قبل الإنعام و إجاره الجار على  
الدهر و تنفيس البيوت عن منازل الأيامى و خلط الضيف بالعيال و أنهاكم عن الغدر فإنه عار الدهر و عن الرهان فإن به ثكلت  
مالكا أخی و عن البغى فإن به صرع زهير أبى و عن السرف في الدماء فإن قتلى أهل الهباءه أورثنى العار و لا تعطوا في الفضول  
فتعجزوا عن الحقوق و أنكحوا الأيامى الأكفاء فإن لم تصيوا بهن الأكفاء فخير بيوتهن القبور و اعلموا أنى أصبحت ظالما و  
مظلوما ظلمنى بنو بدر بقتلهم مالكا و ظلمتهم بقتلى من لا- ذنب له ثم رحل عنهم إلى غمار (1) فتنصر بها و عف عن المآكل  
حتى أكل الحنظل إلى أن مات إياك و الدماء و سفكها بغير حلتها فإنه ليس شئٌ أدعى لِنِقْمِهِ و لا أَعْظَمَ

ص: ١١٠

(١-١) غمار: اسم واد بنجد.



لِتَبِعَهُ وَلَا أُخْرَى بِزَوَالِ نِعْمِهِ وَانْقِطَاعِ مُدَّةِ مَنْ سَفَكَ الدَّمَاءَ بِغَيْرِ حَقِّهَا وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ مُتَبَدِّئٌ بِالْحُكْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ الدَّمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَا تُقَوِّينَ سُلْطَانَكُمْ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُضْعِفُهُ وَيُوهِنُهُ بَلْ يُزِيلُهُ وَيَنْقُلُهُ وَلَا عُذْرَ لَكَ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا عِنْدِي فِي قَتْلِ الْعَمْدِ لِأَنَّ فِيهِ قَوْدَ الْبَدَنِ وَإِنْ ابْتُلِيتَ بِخَطِيئَةٍ وَأَفْرَطَ عَلَيْكَ سَوْطُكَ أَوْ سَيْفُكَ أَوْ يَدُكَ بِالْعُقُوبَةِ فَإِنَّ فِي الْوَكْرَةِ فَمَا فَوْقَهَا مَقْتَلَةً فَلَا تَطْمَحَنَّ بِكَ نَخْوَةَ سُلْطَانِكَ عَنْ أَنْ تُؤَدَّى إِلَى أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ حَقَّهُمْ .

قد ذكرنا في وصيه قيس بن زهير أنفا النهى عن الإسراف في الدماء و تلك وصيه مبنية على شريعة الجاهلية مع حميتها و تهالكها على القتل و القتال و وصيه أمير المؤمنين ع مبنية على الشريعة الإسلامية و النهى عن القتل و العدوان الذى لا يسيغه الدين

٤٤٢٠

و قد ورد في الخبر المرفوع أن أول ما يقضى الله به يوم القيامة بين العباد أمر الدماء.

قال إنه ليس شىء أدمى إلى حلول النقم و زوال النعم و انتقال الدول من سفك الدم الحرام و إنك إن ظننت أنك تقوى سلطانك بذلك فليس الأمر كما ظننت بل تضعفه بل تعدمه بالكلية.

ثم عرفه أن قتل العمدة يوجب القود و قال له قود البدن أى يجب عليك هدم صورتك كما هدمت صورته المقتول و المراد إرهابه بهذه اللفظة أنها أبلغ من أن يقول له فإن فيه القود .

ثم قال إن قتلت خطأ أو شبه عمد كالضرب بالسوط فعليك الدية و قد اختلف

ص: ١١١

الفقهاء فى هذه المسأله فقال أبو حنيفه و أصحابه القتل على خمسة أوجه عمد و شبه عمد و خطأ و ما أجرى مجرى الخطأ و قتل بسبب.

فالعمد ما تعمد به ضرب الإنسان بسلاح أو ما يجرى مجرى السلاح كالمحدد من الخشب و ليطه (١) القصب و المروءه (٢) المحدده و النار و موجب ذلك المأثم و القود إلا أن يعفو الأولياء و لا كفاره فيه.

و شبه العمد أن يتعمد الضرب بما ليس بسلاح و لا أجرى مجرى السلاح كالحجر العظيم و الخشب العظيمه و موجب ذلك المأثم و الكفاره و لا قود فيه و فيه الديه مغظه على العاقله.

و الخطأ على وجهين خطأ فى القصد و هو أن يرمى شخصا يظنه صيدا فإذا هو آدمى و خطأ فى الفعل و هو أن يرمى غرضا فيصيب آدميا و موجب النوعين جميعا الكفاره و الديه على العاقله و لا مأثم فيه.

و ما أجرى مجرى الخطأ مثل النائم يتقلب على رجل فيقتله فحكمه حكم الخطأ و أما القتل بسبب فحافر البئر و واضع الحجر فى غير ملكه و موجب إذا تلف فيه إنسان الديه على العاقله و لا كفاره فيه.

فهذا قول أبى حنيفه و من تابعه و قد خالفه صاحبه أبو يوسف و محمد فى شبه العمد و قالا إذا ضربه بحجر عظيم أو خشبه غليظه فهو عمد قال و شبه العمد أن يتعمد ضربه بما لا يقتل به غالبا كالعصا الصغيره و السوط و بهذا القول قال الشافعى .

و كلام أمير المؤمنين ع يدل على أن المؤدب من الولاه إذا تلف تحت

ص: ١١٢

١-١) الليط: قشر القصب اللازق به.

٢-٢) المروءه: حجر أبيض براق؛ و فى الحديث: «قال له عدى بن حاتم: إذا أصاب أحدنا صيدا و ليس معه سكين، أ يذبح بالمروءه و شقه العصا؟».

يده إنسان في التأديب فعليه الدية و قال لى قوم من فقهاء الإماميه أن مذهبا أن لا ديه عليه و هو خلاف ما يقتضيه كلام أمير المؤمنين ع و إِيَّاكَ وَ الْإِعْرَابَ بِنَفْسِكَ وَ الثَّغَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا وَ حُبَّ الْبِاطِرَاءِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَوْثِقِ فُرْصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ لِيَمْتَحِقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ وَ إِيَّاكَ وَ الْمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ أَوْ التَّرْتِيدَ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ أَوْ أَنْ تَعَدَّهُمْ فَتَشِعَّ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ فَإِنَّ الْمَنَّ يُبْطِلُ الْإِحْسَانَ وَ التَّرْتِيدَ يَذْهَبُ بِنُورِ الْحَقِّ وَ الْخُلْفَ يُوجِبُ الْمَمَتَّ عِنْدَ اللَّهِ وَ النَّاسِ قَالَ اللَّهُ [سُبْحَانَهُ]

وَ تَعَالَى كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (١) وَ إِيَّاكَ وَ الْعَجَلَةَ بِالْأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا أَوْ [التَّسَاقُطَ]

التَّسَقُّطَ فِيهَا عِنْدَ إِمْكَانِهَا أَوْ اللَّجَاجَةَ فِيهَا إِذَا تَنَكَّرَتْ أَوْ الْوَهْنَ عَنْهَا إِذَا اسْتَوْصَحَتْ فَضَعَّ كُلُّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ وَ أَوْقَعَ كُلُّ [عَمَلٍ]

أَمْرٍ مَوْقِعُهُ وَ إِيَّاكَ وَ الْإِسْتِثْنَاءَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أَسْوَهُ وَ التَّعَابِي عَمَّا تُعْنَى بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ لِلْعُيُونِ فَإِنَّهُ مَا أُخِذَ مِنْكَ لِغَيْرِكَ وَ عَمَّا قَلِيلٍ تَنَكَّشَفُ عَنْكَ أَعْطِيَهُ الْأُمُورِ وَ يُتَّصَفُ مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ امْلِكْ حَمِيَّةَ أَنْفِكَ وَ سُورَةَ حَيْدِكَ وَ سَيْطَوَةَ يَدِكَ وَ غَزَبَ لِسَانِكَ وَ اخْتَرَسَ مِنْ كُلِّ ذَلِكِ بَكْفُ الْبَيَادِرَةِ وَ تَأْخِيرِ السَّطَوَةِ حَتَّى يَسِيْرَنَّ غَضَبُكَ فَتَمْلِكَ الْإِخْتِيَارَ وَ لَنْ تَحْكُمَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى تُكْتَبَ هُمُومَكَ بِذِكْرِ الْمَعَادِ إِلَى رَبِّكَ

ص: ١١٣

وَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضَى لِمَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ حُكُومِهِ عَادِلِهِ أَوْ سَيِّئِهِ فَاضْتَمَلَهُ أَوْ أَثَرَ عَنْ نَبِيِّنَا ص أَوْ فَرِيضِهِ فِي كِتَابِ اللَّهِ  
فَتَقْتَدِي بِمَا شَاهَدْتَ مِمَّا عَمَلْنَا بِهِ فِيهَا وَتَجْتَهِدَ لِنَفْسِكَ فِي اتِّبَاعِ مَا عَاهَدْتُ إِلَيْكَ فِي عَهْدِي هَذَا وَاسْتَوْتَقْتُ بِهِ مِنَ الْحُجَّةِ لِنَفْسِي  
عَلَيْكَ لِكَيْلَا تَكُونَ لَكَ عَلَهُ عِنْدَ تَسْرُعِ نَفْسِكَ إِلَى هَوَاهَا .

قد اشتمل هذا الفصل على وصايا نحن شارحوها منها قوله ع إياك و ما يعجبك من نفسك و الثقة بما يعجبك منها

٤٤٢١

قد ورد في الخبر ثلاث مهلكات شح مطاع و هوى متبع و إعجاب المرء بنفسه.

٤٤٢٢

و في الخبر أيضا لا وحشه أشد من العجب.

٤٤٢٣

و في الخبر الناس لآدم و آدم من تراب فما لابن آدم و الفخر و العجب.

٤٤٢٤

و في الخبر الجار ثوبه خيلاء لا ينظر الله إليه يوم القيامة .

٤٤٢٥

و في الخبر و قد رأى أبا دجانه يتبختر إنها لمشيئه يبغضها الله إلا بين الصفين.

و منها قوله و حب الإطراء ناظر المأمون محمد بن القاسم النوشجاني المتكلم فجعل يصدقه و يطريه و يستحسن قوله فقال  
المأمون يا محمد أراك تنقاد إلى ما تظن أنه يسرني قبل وجوب الحجج لي عليك و تطريني بما لست أحب أن أطري به و  
تستخذني لي في المقام الذي ينبغي أن تكون فيه مقاوما لي و محتجا علي و لو شئت أن أقسر الأمور بفضل بيان و طول لسان و  
أغضب الحجج بقوه الخلافه و أبهه الرئاسه لصدقت و إن كنت كاذبا و عدلت و إن كنت جائرا و صوبت و إن كنت مخطئا

ص: ١١٤

لكنى لا أرضى إلا بغلبه الحجبه و دفع الشبهه و إن أنقص الملوک عقلا و أسخفهم رأيا من رضى بقولهم صدق الأمير.

و أثنى رجل على رجل فقال الحمد لله الذى سترنى عنك و كان بعض الصالحين يقول إذا أطراه إنسان ليسألك (١) الله عن حسن ظنك .

و منها قوله و إياك و المن قال الله تعالى ﴿إِنَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يُبْطِلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ (٢) و كان يقال المن محبه للنفس مفسده للصنع.

و منها نهيه إياه عن التزيد فى فعله قال ع إنه يذهب بنور الحق و ذلك لأنه محض الكذب مثل أن يسدى ثلاثه أجزاء من الجميل فيدعى فى المجالس و المحافل أنه أسدى عشره و إذا خالط الحق الكذب أذهب نوره.

و منها نهيه إياه عن خلف الوعد قد مدح الله نبيا من الأنبياء و هو إسماعيل بن إبراهيم ع بصدق الوعد و كان يقال وعد الكريم نقد و تعجيل و وعد اللئيم مطل و تعطيل و كتب بعض الكتاب و حق لمن أزره بقول أن يثمر بفعل و قال أبو مقاتل الضرير قلت لأعرابي قد أكثر الناس فى المواعيد فما قولك فيها فقال بئس الشىء الوعد مشغله للقلب الفارغ متعبه للبدن الخافض خيره غائب و شره حاضر

٤٤٢٤

و فى الحديث المرفوع عده المؤمن كأخذ باليد.

فأما أمير المؤمنين ع فقال إنه يوجب المقمت و استشهد عليه بالآيه و المقمت البغض .

و منها نهيه عن العجله و كان يقال أصاب مثبث أو كاد و أخطأ عجل أو كاد و فى المثل رب عجله تهب ريثا و ذمها الله تعالى فقال خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ (٣) .

ص: ١١٥

١-١ فى «الاساء ك».

٢-٢ سورة البقره ٢٤٤.

٣-٣ سورة الأنبياء ٣٧.

و منها نهيه عن التساقط فى الشىء الممكن عند حضوره و هذا عبارته عن النهى عن الحرص و الجشع قال الشنفرى و إن مدت الأيدى إلى الزاد لم أكن بأعجلهم إذ أجشع القوم أعجل.

و منها نهيه عن اللجاجة فى الحاجة إذا تعذرت كان يقال من لاج الله فقد جعله خصما و من كان الله خصمه فهو مخصوم قال الغزى دعها سماويه تجرى على قدر لا تفسدنها برأى منك معكوس.

و منها نهيه له عن الوهن فيها إذا استوضحت أى وضحت و انكشفت و يروى و استوضحت فعل ما لم يسم فاعله و الوهن فيها إهمالها و ترك انتهاز الفرصه فيها قال الشاعر فإذا أمكنت فبادر إليها حذرا من تعذر الإمكان .

و منها نهيه عن الاستثار و هذا هو الخلق النبوى

٤٤٢٧

١٤- غنم رسول الله ص غنائم خير و كانت ملء الأرض نعما فلما ركب راحلته و سار تبعه الناس يطلبون الغنائم و قسمها و هو ساكت لا يكلمهم و قد أكثروا عليه إلحاحا و سؤالا فمر بشجره فخطفت (١) رداءه فالتفت فقال ردوا على ردائى فلو ملكت بعدد رمل تهامه مغنما لقسمته بينكم عن آخره ثم لا تجدوننى بخيلا و لا جبانا و نزل و قسم ذلك المال عن آخره عليهم كله لم يأخذ لنفسه منه وبره

و منها نهيه له عن التغابى و صورته ذلك أن الأمير يومئ إليه أن فلانا من خاصته يفعل كذا و يفعل كذا من الأمور المنكره و يرتكبها سرا فيتغابى عنه و يتغافل نهاه ع عن ذلك و قال إنك مأخوذ منك لغيرك أى معاقب تقول اللهم خذ لى من فلان بحقى أى اللهم انتقم لى منه .

ص: ١١٦

١- (١) د«فاختطفت».

و منها نهيه إياه عن الغضب و عن الحكم بما تقتضيه قوته الغضبيه حتى يسكن غضبه قد جاء

٤٤٢٨

فى الخبر المرفوع لا يقضى القاضى و هو غضبان.

فإذا كان قد نهى أن يقضى القاضى و هو غضبان على غير صاحب الخصومه فبالأولى أن ينهى الأمير عن أن يسطو على إنسان و هو غضبان عليه.

و كان لكسرى أنوشروان صاحب قد رتبه و نصبه لهذا المعنى يقف على رأس الملك يوم جلوسه فإذا غضب على إنسان و أمر به قرع سلسله تاجه بقضيب فى يده و قال له إنما أنت بشر فارحم من فى الأرض يرحمك من فى السماء و من هذا العهد و هو آخِزُهُ وَ أَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ وَ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَىٰ إعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ أَنْ يُوفِّقَنِي وَ إِيَّاكَ لِمَا فِيهِ رِضَاهُ مِنْ الإِقَامَةِ عَلَى الْعِزِّ وَالْوَأْدِجِ إِلَيْهِ وَ إِلَى خَلْقِهِ مِنْ حُسْنِ الثَّنَاءِ فِي الْعِبَادِ وَ جَمِيلِ الأَثَرِ فِي الْبِلَادِ وَ تَمَامِ النُّعْمَةِ وَ تَضَعِيفِ الْكِرَامَةِ وَ أَنْ يَخْتِمَ لِي وَ لَكَ بِالسَّعَادَةِ وَ الشَّهَادَةِ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ (١) وَ السَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ [عَلَى]

(٢) آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وَ سَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا وَ السَّلَامُ .

روى كل رغيبه و الرغيبه ما يرغب فيه فأما الرغيبه فمصدر رغب فى كذا كأنه قال القادر على إعطاء كل سؤال أى إعطاء كل سائل ما سأله.

ص: ١١٧

١- ١) فى د«و انا إليه داغبون».

٢- ٢) من «د».

و معنى قوله من الإقامه على العذر أى أسأل الله أن يوفقنى للإقامه على الاجتهاد و بذل الوسع فى الطاعه و ذلك [لأنه]

(١) إذا بذل جهده فقد أعذر ثم فسر اجتهاده فى ذلك فى رضا الخلق و لم يفسر اجتهاده فى رضا الخالق لأنه معلوم فقال هو حسن الثناء فى العباد و جميل الأثر فى البلاد .

فإن قلت فقوله و تمام النعمه على ما ذا تعطفه قلت هو معطوف على ما من قوله لما فيه كأنه قال أسأل الله توفيقى لذا و لتمام النعمه أى و لتمام نعمته على و تضاعف كرامته لدى و توفيقه لهما هو توفيقه للأعمال الصالحه التى يستوجبها بها

### [فصل فى ذكر بعض وصايا العرب ]

و ينبغى أن يذكر فى هذا الموضع وصايا من كلام قوم من رؤساء العرب أوصوا بها أولادهم و رهطهم فيها آداب حسان و كلام فصيح و هى مناسبه لعهد أمير المؤمنين ع هذا و وصاياهم المودعه فيه و إن كان كلام أمير المؤمنين ع أجل و أعلى من أن يناسبه كلام لأنه قبس من نور الكلام الإلهى و فرع من دوحه المنطق النبوى.

روى ابن الكلبي قال لما (٢) حضرت الوفاه أوس بن حارثه أخا الخزرج لم يكن له ولد غير مالک بن الأوس و كان لأخيه الخزرج خمسه قيل له كنا نأمرک بأن تتزوج فى شبابک فلم تفعل حتى حضرک الموت و لا ولد لك إلا مالک فقال لم يهلك هالك ترك مثل مالک و إن كان الخزرج ذا عدد و ليس لمالک ولد فلعل الذى استخرج

ص: ١١٨

١-١) من د.

٢-٢) أمالى القالى ١:٢٠.



العذق من الجريمة (١) و النار من الوثيمه (٢) أن يجعل لمالك نسلا و رجالا بسلا (٣) و كلنا إلى الموت يا مالك المنيه و لا الدنيه و العتاب قبل العقاب و التجلد لا التبلد و اعلم أن القبر خير من الفقر و من لم يعط قاعدا حرم قائما و شر الشرب الاشتفاف و شر الطعام الاقتفاف (٤) و ذهاب البصر خير من كثير من النظر و من كرم الكريم الدفع عن الحریم و من قل ذل و خير الغنى القناعه و شر الفقر الخضوع الدهر صرفان صرف رخاء و صرف بلاء و اليوم يومان يوم لك و يوم عليك فإذا كان لك فلا تبطر و إذا كان عليك فاصطبر و كلاهما سينحسر (٥) و كيف بالسلامه لمن ليست له إقامه و حياك ربك.

و أوصى (٦) الحارث بن كعب بنيه فقال يا بنى قد أتت على مائه و ستون سنه ما صافحت يمينى يمين غادر و لا قنعت لى نفسى بخله فاجر و لا صبوت بابنه عم و لا كنه (٧) و لا بحت لصديق بسر و لا طرحت عن مومسه قناعا و لا بقى على دين عيسى بن مريم و قد روى على دين شعيب من العرب غيرى و غير تميم بن مر بن أسد بن خزيمه فموتوا على شريعتى و احفظوا [على]

(٨) وصيتى و إلهكم فاتقوا يكفكم ما أهمكم و يصلح لكم حالكم و إياكم و معصيته فيحل بكم الدمار و يوحش منكم الديار كونوا جميعا و لا تفرقوا فتكنوا شيعا و بزوا قبل أن تبزوا (٩) فموت

ص: ١١٩

١-١) الجريمة:النواه،و العذق:النخله.

٢-٢) الوثيمه:الصخره.

٣-٣) بسل:جمع باسل؛و هو الشجاع.

٤-٤) الاشتفاف:الامتصاص و الاقتفاف:الأخذ بعجله.

٥-٥) يعنى ينكشف.

٦-٦) الوصايا ١٢٣،و نسب هذه الوصيه إلى مالك بن المنذر البجليّ.قال:«و قد كان أصاب دما فى قومه؛ فخرج هاربا بأهله حتى أتى بهم بنى هلال،فلما احتضر أوصى بنيه،و أمرهم أن يعطوا قومه النصف من حدثه الذى أحدثه فيهم.

٧-٧) الكنه:امرأه الابن أو الأخ.

٨-٨) تكمله من د.

٩-٩) بزّه:سلبه.

فى عز خير من حياه فى ذل و عجز و كل ما هو كائن كائن و كل جمع إلى تباين و الدهر صرفان صرف بلاء و صرف رخاء و اليوم يومان يوم حبره (١) و يوم عبره و الناس رجلان رجل لك و رجل عليك زوجا النساء الأكفاء و إلا فانظروا بهن القضاء و ليكن أطيب طيبهم الماء و إياكم و الورهاء فإنها أدوأ الداء و إن ولدها إلى أفن (٢) يكون لا- راحه لقاطع القرابه و إذا اختلف القوم أمكنوا عدوهم و آفه العدد اختلاف الكلمه و التفضل بالحسنه يقى السيئه و المكافأه بالسيئه دخول فيها و عمل السوء يزيل النعماء و قطيعه الرحم تورث الهم و انتهاك الحرمه يزيل النعمه و عقوق الوالدين يعقب النكد و يخرب البلد و يمحق العدد و الإسراف فى النصيحه هو الفضيحه و الحقد منع الرفد و لزوم الخطيئه يعقب البليه و سوء الدعه (٣) يقطع أسباب المنفعه و الضغائن تدعو إلى التباين يا بنى إني قد أكلت مع أقوام و شربت فذهبوا و غربت و كأنى بهم قد لحقت ثم قال أكلت شبابى فأفنيته

وصى أكنم بن صيفى بنيه و رهطه فقال يا بنى تميم لا يفوتكنم وعظى إن فاتكنم الدهر بنفسى إن بين حيزومى و صدرى لكلاما لا أجد له مواقع إلا (٤) أسماعكم و لا مقار إلا قلوبكم فتلقوه بأسماع مصغيه و قلوب دواعيه تحمدوا مغبته الهوى

ص: ١٢٠

١-١ (١) الحبره: السرور.

٢-٢ (٢) الأفن: الفساد.

٣-٣ (٣) الوصايا: «الرعه».

٤-٤ (٤) فى د«غير».

يقضان و العقل راقدا و الشهوات مطلقه و الحزم معقول و النفس مهمله و الرويه مقيده و من جهه التوانى و ترك الرويه يتلف الحزم و لن يعدم المشاور مرشدا و المستبد برأيه موقوف على مداحض الزلل و من سمع سمع به و مصارع الرجال تحت بروق الطمع و لو اعتبرت مواقع المحن ما وجدت إلا فى مقاتل الكرام و على الاعتبار طريق الرشاد و من سلك الجدد (١) أمن العثار و لن يعدم الحسود أن يتعب قلبه و يشغل فكره و يورث غيظه و لا تجاوز مضرتة نفسه يا بنى تميم الصبر على جرع الحلم أعذب من جنا ثمر الندامه و من جعل عرضه دون ماله استهدف للذم و كلم اللسان أنكى من كلم السنان و الكلمه مرهونه ما لم تنجم من الفم فإذا نجمت مزجت فهى أسد محرب أو نار تلهب و رأى الناصح الليب دليل لا يجوز و نفاذ رأى فى الحرب أجدى من الطعن و الضرب.

و أوصى يزيد بن المهلب ابنه مخلدا حين استخلفه على جرجان فقال له يا بنى قد استخلفتك على هذه البلاد فانظر هذا الحى من اليمن فكن لهم كما قال الشاعر إذا كنت مرتاد الرجال لنفعمهم فرش و اصطنع عند الذين بهم ترمى.

و انظر هذا الحى من ربيعه فإنهم شيعتك و أنصارك فاقض حقوقهم و انظر هذا الحى من تميم فأمطرهم (٢) و لا تزه لهم و لا تدنهم فيطمعوا و لا تقصمهم فيقطعوا و انظر هذا الحى من قيس فإنهم أكفاء قومك فى الجاهليه و مناصفهم المآثر فى الإسلام و رضاهم منك البشرى يا بنى إن لأبيك صنائع فلا تفسدها فإنه كفى بالمرء نقصا أن يهدم ما بنى أبوه و إياك و الدماء فإنه لا تقيه معها و إياك و شتم الأعراض فإن الحر

ص: ١٢١

---

١-١) الجدد: الأرض المستويه.

٢-٢) د«فانظرهم».

لا يرضيه عن عرضه عوض و إياك و ضرب الأبخار فإنه عار باق و وتر مطلوب و استعمل على النجده و الفضل دون الهوى و لا تعزل إلا عن عجز أو خيانه و لا يمنعك من اصطناع الرجل أن يكون غيرك قد سبقك إليه فإنك إنما تصطنع الرجال لفضلها و ليكن صنيعك عند من يكافئك عنه العشائر احمل الناس على أحسن أدبك يكفوك أنفسهم و إذا كتبت كتابا فأكثر النظر فيه و ليكن رسولك فيما بيني و بينك من يفقه عني و عنك فإن كتاب الرجل موضع عقله و رسوله موضع سره و أستودعك الله فلا بد للمودع أن يسكت و للمشيح أن يرجع و ما عفا من المنطق و قل من الخطيئه أحب إلى أبيك.

و أوصى قيس بن عاصم المنقري بنيه فقال يا بني خذوا عني فلا- أحد أنصح لكم مني إذا دفتموني فانصرفوا إلى رحالكم فسودوا أكبركم فإن القوم إذا سودوا أكبرهم خلفوا أباهم و إذا سودوا أصغرهم أزرى ذلك بهم في أكفائهم و إياكم و معصيه الله و قطيعه الرحم و تمسكوا بطاعه أمرائكم فإنهم من رفعوا ارتفع و من وضعوا اتضع و عليكم بهذا المال فأصلحوه فإنه منبهه للكريم و جنة لعرض اللئيم و إياكم و المسأله فإنها آخر كسب الرجل و إن أحدا لم يسأل إلا ترك الكسب و إياكم و النياحه فإنني سمعت رسول الله ص ينهى عنها و ادفنوني في ثيابي التي كنت أصلى فيها و أصوم و لا يعلم بكر بن وائل بمدفني فقد كانت بيني و بينهم مشاحنات في الجاهليه و الإسلام و أخاف أن يدخلوا عليكم بي عارا و خذوا عني ثلاث خصال إياكم و كل عرق لئيم أن تلبسوه فإنه إن يسرركم اليوم يسؤكم غدا و اكظموا الغيظ و احذروا بني أعداء آبائكم فإنهم على منهاج آبائهم ثم قال

أحيا الضغائن آباء لنا سلفوا

فلن تبديد وللآباء أبناء.

قال ابن الكلبي فيحكي الناس هذا البيت سابقا للزبير و ما هو إلا لقيس بن عاصم .

و أوصى عمرو بن كلثوم التغلبي (١) [بنيه]

(٢) فقال يا بنى إني قد بلغت من العمر ما لم يبلغ أحد من آبائي و أجدادى و لا بد من أمر مقتبل و أن ينزل بى ما نزل بالآباء و الأجداد و الأمهات و الأولاد فاحفظوا عنى ما أوصيكم به إني و الله ما عيرت رجلا قط أمرا إلا عيرنى مثله إن حقا فحق و إن باطلا فباطل و من سب سب فكفوا عن الشتم فإنه أسلم لأعراضكم و صلوا أرحامكم تعمر داركم (٣) و أكرموا جاركم بحسن ثنائكم و زوجوا بنات العم بنى العم فإن تعديتم بهن إلى الغرباء فلا تألوا بهن [عن]

(٤) الأكفاء و أبعدوا بيوت النساء من بيوت الرجال فإنه أغض للبصر و أعف للذكر و متى كانت المعايين و اللقاء ففى ذلك داء من الأدواء و لا - خير فيمن لا - يغار لغيره كما يغار لنفسه و قل من انتهك حرمة لغيره إلا انتهك حرمة و امنعوا القريب من ظلم الغريب فإنك تدل على قريبك و لا يجمل بك ذل غريبك و إذا تنازعتم فى الدماء فلا يكن حركم الكفاء فرب رجل خير من ألف و ود خير من خلف و إذا حدثتم فعوا و إذا حدثتم فأوجزوا فإن مع الإكثار يكون الإهدار و موت عاجل خير من ضنى آجل و ما بكيت من زمان إلا دهانى بعده زمان و ربما شجانى (٥) من لم يكن أمره

ص: ١٢٣

١- ١) ب: «التغلبى» تحريف.

٢- ٢) تكمله من د.

٣- ٣) فى «دياركم».

٤- ٤) من د.

٥- ٥) شجانى: أحزننى.

عنانى و ما عجبت من أحدثه إلا رأيت بعدها أعجوبه و اعلموا أن أشجع القوم العطوف و خير الموت تحت ظلال السيوف و لا خير فيمن لا رويه له عند الغضب و لا فيمن إذا عوتب لم يعتب و من الناس من لا يرجى خيره و لا يخاف شره فبكوؤه (١) خير من دره و عقوقه خير من بره و لا- تبرحوا فى حبكم فإن من أبرح فى حب آل ذلك إلى قبيح بغض و كم قد زارنى إنسان و زرتة فانقلب الدهر بنا فقبرته و اعلموا أن الحليم سليم و أن السفيه كليم أنى لم أمت و لكن هرمت و دخلتنى ذله فسكت و ضعف قلبى فأهترت (٢) سلمكم ربكم و حياكم.

و من كتاب أردشير بن بابك إلى بنيه و الملوك من بعده رشاد الوالى خير للرعيه من خصب الزمان الملك و الدين توأمان لا قوام لأحدهما إلا بصاحبه فالدين أس الملك و عماده ثم صار الملك حارس الدين فلا بد للملك من أسه و لا بد للدين من حارسه فأما ما لا- حارس له فضائع و ما لا أس له فمهدوم إن رأس ما أخاف عليكم مبادره السفله إياكم إلى دراسه الدين و تأويله و التفقه فيه فتحملكم الثقه بقوه الملك على التهاون بهم فتحدث فى الدين رئاسات منتشرات سرا فيمن قد وترتم و جفوتهم و حرمتهم و أخفتهم و صغرتهم من سفله الناس و الرعيه و حشو العامه ثم لا- تشب تلك الرئاسات أن تحدث خرقا فى الملك و وهنا فى الدوله و اعلموا أن سلطانكم إنما هو على أجسادكم الرعيه لا- على قلوبها و إن غلبتم الناس على ما فى أيديهم فلن تغلبوهم على ما فى عقولهم و آرائهم و مكايدهم و اعلموا أن العاقل المحروم سال عليكم لسانه و هو أقطع سيفيه و إن أشد ما يضر بكم من لسانه ما صرف الحيله فيه إلى الدين فكان للدين يحتاج (٣) و للدين فيما يظهر يتعصب فيكون

ص: ١٢٤

١-١) بكأت الناقه بكوء:قل لبنها.

٢-٢) الهتر:ذهاب العقل.

٣-٣) ا:«يجنح».

للدین بکاؤه و إليه دعاؤه ثم هو أوحده للتابعین و المصدقین و المناصحين و المؤازرين لأن تعصب (١) الناس موكل بالملوك و رحمتهم و محبتهم موكله بالضعفاء المغلوبين فاحذروا هذا المعنى كل الحذر و اعلموا أنه ليس ينبغي للملك أن يعرف للعباد و النساك بأن يكونوا أولى بالدين منه و لا أحده عليه و لا أغضب له [و لا ينبغي له]

(٢) أن يخلى النساك و العباد من الأمر و النهى فى نسكهم و دينهم فإن خروج النساك و غيرهم من الأمر و النهى عيب على الملوك و على المملكه و ثلمه بينه الضرر على الملك و على من بعده.

و اعلموا أنه قد مضى قبلنا من أسلافنا ملوك كان الملك منهم يتعهد الحمايه بالتفتيش و الجماعه بالتفضيل و الفراغ بالاشتغال كتعهد جسد بقبض فضول الشعر و الظفر و غسل الدرن و الغمر (٣) و مداواه ما ظهر من الأدواء و ما بطن و قد كان من أولئك الملوك من صحه ملكه أحب إليه من صحه جسده فتتبع تلك الأملاك بذلك كأنهم ملك واحد و كان أرواحهم روح واحد يمكن أولهم لآخرهم و يصدق آخرهم أولهم يجتمع أبناء أسلافهم و موارث آرائهم و ثمرات عقولهم عند الباقي منهم بعدهم و كأنهم جلوس معه يحدثونه و يشاورونه حتى كأن على رأس دارا بن دارا ما كان من غلبه الإسكندر الرومى على ما غلب عليه من ملكه و كان إفساده أمرنا و تفرقة جماعتنا و تخريبه عمران مملكتنا أبلغ له فيما أراد من سفك دماننا فلما أذن الله عز و جل فى جمع مملكتنا و إعادة أمرنا كان من بعثه إيانا ما كان و بالاعتبار يتقى العثار و التجارب الماضيه دستور يرجع إليه من الحوادث الآتیه.

و اعلموا أن طباع الملوك على غير طباع الرعيه و السوقه فإن الملك يطيف به العز و الأمن و السرور و القدره على ما يريد و الأنفه و الجراه و العبث و البطر و كلما ازداد

ص: ١٢٥

١-١) فى د«بغض».

٢-٢) تكمله من د.

٣-٣) ب: «و الغمص».

فى العمر تنفسا و فى الملك سلامه ازداد من هذه الطباع و الأخلاق حتى يسلمه ذلك إلى سكر السلطان الذى هو أشد من سكر الشراب فىنسى النكبات و العثرات و الغير و الدوائر و فحش تسلط الأيام و لؤم غلبه الدهر فىرسل يده بالفعل و لسانه بالقول و عند حسن الظن بالأيام تحدث الغير و تزول النعم و قد كان من أسلافنا و قدماء ملوكنا من يذكره عزه الذل و أمنه الخوف و سروره الكآبه و قدرته المعجزه و ذلك هو الرجل الكامل قد جمع بهجه الملوك و فكره السوقه و لا كمال إلا فى جمعها.

و اعلموا أنكم ستبلون على الملك بالأزواج و الأولاد و القرباء و الوزراء و الأخدان و الأنصار و الأعوان و المتقربين و الندماء و المضحكين و كل هؤلاء- إلا- قليلا- أن يأخذ لنفسه أحب إليه من أن يعطى منها عمله و إنما عمله سوق ليومه و ذخيره لغده فنصيحته للملوك فضل نصيحته لنفسه و غايه الصلاح عنده صلاح نفسه و غايه الفساد عنده فسادها يقيم للسلطان سوق الموده ما أقام له سوق الأرباح و المنافع إذا استوحش الملك من ثقاته أطبقت عليه ظلم الجهاله أخوف ما يكون العامه [آمن ما يكون الوزراء و آمن ما يكون العامه]

(١) أخوف ما يكون الوزراء.

و اعلموا أن كثيرا من وزراء الملوك من يحاول استبقاء دولته و أيامه بإيقاع الاضطراب و الخبط فى أطراف مملكه الملك ليحتاج الملك إلى رأيه و تدبيره فإذا عرفتم هذا من وزير من وزرائكم فاعزلوه فإنه يدخل الوهن و النقص على الملك و الرعيه لصلاح حال نفسه و لا تقوم نفسه بهذه النفوس كلها.

و اعلموا أن بدء ذهاب الدوله ينشأ من قبل إهمال الرعيه بغير أشغال معروفه و لا أعمال معلومه فإذا نشأ الفراغ تولد منه النظر فى الأمور و الفكر فى الفروع و الأصول.

فإذا نظروا فى ذلك نظروا فيه بطباع مختلفه فتختلف بهم المذاهب و يتولد من اختلاف مذاهبهم تعاديههم و تضاعفهم و هم مع اختلافهم هذا متفقون و مجتمعون على بغض الملوك فكل صنف منهم إنما يجرى إلى فجيعة الملك بملكه و لكنهم لا يجدون سلما إلى

ص: ١٢٤

(١-١) تكمله من د و بها يستقيم الكلام.



ذلك أوثق من الدين و الناموس ثم يتولد من تعاديهم أن الملك لا- يستطيع جمعهم على هوى واحد فإن انفراد باختصاص بعضهم صار عدو بقيتهم ولى طباع العامه استئقال الولاة و ملالهم و النفاسه (١) عليهم و الحسد لهم و فى الرعيه المحروم و المضروب و المقام عليه الحدود و يتولد من كثرتهم مع عداوتهم أن يجبن الملك عن الإقدام عليهم فإن فى إقدام الملك على الرعيه كلها كافه تغيرا بملكه و يتولد من جبن الملك عن الرعيه استعجالهم عليه و هم أقوى عدو له و أخلقه بالظفر لأنه حاضر مع الملك فى دار ملكه فمن أفضى إليه الملك بعدى فلا يكونن بإصلاح جسده أشد اهتماما منه بهذه الحال و لا تكونن لشيء من الأشياء أكره و أنكر لرأس صار ذنبا و ذنب صار رأسا و يد مشغوله صارت فارغه أو غنى صار فقيرا أو عامل مصروف أو أمير معزول.

و اعلموا أن سياسه الملك و حراسته ألا يكون ابن الكاتب إلا كاتبا و ابن الجندى إلا جنديا و ابن التاجر إلا تاجرا و هكذا فى جميع الطبقات فإنه يتولد من تنقل الناس عن حالاتهم أن يلتمس كل امرئ منهم فوق مرتبه فاذا انتقل أو شك أن يرى شيئا أرفع مما انتقل إليه فيحسد أو ينافس و فى ذلك من الضرر المتولد ما لا خفاء به فإن عجز ملك منكم عن إصلاح رعيته كما أوصيناه فلا يكون للقميص القمل أصرع خلعا منه لما لبس من قميص ذلك الملك.

و اعلموا أنه ليس ملك إلا- و هو كثير الذكر لمن يلى الأمر بعده و من فساد أمر الملك نشر ذكره و لاه العهود فإن فى ذلك ضروبا من الضرر و أن ذلك دخول عداوه بين الملك و ولى عهدته لأنه تطمح عينه إلى الملك و يصير له أحباب و أخدان يمنونه ذلك و يستبطنون موت الملك ثم إن الملك يستوحش منه و تنساق الأمور إلى هلاك أحدهما و لكن لينظر الوالى منكم لله تعالى ثم لنفسه ثم للرعيه و لينتخب و ليا للعهد من بعده

ص: ١٢٧

(١-١) النفاسه: كراهه الخير لهم.

ولا يعلمه ذلك ولا أحد من الخلق قريبا كان منه أو بعيدا ثم يكتب اسمه فى أربع صحائف و يختمها بخاتمه و يضعها عند أربعة نفر من أعيان أهل المملكة ثم لا يكون منه فى سره و علانيته أمر يستدل به على ولى عهده من هؤلاء فى إدناء و تقريب يعرف به و لا- فى إقصاء و أعراض يستراب له و ليتق ذلك فى اللحظة و الكلمه فإذا هلك الملك جمعت تلك الصحائف إلى النسخه التى تكون فى خزانه الملك فتفض جميعا ثم ينوه حينئذ باسم ذلك الرجل فيلقى الملك إذا لنيه بحدائه عهده بحال السوقه و يلبسه إذا لبسه ببصر السوقه و سمعها فإن فى معرفته بحاله قبل إفضاء الملك إليه سكرًا تحدته عنده و لايه العهد ثم يلقاه الملك فيزيده سكرًا إلى سكره فيعمى و يصم هذا مع ما لا بد أن يلقاه أيام و لايه العهد من حيل العتاه و بغى الكذابين و ترقيه النمامين و إيغار صدره و إفساد قلبه على كثير من رعيته و خواص دولته و ليس ذلك بمحمود و لا صالح.

و اعلموا أنه ليس للملك أن يحلف لأنه لا يقدر أحد استكراهه و ليس له أن يغضب لأنه قادر و الغضب لقاح الشر و الندامه و ليس له أن يعبث و يلعب لأن اللعب و العبث من عمل الفراغ و ليس له أن يفرغ لأن الفراغ من أمر السوقه و ليس للملك أن يحسد أحدا إلا على حسن التدبير و ليس له أن يخاف لأنه لا يد فوق يده.

و اعلموا أنكم لن تقدرُوا على أن تختموا أفواه الناس من الطعن و الإيزراء عليكم و لا- قدره لكم على أن تجعلوا القبيح من أفعالكم حسنا فاجتهدوا فى أن تحسن أفعالكم كلها و إلا تجعلوا للعامة إلى الطعن عليكم سيلا.

و اعلموا أن لباس الملك و مطعمه و مشربه مقارب للباس السوقه و مطعمهم و ليس

فضل الملك على السوقه إلا بقدرته على اقتناء المحامد و استفاده المكارم فإن الملك إذا شاء أحسن و ليس كذلك السوقه.

و اعلموا أن لكل ملك بطانه و لكل رجل من بطانته بطانه ثم إن لكل امرئ من بطانه البطانه بطانه حتى يجتمع من ذلك أهل المملكه فإذا أقام الملك بطانته على حال الصواب فيهم أقام كل امرئ منهم بطانته على مثل ذلك حتى يجتمع على الصلاح عامه الرعيه.

احذروا بابا واحدا طالما أمنتت فضرتى و حذرتى فنفعنى احذروا إفشاء السر بحضره الصغار من أهليكم و خدمكم فإنه ليس يصغر واحد منهم عن حمل ذلك السر كاملا لا يترك منه شيئا حتى يضعه حيث تكرهون إما سقطا أو غشا.

و اعلموا أن فى الرعيه صنفا أتوا الملك من قبل النصائح له و التمسوا إصلاح منازلهم بإفساد منازل الناس فأولئك أعداء الناس و أعداء الملوكة و من عادى الملوكة و الناس كلهم فقد عادى نفسه.

و اعلموا أن الدهر حاملكم على طبقات فمنها حال السخاء حتى يدنو أحدكم من السرف و منها حال التبذير حتى يدنو من البخل و منها حال الأناه حتى يدنو من البلاده و منها حال انتهاز الفرصه حتى يدنو من الخفه و منها حال الطلاقه فى اللسان حتى يدنو من الهذر و منها حال الأخذ بحكمه (1) الصمت حتى يدنو من العى فالملك منكم جدير أن يبلغ من كل طبقه فى محاسنها حدها فإذا وقف عليه ألجم نفسه عما وراءها.

و اعلموا أن ابن الملك و أخاه و ابن عمه يقول كدت أن أكون ملكا و بالحرى ألا أموت حتى أكون ملكا فإذا قال ذلك قال ما لا يسر الملك و إن كنتمه فالداء

ص: ١٢٩

١-١) الحكمة فى الأصل: اللجام؛ و الكلام على الاستعاره.

فى كل مكتوم و إذا تمنى ذلك جعل الفساد سلماً إلى الصلاآ و لم يكن الفساد سلماً إلى صلاآ قط و قد رسمت لكم فى ذلك مثلاً- اجعلوا الملك لا ینبغى إلا لأبناء الملوک من بنات عمومتهم و لا یصلح من أولاد بنات العم إلا كامل غیر سخیف العقل و لا عازب الرأى و لا ناقص الجوارح و لا مطعون علیه فى الدین فإنکم إذا فعلتم ذلك قل طلاب الملك و إذا قل طلابه استراح كل امرئ إلى ما یلیه و نزع إلى حد یلیه و عرف حاله و رضى معیشته و استطاب زمانه.

فقد ذكرنا وصایا قوم من العرب و وصایا أكثر ملوک الفرس و أعظمهم حکمه لتضم إلى وصایا أمير المؤمنین فیحصل منها وصایا الدین و الدنیا فإن وصایا أمير المؤمنین ع الدین علیها أغلب و وصایا هؤلاء الدنیا علیها أغلب فإذا أخذ من أخذ التوفیق بیده بمجموع ذلك فقد سعد و لا سعید إلا من أسعده الله

إشاره

مع عمران بن الحصين الخزاعي و ذكر هذا الكتاب أبو جعفر الإسكافي في كتاب المقامات أمّا بعدُ فَقَدْ عَلِمْتُمَا وَ إِن كُنْتُمَا أَنِّي لَمْ أُرِدِ النَّاسَ حَتَّى أَرَادُونِي وَ لَمْ أُبَايِعْهُمْ حَتَّى يَبَايَعُونِي وَ إِنَّكُمْ مِمَّنْ أَرَادَنِي وَ بَايَعَنِي وَ إِنَّ الْعَامَّةَ لَمْ تُبَايَعْنِي لِسُلْطَانٍ غَالِبٍ وَ لَا [لِحِزْصٍ]

لِعَرَضٍ حَاضِرٍ فَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَانِي طَائِعِينَ فَارْجِعَا وَ تَوْبًا إِلَى اللَّهِ مِنْ قَرِيبٍ وَ إِن كُنْتُمَا بَايَعْتُمَانِي كَارِهَيْنِ فَقَدْ جَعَلْتُمَا لِي عَلَيْكُمَا السَّبِيلَ بِإِظْهَارِكُمَا الطَّاعَةَ وَ إِسْرَارِكُمَا الْمَعْصِيَةَ وَ لَعَمْرِي مَا كُنْتُمَا بِأَحَقَّ الْمُهَاجِرِينَ بِالتَّقِيَّةِ وَ الْكَيْفَانِ وَ إِن دَفَعْتُكُمَا هَذَا الْأَمْرَ [قَبْلَ]

مَنْ قَبْلِي أَنْ تَدْخُلَا فِيهِ كَمَا أَوْسَعَ عَلَيْكُمَا مِنْ خُرُوجِكُمَا مِنْهُ بَعِيدَ إِفْرَارِكُمَا بِهِ وَ قَدْ زَعَمْتُمَا أَنِّي قَتَلْتُ عُثْمَانَ فَبَيْنِي وَ بَيْنَكُمَا مَنْ تَخَلَّفَ عَنِّي وَ عَنكُمَا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ثُمَّ يُلْزَمُ كُلُّ امْرِئٍ بِقَدْرِ مَا اخْتَمَلَ فَارْجِعَا أَيُّهَا الشَّيْخَانِ عَنْ رَأْيِكُمَا فَإِنَّ الْآنَ أَعْظَمَ أَمْرِكُمَا الْعَارُ مِنْ قَبْلِ أَنْ [يَجْتَمَعَ]

يَتَجَمَّعَ الْعَارُ وَ النَّارُ وَ السَّلَامُ.

## [عمران بن الحصين]

هو عمران بن الحصين بن عبيد بن خلف بن عبد بن نهم بن سالم بن غاضره بن سلول بن حبشيه بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي يكنى أبا بجيد بابنه بجيد بن عمران أسلم هو و أبو هريره عام خير و كان من فضلاء الصحابه و فقهاءهم يقول أهل البصره عنه إنه كان يرى الحفظه و كانت تكلمه حتى اکتوى.

و قال محمد بن سيرين أفضل من نزل البصره من أصحاب رسول الله ص عمران بن الحصين و أبو بكره و استقضاه عبد الله بن عامر بن كرز على البصره فعمل له أياما ثم استعفاه فأعفاه و مات بالبصره سنه اثنتين و خمسين فى أيام معاويه

## [أبو جعفر الإسكافى]

و أما أبو جعفر الإسكافى و هو شيخنا محمد بن عبد الله الإسكافى عده قاضى القضاة فى الطبقة السابعه من طبقات المعتزله مع عباد بن سليمان الصيمرى و مع زرقان و مع عيسى بن الهيثم الصوفى و جعل أول الطبقة ثمامه بن أشرس أبا معن ثم أبا عثمان الجاحظ ثم أبا موسى عيسى بن صبيح المرदार ثم أبا عمران يونس بن عمران ثم محمد بن شبيب ثم محمد بن إسماعيل بن العسكرى ثم عبد الكريم بن روح العسكرى ثم أبا يعقوب يوسف بن عبد الله الشحام ثم أبا الحسين الصالحى

ص: ١٣٢

ثم الجعفران جعفر بن جرير و جعفر بن ميسر ثم أبا عمران بن النقاش ثم أبا سعيد أحمد بن سعيد الأسدي ثم عباد بن سليمان ثم أبا جعفر الإسكافي هذا و قال كان أبو جعفر فاضلا عالما و صنف سبعين كتابا فى علم الكلام.

و هو الذى نقض كتاب العثمانيه على أبى عثمان الجاحظ فى حياته و دخل الجاحظ الوراقين ببغداد فقال من هذا الغلام السوادى الذى بلغنى أنه تعرض لنقض كتابى و أبو جعفر جالس فاختنفى منه حتى لم يره.

و كان أبو جعفر يقول بالتمفضيل على قاعده معتزله بغداد و يبالغ فى ذلك و كان علوى الرأى محققا منصفاف قليل العصبية ثم نعود إلى شرح ألفاظ الفصل و معانيه قوله ع لم أرد الناس أى لم أرد الولاية عليهم حتى أرادوا هم منى ذلك.

قال و لم أبايعهم حتى بايعونى أى لم أمدد يدي إليهم مد الطلب و الحرص على الأمر و لم أمددها إلا بعد أن خاطبونى بالإمره و الخلافه و قالوا بألستهم قد بايعناك فحينئذ مددت يدي إليهم .

قال و لم يبايعنى العامه و المسلمون لسلطان غضبهم و قهرهم على ذلك و لا لحرص حاضر أى مال موجود فرقتهم عليهم .

ثم قسم عليهما الكلام فقال إن كنتما بايعتمانى طوعا عن رضا فقد وجب عليكما الرجوع لأنه لا وجه لانتقاض تلك البيعه و إن كنتما بايعتمانى مكرهين عليها فالإكراه

له صورته وهى أن يجرّد السيف ويمد العنق ولم يكن قد وقع ذلك ولا يمكنكما أن تدعياه وإن كنتما بايعتmani لا عن رضا ولا- مكرهين بل كارهين وبين المكره والكاره فرق بين فالأمور الشرعيه إنما تبنى على الظاهر وقد جعلتما لى على أنفسكما السبيل بإظهاركما الطاعة والدخول فيما دخل فيه الناس ولا اعتبار بما أسررتما من كراهيه ذلك على أنه لو كان عندى ما يكرهه المسلمون لكان المهاجرون فى كراهيه ذلك سواء فما الذى جعلكما أحق المهاجرين كلهم بالكتمان والتقيه.

ثم قال وقد كان امتناعكما عن البيعه فى مبدأ الأمر أجمل من دخولكما فيها ثم نكثها .

قال وقد زعمتما أن الشبهه التى دخلت عليكم فى أمرى أنى قتلت عثمان وقد جعلت الحكم بينى وبينكما من تخلف عنى و عنكما من أهل المدينة أى الجماعه التى لم تنصر عليا ولا طلحه كمحمد بن مسلمه وأسامه بن زيد و عبد الله بن عمر وغيرهم يعنى أنهم غير متهمين عليه ولا- على طلحه والزبير فإذا حكموا لزم كل امرئ منا بقدر ما تقتضيه الشهادات ولا شبهه أنهم لو حكموا وشهدوا بصوره الحال لحكموا ببراءه على ع من دم عثمان وبأن طلحه كان هو الجمله والتفصيل فى أمره وحصره و قتله وكان الزبير مساعدا له على ذلك وإن لم يكن مكاشفا مكاشفه طلحه .

ثم نهاهما عن الإصرار على الخطيئه وقال لهما إنكما إنما تخافان العار فى رجوعكما وانصرافكما عن الحرب فإن لم ترجعا اجتمع عليكم العار والنار أما العار فلأنكما تهزمان وتفران عند اللقاء فتعيران بذلك وأيضا سيكشف للناس أنكما كنتما على باطل فتعيران بذلك وأما النار فإليها مصير العصاه إذا ماتوا على غير توبه واحتمال العار وحده أهون من احتمال النار

معه



أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَعَلَ الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا وَابْتَلَى فِيهَا أَهْلَهَا لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَ لَسْنَا لِلدُّنْيَا خُلُقْنَا وَ لَا بِالسَّعْيِ فِيهَا  
أُمْرًا وَ إِنَّمَا وَضَعْنَا فِيهَا لِنَبْتَلَى بِهَا وَ قَدْ ابْتَلَانِي اللَّهُ بِكَ وَ ابْتَلَاكَ بِي فَجَعَلَ أَحَدَنَا حُجَّةً عَلَيَّ الْآخِرِ فَعَدَوْتَ عَلَيَّ [طَلَبِ]

الدُّنْيَا بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ [وَ طَلَبْتَنِي]

فَطَلَبْتَنِي بِمَا لَمْ تَجْنِ يَدِي وَ لَا لِسَانِي وَ [عَصَبْتُهُ]

عَصَبْتُهُ أَنْتَ وَ أَهْلُ الشَّامِ بِي وَ أَلْبَ عَالِمُكُمْ جَاهِلُكُمْ وَ قَائِمُكُمْ قَاعِدُكُمْ فَاتَّقِ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ وَ نَازِعِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ وَ اصْرِفْ  
إِلَى الْآخِرَةِ وَجْهَكَ فَهِيَ طَرِيقُنَا وَ طَرِيقُكَ وَ اخْذِرْ أَنْ يُصِيبَكَ اللَّهُ مِنْهُ بِعَاجِلٍ قَارِعَةٍ تَمَسُّ الْأَصْلَ وَ تَقْطَعُ الدَّابِرَ فَإِنِّي أُولَى لَكَ  
بِاللَّهِ أَلَيْهِ غَيْرُ فَاجِرِهِ لَئِنْ جَمَعْتَنِي وَ إِيَّاكَ جَوَامِعَ الْأَقْدَارِ لَا أَزَالُ بِبَاحْتِكَ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَ هُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ .

قال ع إن الله قد جعل الدنيا لما بعدها أى جعلها طريقا إلى الآخرة.

و من الكلمات الحكمية الدنيا قنطرة فاعبروها و لا- تعمروها و ابتلى فيها أهلها أى اختبرهم ليعلم أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَ هذا من  
ألفاظ القرآن العزيز و المراد ليعلم خلقه

أو ليعلم ملائكته و رسله فحذف المضاف و قد سبق ذكر شيء يناسب ذلك فيما تقدم قال و لسنا للدنيا خلقنا أى لم نخلق للدنيا فقط.

قال و لا بالسعى فيها أمرنا أى لم نؤمر بالسعى فيها لها بل أمرنا بالسعى فيها لغيرها .

ثم ذكر أن كل واحد منه و من معاويه مبتلى بصاحبه و ذلك كابتلاء آدم بإبليس و إبليس بآدم .

قال فغدوت على طلب الدنيا بتأويل القرآن أى تعديت و ظلمت و على هاهنا متعلقه بمحذوف دل عليه الكلام تقديره مثابرا على طلب الدنيا أو مصرا على طلب الدنيا و تأويل القرآن ما كان معاويه يمويه به على أهل الشام فيقول لهم أنا ولى عثمان و قد قال الله تعالى وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوَلِيِّهِ سُلْطَانًا (١).

ثم يعدهم الظفر و الدوله على أهل العراق بقوله تعالى فَلَا يُشْرَفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (٢).

قوله و عصبت أنت و أهل الشام أى ألزمتني كما تلزم العصابه الرأس و ألب عالمكم جاهلكم أى حرض .

و القياد جبل تقاد به الدابه .

قوله و احذر أن يصيبك الله منه بعاجل قارعه الضمير فى منه راجع إلى الله تعالى و من لا ابتداء الغايه.

ص: ١٣٦

١-١) سورة الإسراء ٣٣.

١-٢) سورة الإسراء ٣٣.

وقال الراوندى منه أى من البهتان الذى أتيته أى من أجله و من للتعليل و هذا بعيد و خلاف الظاهر.

قوله تمس الأصل أى تقطعه و منه ماء ممسوس أى يقطع الغله و يقطع الدابر أى العقب و النسل.

و الأليه اليمين و باحه الدار وسطها و كذلك ساحتها و روى بناحيتك.

قوله بعاجل قارعه و جوامع الأقدار من باب إضافه الصفه إلى الموصوف (١) للتأكيد كقوله تعالى وَ إِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٢)

ص: ١٣٧

---

١ - ١) د: «الصله إلى الموصول».

٢ - ٢) سوره الحاقه ٥١.

اشاره

اتَّقِ اللَّهَ فِي كُلِّ [مَسَاءٍ وَ صَبَاحٍ]

صَبَاحٍ وَ مَسَاءٍ وَ خَفَ عَلَى نَفْسِكَ الدُّنْيَا الْعُرُورَ وَ لَا تَأْمَنْهَا عَلَى حَالٍ وَ اعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ لَمْ تَزِدْ نَفْسَكَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا تُحِبُّ مَخَافَةَ  
[مَكْرُوهِهِ]

مَكْرُوهُ سَمَتْ بِكَ الْأَهْوَاءُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الضَّرْرِ فَكُنْ لِنَفْسِكَ مَانِعًا رَادِعًا وَ [لِنَزَوَاتِكَ]

لِنَزَوَاتِكَ عِنْدَ الْحَفِيظَةِ وَاقِمًا قَامِعًا.

[شريح بن هانئ]

هو شريح بن هانئ بن يزيد بن نهيك بن دريد بن سفيان بن الضباب و هو سلمه بن الحارث بن ربيعه بن الحارث بن كعب  
المدحجي كان هانئ يكنى في الجاهلية أبا الحكم لأنه كان يحكم بينهم فكانه رسول الله ص بأبي شريح إذ وفد عليه و ابنه  
شريح هذا من جله أصحاب علي ع شهد معه المشاهد كلها و عاش حتى قتل بسجستان في زمن الحجاج و شريح جاهلي  
إسلامي يكنى أبا المقدام

ذكر ذلك كله أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب (١) قوله ع و خف على نفسك الغرور يعني الشيطان فأما الغرور بالضم فمصدر و الرادع الكاف المانع و النزوات الوثبات و الحفيظه الغضب و الواقم فاعل من وقمته أى رددته أقبح الرد و قهرته يقول ع إن لم تردع نفسك عن كثير من شهواتك أفضت بك إلى كثير من الضرر و مثل هذا قول الشاعر فإنك إن أعطيت بطنك سؤلها و فرجك نالا منتهى الدم أجمعا (٢).

ص: ١٣٩

---

١-١) الاستيعاب ٦٠٧.

٢-٢) البيت لحاتم، و هو من شواهد المغنى ٣٣١.

أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي خَرَجْتُ [عَنْ]

مِنْ حَيِّي هَذَا إِمَّا ظَالِمًا وَ إِمَّا مَظْلُومًا وَ إِمَّا بَاغِيًا وَ إِمَّا مَبْغِيًا عَلَيْهِ وَ [أَنَا]

إِنِّي أَذْكُرُ اللَّهَ مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هَذَا لَمَّا نَفَرَ إِلَيَّ فَإِنْ كُنْتُ مُحْسِنًا أَعَانَنِي وَ إِنْ كُنْتُ مُسِيئًا اسْتَعْتَبَنِي .

ما أحسن هذا التقسيم و ما أبلغه في عطف القلوب عليه و استماله النفوس إليه.

قال لا يخلو حالي في خروجي من أحد أمرين إما أن أكون ظالماً أو مظلوماً و بدأ بالظالم هضمًا لنفسه (١) و لثلا يقول عدوه بدأ بدعوى كونه مظلوماً فأعطى عدوه من نفسه ما أراد.

قال فلينفر المسلمون إلى فإن وجدوني مظلوماً أعانوني و إن وجدوني ظالماً نهوني عن ظلمي لأعتب و أنيب إلى الحق و هذا كلام حسن و مراده ع يحصل على كلا الوجهين لأنه إنما أراد أن يستنفرهم و هذان الوجهان يقتضيان نفيهم إليه على كل حال و الحي المنزل و لما هاهنا بمعنى إلا كقوله تعالى إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٢) في قراءه من قرأها بالتشديد

ص: ١٤٠

١-١) في د «و أراد بالظالم هدم نفسه».

٢-٢) سورة الطارق ٤.

وَ كَانَ بَدَأُ أَمْرَنَا أَنَا التَّقِينَا [بِالْقَوْمِ]

وَ الْقَوْمُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَ الظَّاهِرُ أَنَّ رَبَّنَا وَاحِدٌ وَ نَبِينَا وَاحِدٌ وَ دَعْوَتَنَا فِي الْإِسْلَامِ وَاحِدَةٌ وَ لَا نَسْتَرِيدُهُمْ فِي الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَ التَّصْدِيقِ بِرَسُولِهِ وَ لَا يَسْتَرِيدُونَنَا [وَ]

الْأَمْرُ وَاحِدٌ إِلَّا مَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ وَ نَحْنُ مِنْهُ بَرَاءٌ فَقُلْنَا تَعَالَوْا [نُدَاوِي]

نُدَاوِي مَا لَا يُدْرِكُ الْيَوْمَ بِإِطْفَاءِ النَّائِرَةِ وَ تَسْكِينِ الْعَامَّةِ حَتَّى يَشْتَدَّ الْأَمْرُ وَ يَسْتَجْمَعَ فَنَقْوَى عَلَى وَضْعِ الْحَقِّ [فِي مَوَاضِعِهِ]

مَوَاضِعُهُ فَقَالُوا بَلْ نُدَاوِيهِ بِالْمُكَابَرَةِ فَأَبَوْا حَتَّى جَنَحَتِ الْحَرْبُ وَ رَكَدَتْ وَ وَقَدَتْ نِيرَانُهَا وَ حِمَشَتْ (١) فَلَمَّا ضَرَسَتْنَا وَ إِيَاهُمْ وَ وَضَعَتْ مَخَالِبَهَا فِينَا وَ فِيهِمْ أَحْيَاؤُوا عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى الَّذِي دَعَوْنَاهُمْ إِلَيْهِ فَأَجَبْنَاهُمْ إِلَى مَا دَعَوْا وَ سَارَعْنَاهُمْ إِلَى مَا طَلَبُوا حَتَّى اسْتَبَانَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ وَ انْقَطَعَتْ مِنْهُمْ الْمَعِيدَةُ فَمَنْ تَمَّ عَلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ فَهُوَ الَّذِي أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنَ الْهَلَكَةِ وَ مَنْ لَمَجَّ وَ تَمَادَى فَهُوَ الرَّاكِسُ الَّذِي رَانَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ وَ صَارَتْ دَائِرَةُ السَّوْءِ عَلَى رَأْسِهِ.

ص: ١٤١

روى التقينا و القوم بالواو كما قال قلت إذ أقبلت و زهر تهادى.

و من لم يروها بالواو فقد استراح من التكلف.

قوله و الظاهر أن ربنا واحد كلام من لم يحكم لأهل صفين من جانب معاويه حكما قاطعا بالإسلام بل قال ظاهرهم الإسلام و لا خلف بيننا و بينهم فيه بل الخلف فى دم عثمان .

قال ع قلنا لهم تعالوا فلنظفئ هذه النائره الآن يوضع الحرب إلى أن تتمهد قاعدتى فى الخلافه و تزول هذه الشوائب التى تكدر على الأمر و يكون للناس جماعه ترجع إليها و بعد ذلك أتمكن من قتله عثمان بأعيانهم فأقتص منهم فأبوا إلا المكابره و المغالبه و الحرب .

قوله حتى جنحت الحرب و ركدت جنحت أقبلت و منه قد جنح الليل أى أقبل و ركدت دامت و ثبتت.

قوله و وقدت نيرانها أى التهبت.

قوله و حمشت أى استعرت و شبت و روى و استحشمت (1) و هو أصح و من رواها حمست بالسين المهمله أراد اشتدت و صلبت.

قوله فلما ضرستنا و إياهم أى عضتنا بأضراسها و يقال ضرسهم الدهر أى اشتد عليهم.

ص: ١٤٢

---

(١-١) فى د«و استجرت».و المعنى عليه يستقيم أيضا.



قال لما اشتدت الحرب علينا و عليهم و أكلت منا و منهم عادوا إلى ما كنا سألناهم ابتداء و ضرعوا إلينا فى رفع الحرب و رفعوا المصاحف يسألون النزول على حكمها و إغمام السيف فأجبناهم إلى ذلك .

قوله و سارعناهم إلى ما طلبوا كلمه فصيحه و هى تعديه الفعل اللازم كأنها لما كانت فى معنى المسابقه و المسابقه متعديه عدى المسارعه.

قوله حتى استبانته يقول استمررنا على كف الحرب و وضعها إجابته لسؤالهم إلى أن استبانته عليهم حجتنا و بطلت معاذيرهم و شبهتهم فى الحرب و شق العصا فمن تم منهم على ذلك أى على انقياده إلى الحق بعد ظهوره له فذاك الذى خلصه الله من الهلاك و عذاب الآخرة و من لجج منهم على ذلك و تمادى فى ضلاله فهو الراكس قال قوم الراكس هنا بمعنى المركوس فهو مقلوب فاعل بمعنى مفعول كقوله تعالى فَهَوَّ فِي عَيْشِهِ رَاضِيَهُ (١) أى مرضيه و عندى أن اللفظه على بابها يعنى أن من لجج فقد ركس نفسه فهو الراكس و هو المركوس يقال ركسه و أركسه بمعنى و الكتاب العزيز جاء بالهمز فقال وَ اللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا (٢) أى ردهم إلى كفرهم (٣) و يقول ارتكس فلان فى أمر كان نجا منه و ران على قلبه أى ران هو على قلبه كما قلنا فى الراكس و لا يجوز أن يكون الفاعل و هو الله محذوفاً لأن الفاعل لا يحذف بل يجوز أن يكون الفاعل كالمحذوف و ليس بمحذوف و يكون المصدر و هو الرين و دل الفعل عليه كقوله تعالى ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِ (٤) أى بدا لهم البداء و ران بمعنى غلب و غطى و روى فهو الراكس الذى رين على قلبه.

ص: ١٤٣

١-١) القارعه ٧.

٢-٢) سورة النساء ٨٨.

٣-٣) فى د« كيدهم».

٤-٤) سورة يوسف ٣٥.

قال و صارت دائره السوء على رأسه من ألفاظ القرآن العزيز قال الله تعالى عَلَيْهِمُ الدَّائِرَةُ السَّوْءُ (١) و الدوائر الدول.

و إن على الباغى تدور الدوائر.

و الدائرة أيضا الهزيمة يقال على من الدائرة منهما و الدوائر أيضا الدواهي

ص: ١٤٤

---

(١ - ١) سورة الفتح ٧.

أَمَا بَعِيدُ فَإِنَّ الْعَوَالِي إِذَا اخْتَلَفَ هَوَاهُ مَنَعَهُ ذَلِكَ كَثِيرًا مِنَ الْعَيْدِلِ فَلْيَكُنْ أَمْرُ النَّاسِ عِنْدَكَ فِي الْحَقِّ سَوَاءً فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْجَوْرِ عَوْضٌ مِنَ الْعَيْدِلِ فَمَا جَتَّيْبَ مَا تُنْكِرُ أَمْثَالَهُ وَابْتِذِلْ نَفْسَكَ فِيمَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكَ رَاجِيًا ثَوَابَهُ وَ مَتَّخِوْفًا عِقَابَهُ وَ اعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا دَارٌ بَلِيَّةٌ لَمْ يَفْرُغْ صَاحِبُهَا فِيهَا قَطُّ سَاعَةً إِلَّا كَانَتْ فُرُوعَتُهُ عَلَيْهِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ أَنَّهُ لَنْ يُغَيِّبَكَ عَنِ الْحَقِّ شَيْءٌ أَبَدًا وَ مِنَ الْحَقِّ عَلَيْكَ حِفْظُ نَفْسِكَ وَ الْإِحْتِسَابُ عَلَى الرَّعِيَّةِ بِجُهْدِكَ فَإِنَّ الَّذِي يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي يَصِلُ بِكَ وَ السَّلَامُ.

### [الأسود بن قطبه]

لم أقف إلى الآن على نسب الأسود بن قطبه و قرأت في كثير من النسخ أنه حارثي من بني الحارث بن كعب و لم أتحقق ذلك و الذي يغلب على ظني أنه الأسود بن زيد بن قطبه بن غنم الأنصاري من بني عبيد بن عدى ذكره أبو عمر بن عبد البر في كتاب الإستيعاب و قال إن موسى بن عقبة عده فيمن شهد بدرا (١).

ص: ١٤٥

قوله ع إذا اختلف هوى الوالى منعه كثيرا من الحق قول صدق لأنه متى لم يكن الخصمان عند الوالى سواء فى الحق جار و ظلم.

ثم قال له فإنه ليس فى الجور عوض من العدل و هذا أيضا حق و فى العدل كل العوض من الجور .

ثم أمره باجتتاب ما ينكر مثله من غيره و قد تقدم نحو هذا .

و قوله إلا كانت فرغته كلمه فصيحته و هى المره الواحده من الفراغ

٤٤٢٩

و قد روى عن النبى ص أن الله يبغض الصحيح الفارغ لا فى شغل الدنيا و لا فى شغل الآخره.

و مراد أمير المؤمنين ع هاهنا الفراغ من عمل الآخره خاصه .

قوله فإن الذى يصل إليك من ذلك أفضل من الذى يصل بك معناه فإن الذى يصل إليك من ثواب الاحتساب على الرعيه و حفظ نفسك من مظالمهم و الحيف عليهم أفضل من الذى يصل بك من حراسه دمائهم (١) و أعراضهم و أموالهم و لا شبهه فى ذلك لأن إحدى المنفعتين دائمه و الأخرى منقطعه و النفع الدائم أفضل من المنقطع

ص: ١٤٦

---

١-١) ب: «دعاتهم» تصحيف، صوابه فى ا، د.

٦٠ و من كتاب له ع إلى العمال الذين يطأ عملهم الجيوش (١)

مَنْ عَبَدَ اللَّهَ عَلِيٌّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَنْ مَرَّ بِهِ الْجَيْشُ مِنْ جُبَاهِ الْخِرَاجِ وَ عَمَّالِ الْبِلَادِ أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي قَدْ سَيَّرْتُ جُنُودًا هِيَ مَارَةٌ بِكُمْ  
إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَ قَدْ أَوْصَيْتُهُمْ بِمَا يَجِبُ لِلَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ كَفِّ الْأَذَى وَ صِدْرِ الشَّدَا وَ أَنَا أَبْرَأُ إِلَيْكُمْ وَ إِلَى ذِمَّتِكُمْ مِنْ مَعْرَةِ الْجَيْشِ إِلَّا  
مِنْ جَوْعِهِ الْمُضْطَّرِّ لَا يَجِدُ عَنْهَا مَذْهَبًا إِلَى شِيعِهِ (٢) فَتَكَلُّوا مَنْ تَنَاولَ مِنْهُمْ شَيْئًا ظُلْمًا عَنْ ظَلَمِهِمْ وَ كُفُّوا أَيْدِي سَيْفِهَائِكُمْ عَنْ  
[مُضَادَّتِهِمْ]

مُضَارَّتِهِمْ وَ التَّعَرُّضِ لَهُمْ فِيمَا اسْتَشِينَاهُ مِنْهُمْ وَ أَنَا بَيْنَ أَظْهُرِ الْجَيْشِ فَارْتَفِعُوا إِلَيَّ مَطَالِمَكُمْ وَ مَا عَرَائِكُمْ مِمَّا يَغْلِبُكُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ وَ مَا  
لَا تُطِيقُونَ دَفْعَهُ إِلَّا بِاللَّهِ (٣) وَ بِي أُعْيِرُهُ بِمَعُونَةِ اللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

روى عن مضارتهم بالراء المشدده و جباه الخراج الذين يجمعونه جبيت الماء فى الحوض أى جمعته و الشذا و الضرب و الشر  
تقول لقد أشذيت و آذيت و إلى ذمتكم أى إلى اليهود و النصارى الذين بينكم (٤)

٤٤٣٠

قال ع

من آذى ذميا فكأنما (٥) آذانى.

ص: ١٤٧

١- ١) د«عملهم الجيش».

٢- ٢) مخطوطه النهج: «إلا إلى شيعه».

٣- ٣) د«ياذن الله».

٤- ٤) د«بذمتكم».

٥- ٥) د«فقد».

وقال إنما بذلوا الجزية لتكون دماؤهم كدمائنا و أموالهم كأموالنا و يسمى هؤلاء ذمه أى أهل ذمه بحذف المضاف و المعره المضمره قال الجيش ممنوع من أذى من يمر به من المسلمين و أهل الذمه إلا من سد جوعه المضطر منهم خاصة لأن المضطر تباح له الميتة فضلا عن غيرها.

ثم قال فنكلوا من تناول و روى بمن تناول بالباء أى عاقبه و عن فى قوله عن ظلمهم يتعلق بنكلوا لأنها فى معنى اردعوا لأن النكال يوجب الردع.

ثم أمرهم أن يكفوا أيدي أحداثهم و سفهائهم عن منازعه الجيش و مصادمته و التعرض لمنعه عما استثناء و هو سد الجوعه عند الاضطرار فإن ذلك لا يجوز فى الشرع و أيضا فإنه يفضى إلى فتنه و هرج .

ثم قال و أنا بين أظهر الجيش أى أنا قريب منكم و سائر على أثر الجيش فارتفعوا إلى مظالمكم و ما عراكم منهم على وجه الغلبه و القهر فإنى مغير ذلك و منتصف لكم منهم

و هو عامله على هيت ينكر عليه تركه دفع من يجتاز به من جيش العدو طالبا للغاره أَمَا بَعِيدُ فَإِنَّ تَضْيِيعَ الْمَرْءِ مَا وُلِّيَ وَ تَكَلَّفَهُ مَا كُفِيَ لَعَجْزُ حَاضِرٍ وَ رَأْيُ مُبْتَرٍ وَ إِنَّ تَعَاطِيكَ الْغَارَةَ عَلَى أَهْلِ قِرْقِيسِيَا وَ تَعْطِيلِكَ مَسَالِحِكَ الَّتِي وَلَيْنَاكَ لَيْسَ [لَهَا]

بِهَا مَنْ يَمْنَعُهَا وَ لَا يَرُدُّ الْجَيْشَ عَنْهَا لَرَأَى شِعَاعَ فَقْدٍ صَرَتْ جِسْرًا لِمَنْ أَرَادَ الْغَارَةَ مِنْ أَعْدَائِكَ عَلَى أَوْلِيَائِكَ غَيْرِ شَدِيدِ الْمُنْكَبِ وَ لَا مَهِيْبِ الْجَانِبِ وَ لَا سَادًّا تُعْزَهُ وَ لَا كَاسِرٍ لِعَدُوِّ شَوْكَهُ وَ لَا مُغْنٍ عَنِ أَهْلِ مِصْرِهِ (١) وَ لَا مُجْزٍ عَنِ أَمِيرِهِ.

[كميل بن زياد و نسبه ]

هو كميل بن زياد بن سهيل بن هيثم بن سعد بن مالك بن الحارث بن صهبان بن سعد بن مالك بن النخع بن عمرو بن وعلة بن خالد بن مالك بن أدد كان من أصحاب علي ع و شيعته و خاصته و قتله الحجاج على المذهب فيمن قتل من الشيعة و كان كميل بن زياد عامل علي ع على هيت و كان ضعيفا يمر عليه سرايا معاويه تنهب أطراف العراق و لا يردها و يحاول أن يجبر ما عنده من الضعف بأن يغير

ص: ١٤٩

على أطراف أعمال معاويه مثل قرقيسيا و ما يجرى مجراها من القرى التى على الفرات فأنكر ع ذلك من فعله و قال إن من العجز الحاضر أن يهمل الوالى ما وليه و يتكلف ما ليس من تكليفه و المتبر الهالك قال تعالى إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبَرِّمًا هُمْ فِيهِ (١).

و المسالح جمع مسلحه و هى المواضع التى يقام فيها طائفه من الجند لحمايتها.

و رأى شعاع بالفتح أى متفرق .

ثم قال له قد صرت جسرا أى يعبر عليك العدو كما يعبر الناس على الجسور و كما أن الجسر لا يمنع من يعبر به و يمر عليه فكذاك أنت.

و الثغره التلمه و مجز كاف و مغن و الأصل مجزئ بالهمز فخفف

ص : ١٥٠

---

١-١) سورة الأعراف ١٣٩.



إشاره

أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ سُيُبْحَانُهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا ص نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ وَ مَهْمِيمًا عَلَى الْمُزْسِلِينَ فَلَمَّا مَضَى ص تَنَازَعَ الْمُسْلِمُونَ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ  
فَوَاللَّهِ مَا كَانَ يُلْقَى فِي رُوعِي وَلَا يَخْطُرُ بِيَالِي أَنْ الْعَرَبَ تُزْعِجَ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ ص عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَلَا أَنْهُمْ مُنْحَوَةٌ عَنِّي مِنْ  
بَعْدِهِ فَمَا رَاعِنِي إِلَّا أَنْبِيَاءُ النَّاسِ عَلَى فُلَانٍ يُبَايِعُونَهُ فَأَمْسَكْتُ [بِيَدِي]

يَدِي حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَهُ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الْإِسْلَامِ يَدْعُونَ إِلَى مَحَقِّ دِينِ مُحَمَّدٍ ص فَخَشَيْتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الْإِسْلَامَ وَ أَهْلَهُ أَنْ  
أَرَى فِيهِ ثَلَمًا أَوْ هَيْدَمًا تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ قُوَّةِ وَلَايَتِكُمْ الَّتِي إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ فَلَائِلُ يَزُولُ مِنْهَا مَا كَانَ كَمَا يَزُولُ  
السَّرَابُ [وَ]

أَوْ كَمَا يَتَفَشَّعُ السَّحَابُ فَتَهْضُتُ فِي تِلْكَ الْأَحْدَاثِ حَتَّى زَاخَ الْبَاطِلُ وَ زَهَقَ وَ اطمأنَّ الدِّينُ وَ تَنَهَّنَه .

المهيمن الشاهد قال الله تعالى إنا أرسلناك شاهداً و مبشراً أى تشهد بإيمان من آمن و كفر من كفر و قيل تشهد بصحة نبوه  
الأنبياء قبلك

وقوله على المرسلين يؤكد صحه هذا التفسير الثانى و أصل اللفظه من آمن غيره من الخوف لأن الشاهد يؤمن غيره من الخوف بشهادته ثم تصرفوا فيها فابدلوا إحدى همزتى مؤامن ياء فصار مؤيمن ثم قلبوا الهمزه هاء كأرقت و هرقت فصار مهيمن .

و الروع الخلد

٤٤٣١

و فى الحديث أن روح القدس نفث فى روعى .

قال ما يخطر لى ببال أن العرب تعدل بالأمر بعد وفاه محمد ص عن بنى هاشم ثم من بنى هاشم عنى لأنه كان المتيقن بحكم الحال الحاضره و هذا الكلام يدل على بطلان دعوى الإماميه النص و خصوصا الجلى .

قال فما راعنى إلا انثيال الناس تقول للشىء يفجؤك بغته ما راعنى إلا كذا و الروع بالفتح الفزع كأنه يقول ما أفرعنى شىء بعد ذلك السكون الذى كان عندى و تلك الثقة التى اطمأنت إليها إلا وقوع ما وقع من انثيال الناس أى انصبابهم من كل وجه كما ينتاب التراب على أبى بكر و هكذا لفظ الكتاب الذى كتبه للأشتر و إنما الناس يكتبونه الآن إلى فلان تدمما من ذكر الاسم كما يكتبون فى أول الشقشقيه أما و الله لقد تقمصها فلان و اللفظ أما و الله لقد تقمصها ابن أبى قحافه .

قوله فأمسكت يدى أى امتنعت عن بيعته حتى رأيت راجعه الناس يعنى أهل الرده كمسيلمه و سجاح و طليحه بن خويلد و مانعى الزكاه و إن كان مانعو الزكاه قد اختلف فى أنهم أهل رده أم لا .

و محق الدين إبطاله .

و زهق

خرج و زال تنهنه سكن و أصله الكف تقول نهنت السبع فتنهنه

ص : ١٥٢

أى كف عن حركته و إقدامه فكان الدين كان متحركا مضطربا فسكن و كف عن ذلك الاضطراب.

روى أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى التاريخ الكبير أن رسول الله ص لما مات اجتمعت أسد و غطفان و طيء على طليحه بن خويلد إلا ما كان من خواص أقوام فى الطوائف الثلاث فاجتمعت أسد بسميراء و غطفان بجنوب طيبه (١) و طيء فى حدود أرضهم و اجتمعت ثعلبه بن أسد و من يليهم من قيس بالأبرق (٢) من الربذه و تأشب (٣) إليهم ناس من بنى كنانه و لم تحملهم البلاد فافترقوا فرقتين أقامت إحداهما بالأبرق و سارت الأخرى إلى ذى القصه و بعثوا وفودا إلى أبى بكر يسألونه أن يقارهم على إقامة الصلاه و منع الزكاه فعزم الله لأبى بكر على الحق فقال لو منعونى عقالا (٤) لجاهدتهم عليه و رجع الوفود إلى قومهم فأخبروهم بقله من أهل المدينه فأطمعوهم فيها و علم أبو بكر و المسلمون بذلك و قال لهم أبو بكر أيها المسلمون إن الأرض كافره و قد رأى وفدكم قله و إنكم لا تدرون أ ليلا تؤتون أم نهارا و أدناهم منكم على بريد و قد كان القوم يأملون أن نقبل منهم و نوادعهم و قد أبينا عليهم و نبذنا إليهم فأعدوا و استعدوا فخرج على ع بنفسه و كان على نقب من أنقاب المدينه و خرج الزبير و طلحه و عبد الله بن مسعود و غيرهم فكانوا على الأنقاب الثلاثه فلم يلبثوا إلا قليلا حتى طرق القوم المدينه غاره مع الليل و خلفوا بعضهم بذى حسى

ص: ١٥٣

١-١) فى الأصول: «طيبه» و الصواب ما أثبتته من تاريخ الطبرى.

٢-٢) فى الأصول: «الأزرق»، و الصواب ما أثبتته من الطبرى.

٣-٣) تأشبوا إليهم: انضموا.

٤-٤) أراد بالعقال الجبل الذى يعقل به البعير الذى كان يؤخذ فى إبل الصدقه. و انظر نهايه ابن الأثير.

ليكونوا رداء لهم فوافوا الأنقاب و عليها المسلمون فأرسلوا إلى أبي بكر بالخبر فأرسل إليهم أن الزموا مكانكم ففعلوا و خرج أبو بكر فى جمع من أهل المدينة على النواضح فانتشر العدو بين أيديهم و اتبعهم المسلمون على النواضح حتى بلغوا ذا حسى فخرج عليهم الكمين بأنحاء (١) قد نفخوها و جعلوا فيها الحبال ثم ددهوها بأرجلهم فى وجوه الإبل فتدهده (٢) كل نحى منها فى طوله (٣) فنفرت إبل المسلمين و هم عليها و لا تنفر الإبل من شىء نفاها من الأنحاء فعاجت بهم لا يملكونها حتى دخلت بهم المدينة و لم يصرع منهم أحد و لم يصب فبات المسلمون تلك الليله يتهيئون ثم خرجوا على تعبئه فما طلع الفجر إلا و هم و القوم على صعيد واحد فلم يسمعوا للمسلمين حسا و لا همسا حتى وضعوا فيهم السيف فاقتتلوا أعجاز ليلتهم فما ذر قرن الشمس إلا و قد ولوا الأدبار و غلبوهم على عامه ظهرهم و رجعوا إلى المدينة ظافرين (٤).

قلت هذا هو الحديث الذى أشارع إلى أنه نهض فيه أيام أبي بكر و كأنه جواب عن قول قائل إنه عمل لأبى بكر و جاهد بين يدي أبي بكر فبين ع عذره فى ذلك و قال إنه لم يكن كما ظنه القائل و لكنه من باب دفع الضرر عن النفس و الدين فإنه واجب سواء كان للناس إمام أو لم يكن

**[ذكر ما طعن به الشيعة فى إمامه أبي بكر و الجواب عنها]**

**إشاره**

و ينبغى حيث جرى ذكر أبي بكر فى كلام أمير المؤمنين ع أن نذكر ما أورده قاضى القضاة فى المغنى من المطاعن التى طعن بها فيه و جواب قاضى القضاة

ص: ١٥٤

١-١) الأنحاء: جمع نحى، و هو الزق.

٢-٢) ددهوها: دفعوها.

٣-٣) الطول: الحبل يشدّ به.

٤-٤) تاريخ الطبرى ٣: ٢٤٤ (طبعه المعارف) مع تصرف و اختصار.

عنها و اعتراض المرتضى فى الشافى على قاضى القضاة و نذكر ما عندنا فى ذلك ثم نذكر مطاعن اخرى لم يذكرها قاضى القضاة .

### [الطعن الأول]

قال قاضى القضاة بعد أن ذكر ما طعن به فيه فى أمر فدك و قد سبق القول فيه و مما طعن به عليه قولهم كيف يصلح للإمامه من يخبر عن نفسه أن له شيطانا يعتريه و من يحذر الناس نفسه و من يقول أقيلونى بعد دخوله فى الإمامه مع أنه لا يحل للإمام أن يقول أقيلونى البيعه.

أجاب قاضى القضاة فقال إن شيخنا أبا على قال لو كان ذلك نقصا فيه لكان قول الله فى آدم و حواء فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ (١) و قوله فَازْلَهُمَا الشَّيْطَانُ (٢) و قوله وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ (٣) يوجب النقص فى الأنبياء و إذا لم يجب ذلك فكذلك ما وصف به أبو بكر نفسه و إنما أراد أنه عند الغضب يشفق من المعصيه و يحذر منها و يخاف أن يكون الشيطان يعتريه فى تلك الحال فيوسوس إليه و ذلك منه على طريقه الزجر لنفسه عن المعاصى و قد روى عن أمير المؤمنين ع أنه ترك مخاصمه الناس فى حقوقه إشفاقا من المعصيه و كان يولى ذلك عقيلًا فلما أسن عقيل كان يوليها عبد الله بن جعفر فأما ما روى فى إقاله البيعه فهو خبر ضعيف و إن صح فالمراد به التنبيه على أنه لا يبالى الأمر يرجع إليه أن يقيله الناس البيعه و إنما يضررون بذلك أنفسهم و كأنه نبه بذلك

ص: ١٥٥

١-١) سورة الأعراف ٢٠.

٢-٢) سورة البقره ٣٦.

٣-٣) سورة الحج ٥٢.

على أنه غير مكره لهم و أنه قد خلاهم و ما يريدون إلا أن يعرض ما يوجب خلافه و قد روى أن أمير المؤمنين ع أقال عبد الله بن عمر البيعه حين استقاله و المراد بذلك أنه تركه و ما يختار.

اعترض المرتضى رضى الله عنه فقال أما قول أبى بكر وليتكم و لست بخيركم فإن استقمت فاتبعونى و إن اعوججت فقومونى فإن لى شيطانا يعترينى عند غضبى فإذا رأيتمونى مغضبا فاجتنبونى لا أوثر فى أشعاركم و أبشاركم فإنه يدل على أنه لا يصلح للإمامه من وجهين أحدهما أن هذا صفة من ليس بمعصوم و لا يأمن الغلط على نفسه من يحتاج إلى تقويم رعيته له إذا وقع فى المعصيه و قد بينا أن الإمام لا بد أن يكون معصوما موقفا مسددا و الوجه الآخر أن هذه صفة من لا يملك نفسه و لا يضبط غضبه و من هو فى نهايه الطيش و الحده و الخرق و العجله و لا خلاف أن الإمام يجب أن يكون منزها عن هذه الأوصاف غير حاصل عليها و ليس يشبه قول أبى بكر ما تلاه من الآيات كلها لأن أبا بكر خبر عن نفسه بطاعه الشيطان عند الغضب و أن عادته بذلك جاربه و ليس هذا بمنزله من يوسوس إليه الشيطان و لا يطيعه و يزين له القبيح فلا يأتيه و ليس وسوسه الشيطان بعيد على الموسوس له إذا لم يستتره ذلك عن الصواب بل هو زياده فى التكليف و وجه يتضاعف معه الثواب و قوله تعالى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ قِيلَ مَعْنَاهُ فِي تَلَاوَتِهِ وَ قِيلَ فِي فِكْرَتِهِ عَلَى سَبِيلِ الْخَاطِرِ وَ أَيْ الْأَمْرَيْنِ كَانَ فَلَاعَارَ فِي ذَلِكَ عَلَى النَّبِيِّ ص وَ لَا- نَقْصَ وَ إِنَّمَا الْعَارُ وَ النِّقْصَ عَلَى مَنْ يَطِيعُ الشَّيْطَانَ وَ يَتَّبِعُ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ وَ لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ هَذَا إِنْ سَلِمَ لَكُمْ فِي جَمِيعِ الْآيَاتِ لَمْ يَسَلَمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ لِأَنَّهُ قَدْ خَبَرَ عَنْ تَأْثِيرِ غَوَايَتِهِ وَ وَسْوَستِهِ بِمَا كَانَ مِنْهُمَا مِنَ الْفِعْلِ وَ ذَلِكَ أَنَّ الْمَعْنَى الصَّحِيحَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ آدَمَ وَ حَوَاءَ كَانَا مَسْدُوبَيْنِ إِلَى اجْتِنَابِ الشَّجَرَةِ وَ تَرْكِ التَّنَاوُلِ مِنْهَا وَ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عَلَيْهِمَا وَاجِبًا لِأَزْمَا

لأن الأنبياء لا يخلون بالواجب فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ حتى تناولا من الشجره فتركا مندوبا إليه و حرما بذلك أنفسهما الثواب و سماه إزالا لأنه حط لهما عن درجه الثواب و فعل الأفضل و قوله تعالى فى موضع آخر وَ عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١) لا ينافى هذا المعنى لأن المعصيه قد يسمى بها من أخل بالواجب و الندب معا قوله فغوى أى خاب من حيث لم يستحق الثواب على ما ندب إليه على أن صاحب الكتاب يقول إن هذه المعصيه من آدم كانت صغيره لا يستحق بها عقابا و لا ذما فعلى مذهبه أيضا تكون المفارقة بينه و بين أبى بكر ظاهره لأن أبى بكر خبر عن نفسه أن الشيطان يعتربه حتى يؤثر فى الأشعار و الأبخار و يأتى ما يستحق به التقويم فأين هذا من ذنب صغير لا ذم و لا عقاب عليه و هو يجرى من وجه من الوجوه مجرى المباح لأنه لا يؤثر فى أحوال فاعله (٢) و حط رتبته و ليس يجوز أن يكون ذلك منه على سبيل الخشيه و الإشفاق على ما ظن لأن مفهوم خطابه يقتضى خلاف ذلك ألا ترى أنه قال إن لى شيطانا يعترينى و هذا قول من قد عرف عادته و لو كان على سبيل الإشفاق و الخوف لخرج عن هذا المخرج و لكان يقول فإنى آمن من كذا و إنى لمشفق منه فأما ترك أمير المؤمنين ع مخاصمه الناس فى حقوقه فكأنه إنما كان تنزها و تكرما و أى نسبه بين ذلك و بين من صرح و شهد على نفسه بما لا يليق بالأئمه و أما خبر استقاله البيعه و تضعيف صاحب الكتاب له فهو أبدا يضعف ما لا يوافقته من غير حجه يعتمدها فى تضعيفه و قوله إنه ما استقال على التحقيق و إنما نبه على أنه لا يبالى بخروج الأمر عنه و أنه غير مكره لهم عليه فبعيد من الصواب لأن ظاهر قوله أقيلونى أمر بالإقاله و أقل أحواله أن يكون عرضا لها و بذلا و كلا الأمرين قبيح و لو أراد ما ظنه لكان له

ص: ١٥٧

١-١) سورة طه ١٢١.

٢-٢) الشافى: «حال فاعله».

فى غير هذا القول مندوحه و لكان يقول إنى ما أكرهتكم و لا حملتكم على مبايعتى و ما كنت أبالى ألا يكون هذا الأمر فى و لا إلى و إن مفارقتة لتسرنى لو لا ما ألزمنىه الدخول فىه من التمسك به و متى عدلنا عن ظواهر الكلام بلا دليل جر ذلك علينا ما لا قبل لنا به و أما أمير المؤمنين ع فإنه لم يقل ابن عمر البيعه بعد دخولها فيها و إنما استعفاه من أن يلزمه البيعه ابتداء فأعفاه قله فكر فىه و علما بأن إمامته لا تثبت بمبايعه من يبايعه عليها فأين هذا من استقاله بيعه قد تقدمت و استقرت (١).

قلت أما قول أبى بكر وليتكم و لست بخيركم فقد صدق عند كثير من أصحابنا لأن خيرهم على بن أبى طالب ع و من لا يقول بذلك يقول بما قاله الحسن البصرى و الله إنه ليعلم أنه خيرهم و لكن المؤمن يهضم نفسه و لم يطعن المرتضى فىه بهذه اللفظه لنطيل القول فيها و أما قول المرتضى عنه أنه قال فإن لى شيطانا يعترينى عند غضبى فالمشهور فى الروايه فإن لى شيطانا يعترينى (٢) قال المفسرون أراد بالشيطان الغضب و سماه شيطانا على طريق الاستعاره و كذا ذكره شيخنا أبو الحسين فى الغرر قال معاويه لإنسان غضب فى حضرته فتكلم بما لا يتكلم بمثله فى حضره الخلفاء اربع على ظلعك (٣) أيها الإنسان فإنما الغضب شيطان و أنا لم نقل إلا خيرا.

و قد ذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى كتاب التاريخ الكبير خطبى أبى بكر عقيب بيعته بالسقيفه و نحن نذكرهما نقلا من كتابه أما الخطبه الأولى فهى

ص: ١٥٨

١- (١) الشافى ٤١٦، ٤١٥.

٢- (٢) أى من غير ذكر لفظ «عند الغضب».

٣- (٣) اربع على نفسك؛ أى توقف.



أما بعد أيها الناس فإنى وليتكم و لست بخيركم فإن أحسنت فأعينونى و إن أسأت فقومونى لأن الصدق أمانه و الكذب خيانه الضعيف منكم قوى عندى حتى أريح عليه حقه و القوى منكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل و لا تشيع الفاحشه فى قوم إلا عمهم الله بالبلاء أطيعونى ما أظمت الله و رسوله فإذا عصيت الله و رسوله فلا- طاعه لى عليكم قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله و أما الخطبه الثانیه فهى أيها الناس إنما أنا مثلكم و إنى لا أدرى لعلكم ستكلفونى ما كان رسول الله ص يطيقه (١) إن الله اصطفى محمدا ص على العالمين و عصمه من الآفات و إنما أنا متبع و لست بمتبوع فإن استقمت فاتبعونى و إن زغت فقومونى و إن رسول الله ص قبض و ليس أحد من هذه الأمه يطلبه بمظلمه ضربه سوط فما دونها ألا و إن لى شيطانا يعترينى فإذا غضبت فاجتنبونى لا أؤثر فى أشعاركم و أبشاركم ألا و إنكم تغدون و تروحون فى أجل قد غيب عنكم علمه فإن استطعتم ألا يمضى هذا الأجل إلا و أنتم فى عمل صالح فافعلوا و لن تستطيعوا ذلك إلا بالله فسابقوا فى مهل آجالكم من قبل أن تسلمكم آجالكم إلى انقطاع الأعمال فإن قوما نسوا آجالهم و جعلوا أعمالهم لغيرهم فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم الجد الجد الوحا الوحا فإن وراءكم طالبا حثيثا أجل (٢) مره سريع احذروا الموت و اعتبروا بالآباء و الأبناء و الإخوان و لا تغبطوا الأحياء إلا بما يغبط به الأموات (٣) .

إن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما يراد به وجهه فأريدوا وجه الله بأعمالكم و اعلموا

ص: ١٥٩

١-١ (١) الطبرى: «يطيق».

٢-٢ (٢) الطبرى: «أجلا».

٣-٣ (٣) إلى هنا فى الطبرى نهايه الخبه؛ و ما بعدها من خطبه أخرى.

أن ما أخلصتم لله من أعمالكم فلتأخذه أيتها موها و حظ ظفرتم به و ضرائب أدیتموها و سلف قدمتموه من أيام فانيه لأخرى باقيه  
لحين فقركم و حاجتكم فاعتبروا عباد الله بمن مات منكم و تفكروا فيمن كان قبلكم أين كانوا أمس و أين هم اليوم أين  
الجارون أين الذين كان لهم ذكر القتال و الغلبه في مواطن الحرب قد تضعض بهم الدهر و صاروا رميما قد تركت عليهم  
القالات الخيئات و إنما الخيئات للخيشين و الخيئون للخبيئات و أين الملوك الذين أثاروا الأرض و عمروها قد بعدوا بسبي  
ذكرهم و بقي ذكرهم و صاروا كلا شيء ألا إن الله قد أبقى عليهم التبعات و قطع عنهم الشهوات و مضوا و الأعمال أعمالهم و  
الدنيا دنيا غيرهم و بقينا خلفا من بعدهم فإن نحن اعتبرنا بهم نجونا و إن اغترنا كنا مثلهم أين الوضاء (١) الحسنه و جوههم  
المعجبون بشبابهم صاروا ترابا و صار ما فرطوا فيه حسره عليهم أين الذين بنوا المدائن و حصنوها بالحوائط و جعلوا فيها  
العجائب و تركوها لمن خلفهم فتلك مساكنهم خاويه و هم في ظلم القبور هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا (٢) أين  
من تعرفون من آبائكم و إخوانكم قد انتهت بهم آجالهم فوردوا على ما قدموا عليه و أقاموا للشقوه و للسعاده إلا إن الله لا  
شريك له ليس بينه و بين أحد من خلقه سبب يعطيه به خيرا و لا يصرف عنه به شرا إلا بطاعته و اتباع أمره و اعلموا أنكم عباد  
مدينون و أن ما عنده لا يدرك إلا بتقواه و عبادته ألا و إنه لا خير بخير بعده النار و لا شر بعد الجنة (٣) .

فهذه خطبتا أبي بكر يوم السقيفه و اليوم الذي يليه إنما قال إن لى شيطانا يعتريني و أراد بالشیطان الغضب و لم يرد أن له شيطانا  
من مرده الجن يعتريه إذا

ص : ١٦٠

١- ١) الوضاء: ذوو الوضاء و الحسن.

٢- ٢) سورة مريم: ٩٨.

٣- ٣) تاريخ الطبري ٢٢٥، ٢٢٣: ٣.

غضب فالزياده فيما ذكره المرتضى فى قوله إن لى شيطانا يعترينى عند غضبى تحريف لا محاله و لو كان له شيطان من الجن يعتاده و ينوبه لكان فى عداد المصروعين من المجانين و ما ادعى أحد على أبى بكر هذا لا من أوليائه و لا من أعدائه و إنما ذكرنا خطبته على طولها و المراد منها كلمه واحده لما فيها من الفصاحه و الموعظه على عادتنا فى الاعتناء بإيداع هذا الكتاب ما كان ذاهبا هذا المذهب و سالكا هذا السبيل.

فأما قول المرتضى فهذه صفه من ليس بمعصوم فالأمر كذلك و العصمه عندنا ليست شرطا فى الإمامه و لو لم يدل على عدم اشتراطها إلا أنه قال على المنبر بحضور الصحابه هذا القول و أقره على الإمامه لكفى فى عدم كون العصمه شرطا لأنه قد حصل الإجماع على عدم اشتراط ذلك إذ لو كان شرطا لأنكر منكر إمامته كما لو قال إنى لا أصبر عن شرب الخمر و عن الزنا.

فأما قوله هذه صفه طائش لا- يملك نفسه فلعمري إن أبابكر كان حديدا و قد ذكره عمر بذلك و ذكره غيره من الصحابه بالحده و السرعه و لكن لا بحيث أن تبطل به أهليته للإمامه لأن الذى يبطل الإمامه من ذلك و ما يخرج الإنسان عن العقل و أما ما هو دون ذلك فلا- و ليس قوله فاجتنبونى لا- أوثر فى أشعاركم و أبشاركم محمول على ظاهره و إنما أراد به المبالغه فى وصف القوه الغضبيه عنده و إلا فما سمعنا و لا نقل ناقل من الشيعة و لا من غير الشيعة أن أبابكر فى أيام رسول الله ص و لا فى الجاهليه و لا فى أيام خلافته احتد على إنسان فقام إليه فضربه بيده و مزق شعره.

فأما ما حكاه قاضى القضاة عن الشيخ أبى على من تشبيه هذه اللفظه بما ورد فى القرآن فهو على تقدير أن يكون أبو بكر عنى الشيطان حقيقه و ما اعترض به المرتضى ثانيه عليه غير لازم لأن الله تعالى قال فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ و تعقب ذلك قبولهما

وسوسته و أكلهما من الشجرة فكيف يقول المرتضى ليس قول أبي بكر بمنزله من وسوس له الشيطان فلم يطعه و كذلك قوله تعالى في قصة موسى لما قتل القبطي <sup>□□</sup> هذا من عمل الشيطان <sup>□</sup> إنه عدو مضل مبين و كذلك قوله فأزلهما الشيطان <sup>□□</sup> عنها و قوله ألقى الشيطان في أميته و ما ذهب إليه المرتضى من التأويلات مبنى على مذهبه في العصمة الكليه و هو مذهب يحتاج في نصرته إلى تكلف شديد و تعسف عظيم في تأويل الآيات على أنه إذا سلم أن الشيطان ألقى في تلاوة الرسول ص ما ليس من القرآن حتى ظنه السامعون كلاما من كلام الرسول فقد نقض دلالة التنفير المقتضيه عنده في العصمة لأنه لا تنفير عنده أبلغ من تمكين الله الشيطان أن يخط كلامه بكلامه و رسوله يؤديه إلى المكلفين حتى يعتقد السامعون كلهم أن الكلامين كلام واحد.

و أما قوله إن آدم كان مندوبا إلى ألا يأكل من الشجرة لا محرم عليه أكلها و لفظه عصى إنما المراد بها خالف المندوب (1) و لفظه غوى إنما المراد خاب من حيث لم يستحق الثواب على اعتماد ما ندب إليه فقول يدفعه ظاهر الآية لأن الصيغه صيغه النهي و هي قوله و لا تقربا <sup>□□</sup> هذه الشجرة و النهي عند المرتضى يقتضى التحريم لا محاله و ليس الأمر الذي قد يراد به الندب و قد يراد به الوجوب.

و أما قول شيخنا أبي على إن كلام أبي بكر خرج مخرج الإشفاق و الحذر من المعصية عند الغضب فجيد.

و اعتراض المرتضى عليه بأنه ليس ظاهر اللفظ ذاك غير لازم لأن هذه عادة العرب يعبرون عن الأمر بما هو منه بسبب و سبيل كقولهم لا تدن من الأسد فإكلك فليس أنهم قطعوا على الأكل عند الدنو و إنما المراد الحذر و الخوف و التوقع للأكل عند الدنو.

ص: ١٦٢

و أما الكلام فى قوله أقبلىونى فلو صح الخبر لم يكن فىه مطعن علىه لأنه إنما أراد فى الیوم الثانى اختبار حالهم فى البیعه التى وقعت فى الیوم الأول لىعلم ولیه من عدوه منهم

٤٤٣٢

١- و قد روى جمیع أصحاب السیر أن أمیر المؤمنین خطب فى الیوم الثانى من بیعته فقال أیها الناس إنکم بایعتمونى على السمع والطاعة و أنا أعرض الیوم علیکم ما دعوتمونى إلیه أمس فإن أجبتم قعدت لکم و إلا فلا أجد على أحد .

و لیس بجید قول المرتضى إنه لو كان یرید العرض و البذل لكان قد قال كذا و كذا فإن هذه مضایقه منه شدیده للألفاظ و لو شرعنا فى مثل هذا لفسد أكثر ما یتكلم به الناس على أنا لو سلمنا أنه استقالهم البیعه حقیقه فلم قال المرتضى إن ذلك لا یجوز أ لیس یجوز للقاضى أن ىستقیل من القضاء بعد تولیته (١) إیاه و دخوله فىه فكذلك یجوز للإمام أن ىستقیل من الإمامه إذا أنس من نفسه ضعفها أو أنس من رعیته نبوه عنه أو أحس بفساد ینشأ فى الأرض من جهه ولايته على الناس و من ىذهب إلى أن الإمامه تكون بالاختیار کیف یمنع من جواز استقاله الإمام و طلبه إلى الأئمه أن ىختاروا غیره لعذر یعلمه من حال نفسه و إنما یمنع من ذلك المرتضى و أصحابه القائلون بأن الإمامه بالنص و إن الإمام محرم علیه ألا یقوم بالإمامه لأنه مأمور بالقیام بها لتعینه خاصه دون كل أحد من المكلفین و أصحاب الاختیار یقولون إذا لم ىکن زید إماما كان عمرو إماما عوضه لأنهم لا یعتبرون الشروط التى یعبرها الإمامیه من العصمه و أنه أفضل أهل عصره و أكثرهم ثوابا و أعلمهم و أشجعهم و غیر ذلك من الشروط التى تقتضى تفردده و توحده بالأمر على أنه إذا جاز عندهم أن ىترك الإمام الإمامه فى الظاهر كما فعله الحسن و كما فعله غیره من الأئمه بعد الحسين ع للتقیه جاز للإمام

ص: ١٦٣

---

(١- ١) كذا فى ا و د، و فى ب: «تولیته».

على مذهب أصحاب الاختيار أن يترك الإمامه ظاهرا و باطنا لعذر يعلمه من حال نفسه أو حال رعيته

## الطعن الثاني

قال قاضى القضاة بعد أن ذكر قول عمر كانت بيعه أبى بكر فله و قد تقدم منا القول فى ذلك فى أول هذا الكتاب و مما طعنوا به على (١) أبى بكر أنه قال عند موته ليتنى كنت سألت رسول الله ص عن ثلاثة فذكر فى أحدها ليتنى كنت سألته هل للأنصار فى هذا الأمر حق قالوا و ذلك يدل على شكه فى صحه بيعته و ربما قالوا قد روى أنه قال فى مرضه ليتنى كنت تركت بيت فاطمه لم أكشفه و ليتنى فى ظله بنى ساعده كنت ضربت على [يد]

(٢) أحد الرجلين فكان هو الأمير و كنت الوزير قالوا و ذلك يدل على ما روى من إقدامه على بيت فاطمه ع عند اجتماع على ع و الزبير و غيرهما فيه و يدل على أنه كان يرى الفضل لغيره لا لنفسه.

قال قاضى القضاة و الجواب أن قوله ليتنى لا يدل على الشك فيما تمناه و قول إبراهيم ع رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَال بَلَىٰ وَ لَكِن لَّيَطْمِئِنَّ قَلْبِي (٣) أقوى من ذلك فى الشبهه ثم حمل تمنيه على أنه أراد سماع شىء مفصل أو أراد ليتنى سألته عند الموت لقرب العهد لأن ما قرب عهده لا ينسى و يكون أردع للأنصار على ما حاولوه ثم قال على أنه ليس فى ظاهره أنه تمنى أن

ص: ١٦٤

١-١) ب: «فى».

٢-٢) تكمله من كتاب الشافى.

٣-٣) سورة البقره ٦٢.

يسأل هل لهم حق في الإمامه أم لا لأن الإمامه قد يتعلق بها حقوق سواها ثم دفع الروايه المتعلقه ببيت فاطمه ع و قال فأما تمنيه أن يبائع غيره فلو ثبت لم يكن ذما لأن من اشتد التكليف عليه فهو يتمنى خلافه (١).

اعترض المرتضى رحمه الله هذا الكلام فقال ليس يجوز أن يقول أبو بكر ليتنى كنت سألت عن كذا إلا مع الشك و الشبهه لأن مع العلم و اليقين (٢) لا يجوز مثل هذا القول هكذا يقتضى الظاهر فأما قول إبراهيم ع فإنما ساغ أن يعدل عن ظاهره لأن الشك لا يجوز على الأنبياء و يجوز على غيرهم على أنه ع قد نفى عن نفسه الشك بقوله بَلَىٰ وَ لَكِنَّ لِيُطْمَئِنَّ قَلْبِي و قد قيل إن نمرود قال له إذا كنت تزعم أن لك ربا يحيى الموتى فاسأله أن يحيى لنا ميتا إن كان على ذلك قادرا فإن لم تفعل ذلك قتلتك فأراد بقوله وَ لَكِنَّ لِيُطْمَئِنَّ قَلْبِي أى لآمن تواعد عدوك لى بالقتل و قد يجوز أن يكون طلب ذلك لقومه و قد سأله أن يرغب إلى الله تعالى فيه فقال ليطمئن قلبى إلى إجابتك لى و إلى إزاحه عله قومى و لم يرد ليطمئن قلبى إلى أنك تقدر على أن تحيى الموتى لأن قلبه قد كان بذلك مطمئنا و أى شىء يريد أبو بكر من التفضيل أكثر من قوله إن هذا الأمر لا يصلح إلا لهذا الحى من قريش و أى فرق بين ما يقال عند الموت و بين ما يقال قبله إذا كان محفوظا معلوما لم ترفع كلمه و لم تنسخ.

و بعد فظاهر الكلام لا يقتضى (٣) هذا التخصيص و نحن مع الإطلاق و الظاهر و أى حق يجوز أن يكون للأنصار في الإمامه غير أن يتولاها رجل منهم حتى يجوز أن يكون الحق الذى تمنى أن يسأل عنه غير الإمامه و هل هذا إلا تعسف و تكلف

ص: ١٦٥

١-١) نقله المرتضى في الشافى ٤١٩.

٢-٢) الشافى: «التيقن».

٣-٣) ا: «يقضى».

و أى شبهه تبقى بعد قول أبى بكر ليتنى كنت سألته هل للأنصار فى هذا الأمر حق فكنا لا ننازعه أهله و معلوم أن التنازع لم يقع بينهم إلا فى الإمامه نفسها لا فى حق آخر من حقوقها.

فأما قوله إنا قد بينا أنه لم يكن منه فى بيت فاطمه ما يوجب أن يتمنى أنه لم يفعله فقد بينا فساد ما ظنه فيما تقدم.

فأما قوله إن من اشتد التكليف عليه قد يتمنى خلافه فليس بصحيح لأن ولايه أبى بكر إذا كانت هى التى اقتضاها الدين و النظر للمسلمين فى تلك الحال و ما عداها كان مفسده و مؤديا إلى الفتنة فالتمنى لخلافها لا يكون إلا قبيحا (١).

قلت أما قول قاضى القضاة إن هذا التمنى لا- يقتضى الشك فى أن الإمامه لا تكون إلا فى قريش كما أن قول إبراهيم و لَكِنَّ لِيُطْمَئِنَّ قَلْبِي لا يقتضى الشك فى أنه تعالى قادر على ذلك فجيد.

فأما قول المرتضى إنما ساغ أن يعدل عن الظاهر فى حق إبراهيم لأنه نبي معصوم لا يجوز عليه الشك فيقال له و كذلك ينبغي أن يعدل عن ظاهر كلام أبى بكر لأنه رجل مسلم عاقل فحسن الظن به يقتضى صيانته أفعاله و أقواله عن التناقض قوله إن إبراهيم قد نفى عن نفسه الشك بقوله بلى و لَكِنَّ لِيُطْمَئِنَّ قَلْبِي قلنا إن أبا بكر قد نفى عن نفسه الشك بدفع الأنصار عن الإمامه و إثباتها فى قريش خاصة فإن كانت لفظه بلى دافعه لشك إبراهيم الذى يقتضيه قوله و لَكِنَّ لِيُطْمَئِنَّ قَلْبِي ففعل أبى بكر و قوله يوم السقيفه

ص: ١٦٦

---

(١-١) الشافى ٤١٩، و فى د: «إلا نسخا».



يدفع الشك الذى يقتضيه قوله ليتنى سألته و لا فرق فى دفع الشك بين أن يتقدم الدافع أو يتأخر أو يقارن.

ثم يقال للمرتضى أ لست فى هذا الكتاب و هو الشافى بينت (١) أن قصه السقيفه لم يجر فيها ذكر نص عن رسول الله ص بأن الأئمه من قريش و أنه لم يكن هناك إلا- احتجاج أبى بكر و عمر بأن قريشا أهل النبى ص و عشيرته و أن العرب لا تطيع غير قريش و ذكرت عن الزهرى و غيره أن القول الصادر عن أبى بكر إن هذا الأمر لا- يصلح إلا- لهذا الحى من قريش ليس نصا مرويا عن رسول الله ص و إنما هو قول قاله أبو بكر من تلقاء نفسه و رويت فى ذلك الروايات و نقلت من الكتب من تاريخ الطبرى و غيره صوره الكلام و الجدال الدائر بينه و بين الأنصار فإذا كان هذا قولك فلم تنكر على أبى بكر قوله ليتنى كنت سألت رسول الله ص هل للأنصار فى هذا الأمر حق لأنه لم يسمع النص و لا رواه و لا روى له و إنما دفع الأنصار بنوع من الجدل فلا جرم بقى فى نفسه شىء من ذلك و قال عند موته ليتنى كنت سألت رسول الله ص و ليس ذلك مما يقتضى شكه فى بيعته كما زعم الطاعن لأنه إنما يشك فى بيعته لو كان قال قائل أو ذهب ذاهب إلى أن الإمامه ليست إلا فى الأنصار و لم يقل أحد ذلك بل النزاع كان فى هل الإمامه مقصوره على قريش خاصه أم هى فوضى بين الناس كلهم و إذا كانت الحال هذه لم يكن شاكا فى إمامته و بيعته بقوله ليتنى سألت رسول الله ص هل للأنصار فى هذا حق لأن بيعته على كلا التقديرين تكون صحيحه.

ص: ١٦٧

١-١) فى د«أثبت».

فأما قول قاضى القضاء لعله أراد حقا للأنصار غير الإمامه نفسها فليس بجيد و الذى اعترضه به المرتضى جيد فإن الكلام لا يدل إلا على الإمامه نفسها و لفظه المنازعه تؤكد ذلك.

و أما حديث الهجوم على بيت فاطمه ع فقد تقدم الكلام فيه و الظاهر عندى صحه ما يرويه المرتضى و الشيعة و لكن لا كل ما يزعمونه بل كان بعض ذلك و حق لأبى بكر أن يندم و يتأسف على ذلك و هذا يدل على قوه دينه و خوفه من الله تعالى فهو بأن يكون منقبه (١) له أولى من كونه طعنا عليه.

فأما قول قاضى القضاء إن من اشتد التكليف عليه فقد يتمنى خلافه و اعتراض المرتضى عليه فكلام قاضى القضاء أصح و أصوب لأن أبا بكر و إن كانت ولايته مصلحه و ولايه غير مفسده فإنه ما يتمنى أن يكون الإمام غيره مع استلزام ذلك للمفسده بل تمنى أن يلى الأمر غيره و تكون المصلحه بحالها أ لا ترى أن خصال الكفار فى اليمين كل واحده منها مصلحه و ما عداها لا يقوم مقامها فى المصلحه و أحدها يقوم مقام الأخرى فى المصلحه فأبو بكر تمنى أن يلى الأمر عمر أو أبو عبيده بشرط أن تكون المصلحه الدينيه التى تحصل من بيعته حاصله من بيعه كل واحد من الآخرين

### الطعن الثالث

قالوا إنه ولى عمر الخلفه و لم يوله رسول الله ص شيئا

ص: ١٦٨

١- (١) منقبه؛ أى مفخره.

من أعماله البتة إلا ما ولاه يوم خيبر فرجع منهزما و ولاه الصدقه فلما شكاه العباس عزله.

أجاب قاضى القضاء بأن تركه ع أن يوليه لا يدل على أنه لا يصلح لذلك و توليته إياه لا يدل على صلاحيته للإمامه فإنه ص قد ولى خالد بن الوليد و عمرو بن العاص و لم يدل ذلك على صلاحيتهما للإمامه و كذلك تركه أن يولى لا يدل على أنه غير صالح بل المعتبر بالصفات التى تصلح للإمامه فإذا كملت صلح لذلك ولى من قبل أو لم يول و قد ثبت أن النبى ص ترك أن يولى أمير المؤمنين ع أمورا كثيرة و لم يجب إلا من يصلح لها و ثبت أن أمير المؤمنين ع لم يول الحسين ع ابنه و لم يمنع ذلك من أن يصلح للإمامه و حكى عن أبى على أن ذلك إنما كان يصح أن يتعلق به لو ظفروا بتقصير من عمر فيما تولاه فأما و أحواله معروفه فى قيامه بالأمر حين يعجز غيره فكيف يصح ما قالوه و بعد فهلا دل ما روى من قوله و إن تولوا عمر تجدوه قويا فى أمر الله قويا فى بدنه على جواز ذلك و إن ترك النبى ص توليته لأن هذا القول أقوى من الفعل (١).

اعترض المرتضى رحمه الله فقال قد علمنا بالعادة أن من ترشح لكبار الأمور لا بد من أن يدرج إليها بصغارها لأن من يريد بعض الملوك تأهيله للأمر من بعده لا بد من أن ينبه عليه بكل قول و فعل يدل على ترشيحه لهذه المنزله و يستكفيه من أمور ولاياته (٢) ما يعلم عنده أو يغلب على ظنه صلاحه لما يريد له و إن من يرى الملك مع حضوره و امتداد الزمان و تطاوله لا يستكفيه شيئا من الولايات و متى ولاه عزله و إنما يولى غيره و يستكفى سواه لا بد أن يغلب فى الظن أنه ليس بأهل للولاية و إن جوزنا أنه لم يوله لأسباب كثيرة سوى أنه لا يصلح للولاية إلا أن مع هذا التجويز لا بد أن

ص: ١٦٩

١- (١) نقله المرتضى فى الشافى ٤١٩.

٢- (٢) الشافى: من أموره و ولاياته.

يغلب على الظن بما ذكرناه فأما خالد و عمرو فإنما لم يصلحا للإمامه لفقد شروط الإمامه فيهما و إن كانا يصلحان لما ولياه من الإمامه فترك الولايه مع امتداد الزمان و تطاول الأيام و جميع الشروط التي ذكرناها تقتضى غلبه الظن لفقد الصلاح و الولايه لشيء (١) لا تدل على الصلاح لغيره إذا كانت الشرائط في القيام بذلك الغير معلوما فقدها و قد نجد الملك يولى بعض أموره من لا يصلح للملك بعده لظهور فقد الشرائط فيه و لا يجوز أن يكون بحضرتة من يرشحه للملك بعده ثم لا يوليه على تطاول الزمان شيئاً من الولايات فبان الفرق بين الولايه و تركها فيما ذكرناه.

فأما أمير المؤمنين ع و إن يتول جميع أمور النبي ص في حياته فقد تولى أكثرها و أعظمها و خلفه في المدينة و كان الأمير على الجيش المبعوث إلى خيبر و جرى الفتح على يديه بعد انهزام من انهزم منها و كان المؤدى عنه سوره براءه بعد عزل من عزل عنها و ارتجاعها منه إلى غير ذلك من عظيم الولايات و المقامات بما يطول شرحه و لو لم يكن إلا أنه لم يول عليه والياً قط لكفى.

فأما اعتراضه بأن أمير المؤمنين ع لم يول الحسين فبعيد عن الصواب لأن أيام أمير المؤمنين ع لم تطل فيتمكن فيها من مراداته و كانت على قصرها منقسمه بين قتال الأعداء لأنه ع لما بويع لم يلبث أن خرج عليه أهل البصره فاحتاج إلى قتالهم ثم انكفاً من قتالهم إلى قتال أهل الشام و تعقب ذلك قتال أهل النهروان و لم تستقر به الدار و لا امتد به الزمان و هذا بخلاف أيام النبي ص التي تطاولت و امتدت على أنه قد نص عليه بالإمامه بعد أخيه الحسن و إنما تطلب الولايات لغلبه الظن بالصلاح للإمامه.

فإن كان هناك وجه يقتضى العلم بالصلاح لها كان أولى من طريق الظن على أنه

ص: ١٧٠

لا- خلاف بين المسلمين أن الحسين ع كان يصلح للإمامه و إن لم يوله أبوه الولايات و فى مثل ذلك خلاف من حال عمر فافترق الأمران فأما قوله إنه لم يعثر على عمر بتقصير فى الولاية فمن سلم بذلك أ و ليس يعلم أن مخالفته تعد تقصيرا كثيرا و لو لم يكن إلا ما اتفق عليه من خطئه فى الأحكام و رجوعه من قول إلى غيره و استفتائه الناس فى الصغير و الكبير و قوله كل الناس أفتقه من عمر لكان فيه كفايه و ليس كل النهوض بالإمامه يرجع إلى حسن التدبير و السياسه الدنياويه و رم الأعمال و الاستظهار فى جبايه الأموال و تمصير الأمصار و وضع الأعشار بل حظ الإمامه من العلم بالأحكام و الفتيا بالحلال و الحرام و الناسخ و المنسوخ و المحكم و المتشابه أقوى فمن قصر فى هذا لم ينفعه أن يكون كاملا فى ذلك.

فأما قوله فهلا دل ما روى من

٤٤٣٣

قوله ع فإن وليتم عمر وجدتموه قويا فى أمر الله قويا فى بدنه. فهذا لو ثبت لدل و قد تقدم القول (١) عليه و أقوى ما يبطله عدول أبى بكر عن ذكره و الاحتجاج به لما أراد النص على عمر فعوتب على ذلك و قيل له ما تقول لربك إذ وليت علينا فظا غليظا فلو كان صحيحا لكان يحتج به و يقول وليت عليكم من شهد النبى ص بأنه قوى فى أمر الله قوى فى بدنه و قد قيل فى الطعن على صحه هذا الخبر إن ظاهره يقتضى تفضيل عمر على أبى بكر و الإجماع بخلاف ذلك لأن القوه فى الجسم فضل قال الله تعالى إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَ زَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ (٢) و بعد فكيف يعارض ما اعتمدها من عدوله ع عن ولايته و هو أمر معلوم بهذا الخبر المردود المدفوع.

قلت أما ما ادعاه من عاده الملوك فالأمر بخلافه فإننا قد وقفنا على سير الأكاسره و ملوك الروم و غيرهم فما سمعنا أن أحدا منهم رشح ولده

ص: ١٧١

١-١) فى «الكلام».

٢-٢) سورة البقره ٢٤٧.

للملك بعده باستعماله على طرف من الأطراف و لا- جيش من الجيوش و إنما كانوا يثقفونهم بالآداب و الفروسيه فى مقار ملكهم لا غير و الحال فى ملوك الإسلام كذلك فقد سمعنا بالدوله الأمويه و رأينا الدوله العباسيه فلم نعرف الدوله التى ادعاها المرتضى و إنما قد يقع فى الأقل النادر شىء مما أشار إليه و الأغلب الأكثر خلاف ذلك على أن أصحابنا لا يقولون إن عمر كان مرشحاً للخلافه بعد رسول الله ص ليقال لهم فلو كان قد رشحه للخلافه بعده لاستكفاه كثيراً من أموره و إنما عمر مرشح عندهم فى أيام أبى بكر للخلافه بعد أبى بكر و قد كان أبو بكر استعمله على القضاء مده خلافته بل كان هو الخليفه فى المعنى لأنه فوض إليه أكثر التدبير فعلى هذا يكون قد سلمنا أن ترك استعمال النبى ص لعمر يدل على أنه غير مرشح فى نظره للخلافه بعده و كذلك نقول و لا يلزم من ذلك ألا يكون خليفه بعد أبى بكر على أنا لا نسلم أنه ما استعمله فقد ذكر الواقدى و ابن إسحاق أنه بعثه فى سريره فى سنه سبع من الهجره إلى الوادى المعروف بيرمه بضم الباء و فتح الرء و بها جمع من هوازن فخرج و معه دليل من بنى هلال و كانوا يسيرون الليل و يكمنون النهار و أتى الخبر هوازن فهربوا و جاء عمر محالهم فلم يلق منهم أحدا فانصرف إلى المدينه .

ثم يعارض المرتضى بما ذكره قاضى القضاء من ترك توليه على ابنه الحسين ع و قوله فى العذر عن ذلك إن عليا ع كان ممنوا بحرب البغاه و الخوارج لا- يدفع المعارضه لأن تلك الأيام التى هى أيام حروبه مع هؤلاء هى الأيام التى كان ينبغى أن يولى الحسين ع بعض الأمور فيها كاستعماله على جيش ينفذه سريره إلى بعض الجهات و استعماله على الكوفه بعد خروجه منها إلى حرب صفين أو استعماله على القضاء

و ليس اشتغاله بالحرب بمانع له عن ولايه ولده و قد كان مشغولا بالحرب و هو يولى بنى عمه العباس الولايات و البلاد الجليله فأما قوله على أنه قد نص عليه بالإمامه بعد أخيه الحسن فهذا يغنى عن توليته شيئا من الأعمال فلقائل أن يمنع ما ذكره من حديث النص فإنه أمر تنفرد به الشيعة و أكثر أرباب السير و التواريخ لا يذكرون أن أمير المؤمنين ع نص على أحد ثم إن ساغ له ذلك ساغ لقاضى القضاء أن يقول إن

٤٤٣٤

قول النبي ص اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر و عمر .

يغنى عن توليه عمر شيئا من الولايات لأن هذا القول أكد من الولايات في ترشحه للخلافه.

فأما قوله على أنه لا خلاف بين المسلمين في صلاحية الحسين للخلافه و إن لم يوله أبوه الولايات و في عمر خلاف ظاهر بين المسلمين فلقائل أن يقول له إجماع المسلمين على صلاحية الحسين للخلافه لا- يدفع المعارضه بل يؤكد لها لأنه إذا كان المسلمون قد أجمعوا على صلاحيته للخلافه و لم يكن ترك توليه أبيه إياه الولايات قادحا في صلاحيته لها بعده جاز أيضا أن يكون ترك توليه رسول الله ص عمر الولايات في حياته غير قادح في صلاحيته للخلافه بعده.

ثم ما ذكره من تقصير عمر في الخلافه بطريق اختلاف أحكامه و رجوعه إلى فتاوى العلماء فقد ذكرنا ذلك فيما تقدم لما تكلمنا في مطاعن الشيعة على عمر و أجبنا عنه.

و أما قوله لا يغنى حسن التدبير و السياسه و رم الأمور من القصور في الفقه فأصحابنا يذهبون إلى أنه إذا تساوى اثنان في خصال الإمامه إلا أنه كان أحدهما أعلم و الآخر

ص: ١٧٣

أسوس فإن الأسوس أولى بالإمامه لأن حاجه الإمامه إلى السياسه و حسن التدبير أكد من حاجتها إلى العلم و الفقه.

و أما الخبر المروى فى عمر و هو قوله و إن تولوها عمر فيجوز ألا يكون أبو بكر سمعه من رسول الله ص و يكون الراوى له غيره و يجوز أن يكون سمعه و شذ عنه أن يحتج به على طلحه لما أنكر استخلاف عمر و يجوز ألا يكون شذ عنه و ترك الاحتجاج به استغناء عنه لعلمه أن طلحه لا يعتد بقوله عند الناس إذا عارض قوله و لعله كنى عن هذا النص بقوله إذا سألتنى ربي قلت له استخلفت عليهم خير أهلك على أنا متى فتحنا باب هلا احتج فلان بكذا جر علينا ما لا قبل لنا به و قيل هلا احتج على ع على طلحه و عائشه و الزبير

٤٤٣٥

بقول رسول الله ص من كنت مولاه فهذا على مولاه.

و هلا احتج عليهم

٤٤٣٦

بقوله أنت منى بمنزله هارون من موسى .

و لا يمكن الشيعة أن يعتذروا هاهنا بالتقيه لأن السيوف كانت قد سلت من الفريقين و لم يكن مقام تقيه.

و أما قوله هذا الخبر لو صح لاقتضى أن يكون عمر أفضل من أبى بكر و هو خلاف إجماع المسلمين فلقال أن يقول لم قلت إن المسلمين أجمعوا على أن أبا بكر أفضل من عمر مع أن كتب الكلام و التصانيف المصنفة فى المقالات مشحونه بذكر الفرقه العمرية و هم القائلون إن عمر أفضل من أبى بكر و هى طائفه عظيمه من المسلمين يقال إن عبد الله بن مسعود منهم و قد رأيت أن جماعه من الفقهاء يذهبون إلى هذا و يناظرون عليه على أنه لا يدل الخبر على ما ذكره المرتضى لأنه و إن كان عمر أفضل منه باعتبار قوه البدن فلا- يدل على أنه أفضل منه مطلقا فمن الجائز أن يكون بإزاء هذه الخصله خصال كثيره فى أبى بكر من خصال الخير يفضل بها على عمر

ص: ١٧٤



ألا- ترى أننا نقول أبو دجانة أفضل من أبي بكر بجهاده بالسيف في مقام الحرب و لا يلزم من ذلك أن يكون أفضل منه مطلقا لأن في أبي بكر من خصال الفضل ما إذا قيس بهذه الخصلة أربى عليها أضعافا مضاعفه

#### الطعن الرابع

قالوا إن أبا بكر كان في جيش أسامه و إن رسول الله ص كرر حين موته الأمر بتنفيذ جيش أسامه فتأخره يقتضى مخالفه الرسول ص فإن قلت إن لم يكن في الجيش قيل لكم لا- شك أن عمر بن الخطاب كان في الجيش و أنه حبسه و منعه من النفوذ مع القوم و هذا كالأول في أنه معصيه و ربما قالوا إنه ص جعل هؤلاء القوم في جيش أسامه ليعيدوا بعد وفاته عن المدينة فلا يقع منهم توثب على الإمامه و لذلك لم يجعل أمير المؤمنين ع في ذلك الجيش و جعل فيه أبا بكر و عمر و عثمان و غيرهم و ذلك من أوكد الدلاله على أنه لم يرد أن يختاروا للإمامه (١).

أجاب قاضى القضاء بأن أنكر أولا أن يكون أبو بكر في جيش أسامه و أحال على كتب المغازى ثم سلم ذلك و قال إن الأمر لا يقتضى الفور فلا يلزم من تأخر أبي بكر عن النفوذ أن يكون عاصيا ثم قال إن خطابه ص بتنفيذ الجيش يجب أن يكون متوجها إلى القائم بعده لأنه من خطاب الأئمه و هذا يقتضى ألا يدخل المخاطب بالتنفيذ فى الجملة ثم قال و هذا يدل على أنه لم يكن هناك إمام منصوب عليه لأنه لو كان لأقبل بالخطاب عليه و خصه بالأمر بالتنفيذ دون الجميع

ص: ١٧٥

ثم ذكر أن أمر رسول الله ص لا بد أن يكون مشروطاً بالمصلحة و بأن لا يعرض ما هو أهم منه لأنه لا يجوز أن يأمرهم بالنفوذ و إن أعقب ضرراً في الدين ثم قوى ذلك بأنه لم ينكر على أسامه تأخره و قوله لم أكن لأسأل عنك الركب ثم قال لو كان الإمام منصوباً عليه لجاز أن يسترد جيش أسامه أو بعضه لنصرته و كذلك إذا كان بالاختيار ثم حكى عن الشيخ أبي علي استدلاله على أن أبا بكر لم يكن في جيش أسامه بأنه و لاه الصلاه في مرضه مع تكريره أمر الجيش بالنفوذ و الخروج.

ثم ذكر أن الرسول ص إنما يأمر بما يتعلق بمصالح الدنيا من الحروب و نحوها عن اجتهاده و ليس بواجب أن يكون ذلك عن وحى كما يجب في الأحكام الشرعيه و أن اجتهاده يجوز أن يخالف بعد وفاته و إن لم يجز في حياته لأن اجتهاده في الحياه أولى من اجتهاد غيره ثم ذكر أن العله في احتباس عمر عن الجيش حاجه أبي بكر إليه و قيامه بما لا يقوم به غيره و أن ذلك أحوط للدين من نفوذه.

ثم ذكر أن أمير المؤمنين ع حارب معاويه بأمر الله تعالى و أمر رسوله و مع هذا فقد ترك محاربتة في بعض الأوقات و لم يجب بذلك إلا- يكون متمثلاً للأمر و ذكر توليته ع أبا موسى و توليه الرسول ص خالد بن الوليد مع ما جرى (1) منهما و أن ذلك يقتضى الشرط.

ثم ذكر أن من يصلح للإمامه ممن ضمنه جيش أسامه يجب تأخيره ليختار للإمامه أحدهم فإن ذلك أهم من نفوذهم فإذا جاز لهذه العله التأخير قبل العقد جاز التأخير بعده للمعاضده و غيرها و طعن في قول من جعل أن إخراجهم في الجيش على جهه الإبعاد لهم عن المدينة بأن قال إن بعدهم عن المدينة لا يمنع من أن يختاروا للإمامه

ص: ١٧٦

ولأنه ع لم يكن قاطعا على موته لا- محاله لأنه لم يرد نفذوا جيش أسامه في حياتي ثم ذكر أن ولايه أسامه عليهما لا تقتضى فضله و أنهما دونه و ذكر ولايه عمرو بن العاص عليهما و إن لم يكونا دونه في الفضل و أن أحدا لم يفضل أسامه عليهما ثم ذكر أن السبب في كون عمر من جملة جيش أسامه أن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي قال عند ولايه أسامه تولى علينا شاب حدث و نحن مشيخه قريش فقال عمر يا رسول الله مرني حتى أضرب عنقه فقد طعن في تأميرك إياه ثم قال أنا أخرج في جيش أسامه تواضعا و تعظيما لأمره ع.

اعترض المرتضى هذه الأ-جوبه فقال أما كون أبي بكر في جملة جيش أسامه فظاهر قد ذكره أصحاب السير و التواريخ و قد روى البلاذري في تاريخه و هو معروف بالثقه و الضبط و برىء من ممالاه الشيعة و مقاربتها أن أبا بكر و عمر معا كانا في جيش أسامه و الإنكار لما يجرى هذا المجرى لا يغنى شيئا و قد كان يجب على من أحال بذلك على كتب المغازي في الجمله أن يومئ إلى الكتاب المتضمن لذلك بعينه ليرجع إليه فأما خطابه ع بالتنفيذ للجيش فالمقصود به الفور دون التراخي إما من حيث مقتضى الأمر على مذهب من يرى ذلك لغه و إما شرعا من حيث وجدنا جميع الأمة من لدن الصحابه إلى هذا الوقت يحملون أوامره على الفور (1) و يطلبون في تراخيها الأدله ثم لو لم يثبت كل ذلك لكان قول أسامه لم أكن لأسأل عنك الركب أوضح دليل على أنه عقل من الأمر الفور لأن سؤال الركب عنه ع بعد وفاته لا معنى له.

ص: ١٧٧

١- ١) الشافى: «من حيث دل دليل الشرع عليه».

و أما قول صاحب الكتاب إنه لم ينكر على أسامه تأخره فليس بشيء و أى إنكار أبلغ من تكراره الأمر و ترداده القول فى حال يشغل عن المهم و يقطع الفكر إلا فيها و قد كرر الأمر على المأمور تاره بتكرار الأمر و أخرى بغيره و إذا سلمنا أن أمره ع كان متوجها إلى القائم بعده بالأمر لتنفيذ الجيش بعد الوفاء لم يلزم ما ذكره من خروج المخاطب بالتنفيذ عن الجملة و كيف يصح ذلك و هو من جملة الجيش و الأمر متضمن تنفيذ الجيش فلا- بد من نفوذ كل من كان فى جملة لأن تأخر بعضهم يسلب النافذين اسم الجيش على الإطلاق أ و ليس من مذهب صاحب الكتاب أن الأمر بالشىء أمر بما لا يتم إلا معه و قد اعتمد على هذا فى مواضع كثيرة فإن كان خروج الجيش و نفوذه لا- يتم إلا بخروج أبى بكر فالأمر بخروج الجيش أمر لأبى بكر بالنفوذ و الخروج و كذلك لو أقبل عليه على سبيل التخصيص

٤٤٣٧

و قال نفذوا جيش أسامه .

و كان هو من جملة الجيش فلا بد أن يكون ذلك أمرا له بالخروج و استدلاله على أنه لم يكن هناك إمام منصوص عليه بعموم الأمر بالتنفيذ ليس بصحيح لأننا قد بينا أن الخطاب إنما توجه إلى الحاضرين و لم يتوجه إلى الإمام بعده على أن هذا لازم له لأن الإمام بعده لا يكون إلا واحدا فلم عمم الخطاب و لم يفرد به الواحد فيقول لينفذ القائم من بعدى بالأمر جيش أسامه فإن الحال لا يختلف فى كون الإمام بعده واحدا بين أن يكون منصوصا عليه أو مختارا.

و أما ما ادعاه أن الشرط (١) فى أمره ع لهم بالنفوذ فباطل لأن إطلاق الأمر يمنع من إثبات الشرط و إنما يثبت من الشروط ما يقتضى الدليل إثباته من التمكن و القدره لأن ذلك شرط ثابت فى كل أمر ورد من حكيم و المصلحة بخلاف ذلك لأن الحكيم لا يأمر بشرط المصلحة بل إطلاق الأمر منه يقتضى ثبوت المصلحة و انتفاء المفسده و ليس كذلك التمكن و ما يجرى مجراه و لهذا لا يشترط

ص: ١٧٨

(١-١) فى د«و أمّا ادعاؤه الشرط».

أحد في أوامر الله تعالى ورسوله ص بالشرائع المصلحه و انتفاء المفسده و شرطوا في ذلك التمكن و رفع التعذر و لو كان الإمام منصوباً عليه بعينه و اسمه لما جاز أن يسترد جيش أسامه بخلاف ما ظنه و لا يعزل من ولاه ع و لا يولي من عزله للعله التي ذكرناها.

فأما استدلال أبي علي على أن أبا بكر لم يكن في الجيش بحديث الصلاة فأول ما فيه أنه اعتراف بأن الأمر بتنفيذ الجيش كان في الحياه دون بعد الوفاه و هذا ناقض لما بنى صاحب الكتاب عليه أمره ع.

ثم إننا قد بينا أنه ع لم يوله الصلاة و ذكرنا ما في ذلك ثم ما المانع من أن يوليه تلك الصلاة إن كان ولاه إياها ثم يأمره بالنفوذ من بعد مع الجيش فإن الأمر بالصلاه في تلك الحال لا يقتضى أمره بها على التأيد.

و أما ادعاؤه أن النبي ص يأمر بالحروب و ما يتصل بها عن اجتهاد دون الوحي فمعاذ الله أن يكون صحيحاً لأن حروبه ع لم تكن مما يختص بمصالح أمور الدنيا بل للدين فيها أقوى تعلق لما يعود على الإسلام و أهله بفتوحه من العز و القوه و علو الكلمه و ليس يجرى ذلك مجرى أكله و شربه و نومه لأن ذلك لا تعلق له بالدين فيجوز أن يكون عن رأيه و لو جاز أن تكون مغازيه و بعوثه مع التعلق القوي لها بالدين عن اجتهاد لجاز ذلك في الأحكام.

ثم لو كان ذلك عن اجتهاد لما ساغت مخالفته فيه بعد وفاته كما لا تسوغ في حياته فكل عله تمنع من أحد الأمرين هي مانعه من الآخر فأما الاعتذار له عن حبس عمر عن الجيش بما ذكره فباطل لأننا قد قلنا إن ما يأمر به ع لا يسوغ مخالفته مع الإمكان و لا مراعاة لما عساه يعرض فيه من رأى غيره و أى حاجه إلى عمر بعد تمام العقد و استقراره و رضا الأمة به على طريق (1) المخالف و إجماعها عليه و لم يكن

ص: ١٧٩

(١ - ١) في د: «مذهب».

هناك فتنه و لا تنازع و لا اختلاف يحتاج فيه إلى مشاورته و تدبيره و كل هذا تعلق باطل.

فأما محاربه أمير المؤمنين ع معاويه فإنما كان مأمورا بها مع التمكن و وجود الأنصار و قد فعل ع من ذلك ما وجب عليه لما تمكن منه فأما مع التعذر و فقد الأنصار فما كان مأمورا بها و ليس كذلك القول في جيش أسامه لأن تأخر من تأخر عنه كان مع القدره و التمكن فأما توليه أبي موسى فلا ندرى كيف يشبه ما نحن فيه لأنه إنما ولاه بأن يرجع إلى كتاب الله تعالى فيحكم فيه و في خصمه بما يقتضيه و أبو موسى فعل خلاف ما جعل إليه فلم يكن ممثلا لأمر من ولاه و كذلك خالد بن الوليد إنما خالف ما أمره به الرسول ص فتبرأ من فعله و كل هذا لا يشبه أمره ع بتنفيذ جيش أسامه أمرا مطلقا و تأكيده ذلك و تكراره له فأما جيش أسامه فإنه لم يضم من يصلح للإمامه فيجوز تأخرهم ليختار أحدهم على ما ظنه صاحب الكتاب على أن ذلك لو صح أيضا لم يكن عذرا في التأخر لأن من خرج في الجيش يمكن أن يختار و إن كان بعيدا و لا يمنع بعده من صحه الاختيار و قد صرح صاحب الكتاب بذلك ثم لو صح هذا العذر لكان عذرا في التأخر قبل العقد فأما بعد إبرامه فلا عذر فيه و المعاضده التي ادعاها قد بينا ما فيها.

فأما ادعاء (1) صاحب الكتاب رادا على من جعل إخراج القوم في الجيش ليطمأ أمر النص أن من أبعدهم لا يمنع أن يختاروا للإمامه فيدل على أنه لم يتبين معنى هذا الطعن على حقيقته لأن الطاعن به لا يقول إنه أبعدهم لئلا يختاروا للإمامه و إنما يقول إنه أبعدهم حتى ينتصب بعده في الأرض من نص عليه و لا يكون هناك من ينازعه و يخالفه

ص: ١٨٠

(١-١) في د قول: (»).

و أما قوله لم يكن قاطعا على موته فلا يضر تسليمه أليس كان مشفقاً و خائفاً و على الخائف أن يتحرز ممن يخاف منه فأما قوله فإنه لم يرد نفذوا الجيش في حياتي فقد بينا ما فيه فأما ولايه أسامه على من ولي عليه فلا بد من اقتضائها لفضله على الجماعه فيما كان واليا فيه و قد دللنا فيما تقدم من الكتاب على أن ولايه المفضول على الفاضل فيما كان أفضل منه فيه قبيحه فكذلك القول في ولايه عمرو بن العاص عليها فيما تقدم و القول في الأمرين واحد.

و قوله إن أحدا لم يدع فضل أسامه على أبي بكر و عمر فليس الأمر على ما ظنه لأن من ذهب إلى فساد إمامه المفضول لا بد من أن يفضل أسامه عليهما فيما كان واليا فيه فأما ادعاؤه ما ذكره من السبب في دخول عمر في الجيش فما نعرفه و لا وقفنا عليه إلا من كتابه ثم لو صح لم يغن شيئا لأن عمر لو كان أفضل من أسامه لمنعه الرسول ص من الدخول في إمارته و المسير تحت لوائه و التواضع لا يقتضى فعل القبيح (١).

قلت إن الكلام في هذا الفصل قد تشعب شعبا كثيره و المرتضى رحمه الله لا يورد كلام قاضى القضاة بنصه و إنما يختصره و يورده مبتورا و يومئ إلى المعانى إيماء لطيفا و غرضه الإيجاز و لو أورد كلام قاضى القضاة بنصه لكان أليق و كان أبعد عن الظنه و أذعن لقول قائل من خصومه إنه يحرف كلام قاضى القضاة و يذكر على غير وجه أ لا ترى أن من نصب نفسه لاختصار كلام فقد ضمن على نفسه أنه قد فهم معانى ذلك الكلام حتى يصح منه اختصاره و من الجائز أن يظن أنه قد فهم

ص: ١٨١

بعض المواضع و لم يكن قد فهمه على الحقيقه فيختصر ما في نفسه لا ما في تصنيف ذلك الشخص و أما من يورد كلام الناس بنصه فقد استراح من هذه التبعه و عرض عقل غيره و عقل نفسه على الناظرين و السامعين.

ثم نقول إن هذا الفصل ينقسم أقساما منها قول قاضى القضاة لا نسلم أن أبا بكر كان فى جيش أسامه .

و أما قول المرتضى إنه قد ذكره أرباب السير و التواريخ و قوله إن البلاذرى ذكره فى تاريخه و قوله هلا عين قاضى القضاة الكتاب الذى ذكر أنه يتضمن عدم كون أبى بكر فى ذلك الجيش فإن الأمر عندى فى هذا الموضوع مشتبه و التواريخ مختلفه فى هذه القضية (١) فمنهم من يقول إن أبا بكر كان فى جملة الجيش و منهم من يقول إنه لم يكن و ما أشار إليه قاضى القضاة بقوله فى كتب المغازى لا ينتهى إلى أمر صحيح و لم يكن ممن يستحل القول بالباطل فى دينه و لا فى رئاسته ذكر الواقدى فى كتاب المغازى أن أبا بكر لم يكن فى جيش أسامه و إنما كان عمر و أبو عبيده و سعد بن أبى وقاص و سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل و قتاده بن النعمان و سلمه بن أسلم و رجال كثير من المهاجرين و الأنصار قال و كان المنكر لإماره أسامه عياش بن أبى ربيعه و غير الواقدى يقول عبد الله بن عياش و قد قيل عبد الله بن أبى ربيعه أخو عياش .

٤٤٣٨

١٤- و قال الواقدى و جاء عمر بن الخطاب فودع رسول الله ص ليسير مع أسامه و قال و جاء أبو بكر فقال يا رسول الله أصبحت مفيقا بحمد الله و اليوم يوم ابنه خارجه فأذن لى فأذن له فذهب إلى منزله بالسنع (٢) و سار أسامه فى العسكر .

و هذا تصريح بأن أبا بكر لم يكن فى جيش أسامه .

ص: ١٨٢

(١ - ١) فى د: «القصة».

(٢ - ٢) السنع: إحدى محال المدينة؛ و كان بها منزل أبى بكر حين تزوج مليكه؛ و قيل حبيبه بنت خارجه (ياقوت).



و ذكر موسى بن عقبه فى كتاب المغازى أن أبا بكر لم يكن فى جيش أسامه و كثير من المحدثين يقولون بل كان فى جيشه.

فأما أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فلم يذكر أنه كان فى جيش أسامه إلا عمر

٤٤٣٩

١٤- و قال أبو جعفر حدثنى السدى بإسناد ذكره أن رسول الله ص ضرب قبل وفاته بعثا على أهل المدينة و من حولهم و فيهم عمر بن الخطاب و أمر عليهم أسامه بن زيد فلم يجاوز آخرهم الخندق حتى قبض رسول الله ص فوقف أسامه بالناس ثم قال لعمر ارجع إلى خليفه رسول الله ص فاستأذنه يأذن لى أرجع بالناس فإن معى وجوه الصحابه و لا آمن على خليفه رسول الله ص و ثقل رسول الله ص و أثقال المسلمين أن يتخطفهم المشركون حول المدينة و قالت الأنصار لعمر سرا فإن أبى إلا أن يمضى فأبلغه عنا و اطلب إليه أن يولى أمرنا رجلا أقدم سنا من أسامه فخرج عمر بأمر أسامه فأتى أبا بكر فأخبره بما قال أسامه فقال أبو بكر لو تخطفتنى الكلاب و الذئاب لم أرد قضاء قضى به رسول الله ص قال فإن الأنصار أمرونى أن أبلغك أنهم يطلبون إليك أن تولى أمرهم رجلا- أقدم سنا من أسامه فوثب أبو بكر و كان جالسا فأخذ بلحيه عمر و قال ثكلتك أمك يا ابن الخطاب أ يستعمله رسول الله ص و تأمرنى أن أنزعه فخرج عمر إلى الناس فقالوا له ما صنعت فقال امضوا ثكلتكم أمهاتكم ما لقيت فى سبيلكم اليوم من خليفه رسول الله ص ثم خرج أبو بكر حتى أتاهم فأشخصهم (١) و شيعهم و هو ماش و أسامه راكب و عبد الرحمن بن عوف يقود دابه أبى بكر فقال له أسامه بن زيد يا خليفه رسول الله لتركبن أو لأنزلن فقال و الله لا تنزل و لا أركب و ما على أن أغبر قدمى فى سبيل الله ساعه

ص: ١٨٣

١-١) أشخصهم: بعث بهم.

فإن للغازی بكل خطوه یخطوها سبعمائہ حسنہ تکتب له و سبعمائہ درجہ ترفع له و سبعمائہ خطیئہ تمحی عنه حتی إذا انتهى قال لأسامه إن رأیت أن تعیننی بعمر فافعل فأذن له ثم قال أيها الناس قفوا حتی أوصیکم بعشر فاحفظوها عنی لا تخونوا و لا تغدروا و لا تغلوا و لا تمثلوا و لا تقتلوا طفلا صغیرا و لا شیخا کبیرا و لا امرأه و لا تعقروا نخلا و لا تحرقوه و لا تقطعوا شجره مثمره و لا تذبحوا شاه و لا بعیرا و لا بقره إلا لمأكله و سوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم للعباده فی الصوامع فدعوهم فیما فرغوا أنفسهم له و سوف تقدمون علی أقوام یأتونکم بصحاف فیها ألوان الطعام فلا تأكلوا من شیء حتی تذكروا اسم الله علیه و سوف تلقون أقواما قد حصوا (١) أو ساط رءوسهم و ترکوا حولها مثل العصائب فاحفقوهم (٢) بالسیوف خفقا أفناهم الله بالطعن و الطاعون سیروا علی اسم الله .

و أما قول الشیخ أبی علی فإنه یدل علی أنه لم یکن فی جیش أسامه أمره إیاه بالصلاه و قول المرتضی هذا اعتراف بأن الأمر بتنفیذ الجیش کان فی الحال دون ما بعد الوفاء و هذا ینقض ما بنی علیہ قاضی القضاة أمره فلقائل أن یقول إنه لا ینقض ما بناه لأن قاضی القضاة ما قال إن الأمر بتنفیذ الجیش ما کان إلا بعد الوفاء بل قال إنه أمر و الأمر علی التراخی فلو نفذ الجیش فی الحال لجاز و لو تأخر إلى بعد الوفاء لجاز.

فأما إنکار المرتضی أن تكون صلاه أبی بکر بالناس كانت عن أمر رسول الله ص فقد ذکرنا ما عندنا فی هذا فیما تقدم.

و أما قوله یجوز أن یكون أمر بصلاه واحده أو صلاتین ثم أمره بالنفوذ بعد

ص: ١٨٤

١-١ (١) حص شعره: حلقه.

٢-٢ (٢) اخفقوهم: اضربوهم.

ذلك فهذا لعمرى جائز وقد يمكن أن يقال إنه لما خرج متحاملًا من شدة المرض فتأخر أبو بكر عن مقامه و صلى رسول الله ص بالناس أمره بالنفوذ مع الجيش و أسكت رسول الله ص فى أثناء ذلك اليوم و استمر أبو بكر على الصلاة بالناس إلى أن توفى ع فقد جاء فى الحديث أنه أسكت و أن أسامه دخل عليه فلم يستطع كلامه لكنه كان يرفع يديه و يضعهما (١) عليه كالداعى له و يمكن أن يكون زمان هذه السكته قد امتد يوما أو يومين و هذا الموضع من المواضع المشتبهه عندى و منها قول قاضى القضاة إن الأمر على التراخى فلا يلزم من تأخر أبى بكر عن النفوذ أن يكون عاصيا.

فأما قول المرتضى الأمر على الفور إما لغه عند من قال به أو شرعا لإجماع الكل على أن الأوامر الشرعيه على الفور إلا ما خرج بالدليل فالظاهر فى هذا الموضع صحه ما قاله المرتضى لأن قرائن الأحوال عند من يقرأ السير و يعرف التواريخ تدل على أن الرسول ص كان يحثهم على الخروج و المسير و هذا هو الفور.

و أما قول المرتضى و قول أسامه لم أكن لأسأل عنك الركب فهو أوضح دليل على أنه عقل من الأمر الفور لأن سؤال الركب عنه بعد الوفاء لا معنى له فلقاتل أن يقول إن ذلك لا يدل على الفور بل يدل على أنه مأمور فى الجملة بالنفوذ و المسير فإن التعجيل و التأخير (٢) مفوضان إلى رأيه

٤٤٤٠

١٤- فلما قال له النبى ص لم تأخرت عن المسير قال لم أكن لأسير و أسأل عنك الركب إنى انتظرت عافيتك فإنى إذا سرت و أنت على هذه الحال لم يكن لى قلب للجهاد بل أكون قلقا شديد الجزع أسأل

ص: ١٨٥

١- (١) فى د«و يحطهما».

٢- (٢) فى د«و التأجيل».

و هذا الكلام لا يدل على أنه عقل من الأمر الفور لا محاله بل هو على أن يدل على التراخي أظهر

٤٤٤١

و قول النبي ص لم تأخرت عن المسير.

لا يدل على الفور لأنه قد يقال مثل ذلك لمن يؤمر بالشيء على جهه التراخي إذا لم يكن سؤال إنكار.

و قول المرتضى لأن سؤال الركب عنه بعد الوفاء لا معنى له قول من قد توهم على قاضى القضاء أنه يقول إن النبي ص ما أمرهم بالنفوذ إلا- بعد وفاته و لم يقل قاضى القضاء ذلك و إنما ادعى أن الأمر على التراخي لا غير و كيف يظن بقاضى القضاء أنه حمل كلام أسامه على سؤال الركب بعد الموت و هل كان أسامه يعلم الغيب فيقول ذاك و هل سأل أحد عن حال أحد من المرضى بعد موته.

فأما قول المرتضى عقيب هذا الكلام لا معنى لقول قاضى القضاء إنه لم ينكر على أسامه تأخره فإن الإنكار قد وقع بتكرار الأمر حالا بعد حال فلقائل أن يقول إن قاضى القضاء لم يجعل عدم الإنكار على أسامه حجه على كون الأمر على التراخي و إنما جعل ذلك دليلا على أن الأمر كان مشروطا بالمصلحه و من تأمل كلام قاضى القضاء الذى حكاه عنه المرتضى تحقق ذلك فلا يجوز للمرتضى أن ينتزعه من الوضع الذى أورده فيه فيجعله فى موضع آخر.

و منها قول قاضى القضاء الأمر بتنفيذ الجيش يجب أن يكون متوجها إلى الخليفه بعده و المخاطب لا يدخل تحت الخطاب و اعتراض المرتضى عليه بأن لفظه الجيش يدخل تحتها أبو بكر فلا بد من وجوب النفوذ عليه لأن عدم نفوذه يسلب الجماعه اسم الجيش فليس بجيد لأن لفظه الجيش لفظه موضوعه لجماعه من الناس قد أعدت للحرب فإذا خرج منها واحد أو اثنان لم يزل مسمى الجيش عن الباقيين و المرتضى

اعتقد أن ذلك مثل الماهيات المركبه نحو العشره إذا عدم منها واحد زال مسمى العشره و ليس الأمر كذلك يبين ذلك أنه لو قال بعض الملوك لمائه إنسان أنتم جيشى ثم قال لواحد منهم إذا مت فأعط كل واحد من جيشى درهما من خزانتى فقد جعلتك أميراً عليهم لم يكن له أن يأخذ لنفسه درهما و يقول أنا من جملة الجماعه الذين أطلق عليهم لفظه الجيش.

و منها قول قاضى القضاة هذه القضيه تدل على أنه لم يكن هناك إمام منصوص عليه و أما قول المرتضى فقد بينا أن الخطاب إنما توجه إلى الحاضرين لا إلى القائم بالأمر بعده فلم نجد فى كلامه فى هذا الفصل بطوله ما بين فيه ذلك و لا أعلم على ما ذا أحوال و لو كان قد بين على ما زعم أن الخطاب متوجه إلى الحاضرين لكان الإشكال قائماً لأنه يقال له إذا كان الإمام المنصوص عليه حاضراً عنده فلم وجه الخطاب إلى الحاضرين ألا ترى أنه لا يجوز أن يقول الملك للرعيه اقضوا بين هذين الشخصين و القاضى حاضر عنده إلا إذا كان قد عزله عن القضاء فى تلك الوقعه عن الرعيه.

فأما قول المرتضى هذا ينقلب عليكم فليس ينقلب و إنما ينقلب لو كان يريد تنفيذ الجيش بعد موته فقط و لا يريد و هو حى فكان يجيء ما قاله المرتضى لينفذ القائم بالأمر بعدى جيش أسامه فأما إذا كان يريد نفوذ الجيش من حين ما أمر بنفوذه فقد سقط القلب لأن الخليفه حينئذ لم يكن قد تعين لأن الاختيار ما وقع بعد و على مذهب المرتضى الإمام متعين حاضر عنده نصب عينه فافترق الوصفان.

و منها قول قاضى القضاة إن مخالفه أمره ص فى النفوذ مع الجيش أو فى إنفاذ الجيش لا يكون معصيه و بين ذلك من وجوه

أحدها أن أمره ع بذلك لا- بد أن يكون مشروطا بالمصلحه و ألا يعرض ما هو أهم من نفوذ الجيش لأنه لا يجوز أن يأمرهم بالنفوذ و إن أعقب ضررا فى الدين فأما قول المرتضى الأمر المطلق يدل على ثبوت المصلحه و لا يجوز أن يجعل الأمر المطلق فقول جيد إذا اعترض به على الوجه الذى أورده قاضى القضاء فأما إذا أورده أصحابنا على وجه آخر فإنه يندفع كلام المرتضى و ذلك أنه يجوز تخصيص عمومات النصوص بالقياس الجلى عند كثير من أصحابنا على ما هو مذكور فى أصول الفقه فلم لا يجوز لأبى بكر أن يخص عموم قوله انفذوا بعث أسامه لمصلحه غلبت على ظنه فى عدم نفوذه نفسه و لمفسده غلبت على نفسه (١) فى نفوذه نفسه مع البعث.

و ثانيها أنه ع كان يبعث السرايا عن اجتهاد لا عن وحى يحرم مخالفته فأما قول المرتضى إن للدين تعلقا قويا بأمثال ذلك (٢) و إنها ليست من الأمور الدنياويه المحضه نحو أكله و شربه و نومه فإنه يعود على الإسلام بفتوحه عز و قوه و علو كلمه فيقال له و إذا أكل اللحم و قوى مزاجه بذلك و نام نوما طبيعيا يزول عنه به المرض و الإعياء اقتضى ذلك أيضا عز الإسلام و قوته فقل إن ذلك أيضا عن وحى.

ثم إن الذى يقتضيه فتوحه و غزواته و حروبه من العز و علو الكلمه لا ينافى كون تلك الغزوات و الحروب باجتهاده لأنه لا منافاه بين اجتهاده و بين عز الدين و علو كلمته بحروبه و إن الذى ينافى اجتهاده بالرأى هو مثل فرائض الصلوات و مقادير الزكوات و مناسك الحج و نحو ذلك من الأحكام التى تشعر بأنها متلقاه من محض الوحي و ليس للرأى و الاجتهاد فيها مدخل و قد خرج بهذا الكلام الجواب عن قوله

ص: ١٨٨

١- ١) فى «ظنه».

٢- ٢) ا: «هذا».

لو جاز أن تكون السرايا و الحروب عن اجتهاده لجاز أن تكون الأحكام كلها عن اجتهاده و أيضا فإن الصحابه كانوا يراجعونه فى الحروب و آراءه التى يدبرها بها و يرجع ع إليهم فى كثير منها بعد أن قد رأى غيره و أما الأحكام فلم يكن يراجع فيها أصلا فكيف يحمل أحد البايين على الآخر.

فأما قوله لو كانت عن اجتهاد لوجب أن يحرم مخالفته فيها و هو حى لا- فرق بين الحالين فلقائل أن يقول القياس يقتضى ما ذكرت إلا- أنه وقع الإجماع على أنه لو كان فى الأحكام أو فى الحروب و الجهاد ما هو باجتهاده لما جازت مخالفته و العدول عن مذهبه و هو حى لم يختلف أحد من المسلمين فى ذلك و أجازوا مخالفته بعد وفاته بتقدير أن يكون ما صار إليه عن اجتهاد و الإجماع حجه.

فأما قول قاضى القضاة لأن اجتهاده و هو حى أولى من اجتهاد غيره فليس يكاد يظهر لأن اجتهاده و هو ميت أولى أيضا من اجتهاد غيره و يغلب على ظنى أنهم فرقوا بين حالتى الحياه و الموت فإن فى مخالفته و هو حى نوعا من أذى له و أذاه محرم لقوله تعالى وَ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ (١) و الأذى بعد الموت لا يكون فافترق الحالان.

و ثالثها أنه لو كان الإمام منصوبا عليه لجاز أن يسترد جيش أسامه أو بعضه لنصرته فكذلك إذا كان بالاختيار و هذا قد منع منه المرتضى و قال إنه لا يجوز للمنصوص عليه ذلك و لا أن يولى من عزله رسول الله ص و لا أن يعزل من ولاه رسول الله ص

ص: ١٨٩

و رابعها أنه ع ترك حرب معاويه فى بعض الحالات و لم يوجب ذلك أن يكون عاصيا فكذلك أبو بكر فى ترك النفوذ فى جيش أسامه .

فأما قول المرتضى إن عليا ع كان مأمورا بحرب معاويه مع التمكن و وجود الأنصار فإذا عدا لم يكن مأمورا بحربه فلقائل أن يقول و أبو بكر كان مأمورا بالنفوذ فى جيش أسامه مع التمكن و وجود الأنصار و قد عدم التمكن لما استخلف فإنه قد تحمل أعباء الإمامه و تعذر عليه الخروج عن المدينه التى هى دار الإمامه فلم يكن مأمورا و الحال هذه بالنفوذ فى جيش أسامه .

فإن قلت الإشكال عليكم إنما هو من قبل الاستخلاف كيف جاز لأبى بكر أن يتأخر عن المسير و كيف جاز له أن يرجع إلى المدينه و هو مأمور بالمسير و هلا نفذ لوجهه و لم يرجع و إن بلغه موت رسول الله ص .

قلت لعل أسامه أذن له فهو مأمور بطاعته و لأنه رأى أسامه و قد عاد باللواء فعاد هو لأنه لم يكن يمكنه أن يسير إلى الروم وحده و أيضا فإن أصحابنا قالوا إن ولاية أسامه بطلت بموت النبى ص و عاد الأمر إلى رأى من ينصب للأمر قالوا لأن تصرف أسامه إنما كان من جهه النبى ص ثم زال تصرف النبى ص بموته فوجب أن يزول تصرف أسامه لأن تصرفه تبع لتصرف الرسول ص قالوا و ذلك كالوكيل تبطل وكالته بموت الموكل قالوا و يفارق الوصى لأن ولايته لا تثبت إلا بعد موت الموصى فهو كعهد الإمام إلى غيره لا يثبت إلا بعد موت الإمام ثم فرع أصحابنا على هذا الأصل مسأله و هى الحاكم هل ينزل بموت الإمام أم لا قال قوم من أصحابنا لا- ينزل و بنوه على أن التولى من غير جهه الإمام يجوز فجعلوا الحاكم نائبا عن المسلمين أجمعين لا عن الإمام



و إن وقف تصرفه على اختياره و صار ذلك عندهم بمنزله أن يختار المسلمون واحدا يحكم بينهم ثم يموت من رضى بذلك فإن تصرفه يبقى على ما كان عليه و قال قوم من أصحابنا ينزل و إن هذا النوع من التصرف لا يستفاد إلا من جهة الإمام و لا يقوم به غيره و إذا ثبت أن أسامه قد بطلت ولايته لم تبق تبعه (١) على أبي بكر فى الرجوع من بعض الطريق إلى المدينة .

و خامسها أن أمير المؤمنين ولى أبا موسى الحكم و ولى رسول الله ص خالد بن الوليد السريه إلى الغميصاء (٢) و هذا الكلام إنما ذكره قاضى القضاء تتمه لقوله إن أمره ع بنفوذ بعث أسامه كان مشروطا بالمصلحه قال كما أن توليته ع أبا موسى كانت مشروطه باتباع القرآن و كما أن توليه رسول الله ص خالد بن الوليد كانت مشروطه بأن يعمل بما أوصاه به فخالفها و لم يعملها الحق فإذا كانت هذه الأوامر مشروطه فكذلك أمره جيش أسامه بالنفوذ كان مشروطا بالمصلحه و ألا يعرض ما يقتضى رجوع الجيش أو بعضه إلى المدينة و قد سبق القول فى كون الأمر مشروطا.

و سادسها أن أبا بكر كان محتاجا إلى مقام عمر عنده ليعاضده (٣) و يقوم فى تمهيد أمر الإمامه ما لا يقوم به غيره فكان ذلك أصلح فى باب الدين من مسيره (٤) مع الجيش فجاز أن يحبسه عنده لذلك و هذا الوجه مختص بمن قال إن أبا بكر لم يكن فى الجيش و إيضاح عذره فى حبس عمر عن النفوذ (٥) مع الجيش.

ص: ١٩١

١-١) ا: «شىء».

٢-٢) الغميصاء: موضع أوقع فيه خالد بن الوليد بنى جذيمه.

٣-٣) بعدها فى ا: «و يعاونه».

٤-٤) ا: «سيره».

٥-٥) ا: «التنفيذ».

فأما قول المرتضى فإن ذلك غير جائز لأن مخالفه النص حرام فقد قلنا إن هذا مبنى على مسأله تخصيص العمومات الوارده فى القرآن بالقياس.

و أما قوله أى حاجه كانت لأبى بكر إلى عمر بعد وقوع البيعه و لم يكن هناك تنازع و لا اختلاف فعجيب و هل كان لو لا مقام عمر و حضوره فى تلك المقامات يتم لأبى بكر أمر أو ينتظم له حال و لو لا- عمر لما بايع على و لا الزبير و لا أكثر الأنصار و الأمر فى هذا أظهر من كل ظاهر.

و سابعها أن من يصلح للإمامه ممن ضمه جيش أسامه يجب تأخرهم ليختار للإمامه أحدهم فإن ذلك أهم من نفوذهم فإذا جاز لهذه العله التأخر قبل العقد جاز التأخر بعده للمعاضده و غيرها.

فأما قول المرتضى إن ذلك الجيش لم يضم من يصلح للإمامه فبناء على مذهبه فى أن كل من ليس بمعصوم لا يصلح للإمامه فأما قوله و لو صح ذلك لم يكن عذرا فى التأخر لأن من خرج فى الجيش يمكن أن يختار و لو كان بعيدا و لا يمكن بعده من صحه الاختيار فلقائل أن يقول دار الهجره هى التى فيها أهل الحل و العقد و أقارب رسول الله ص و القراء و أصحاب السقيفه فلا يجوز العدول عن الاجتماع و المشاوره فيها إلى الاختيار على البعد و على جناح السفر من غير مشاركته من ذكرنا من أعيان المسلمين.

فأما قوله و لو صح هذا العقد لكان عذرا فى التأخر قبل العقد فأما بعد إبرامه فلا عذر فيه فلقائل أن يقول إذا أجزت التأخر قبل العقد لنوع من المصلحه فأجز التأخر بعد العقد لنوع آخر من المصلحه و هو المعاوضده و المساعدة.

هذه الوجوه السبعه كلها لبيان قوله تأخر أبي بكر أو عمر عن النفوذ في جيش أسامه و إن كان مأمورا بالنفوذ.

ثم نعود إلى تمام أقسام الفصل و منها (١) قول قاضى القضاة لا معنى لقول من قال إن رسول الله ص قصد إبعادهم عن المدينة لأن بعدهم عنها لا يمنعهم من أن يختاروا واحدا منهم للإمامه و لأنه ع لم يكن قاطعا على موته لا محاله لأنه لم يرد نفذوا جيش أسامه في حياته.

و قد اعترض المرتضى هذا فقال إنه لم يتبين معنى الطعن لأن الطاعن لا يقول إنهم أبعادوا عن المدينة كى لا يختاروا واحدا للإمامه بل يقول إنما أبعادوا لينتصب بعد موته ص فى المدينة الشخص الذى نص عليه و لا يكون حاضرا بالمدينة من يخالفه و ينازعه و ليس يضرنا ألا- يكون ص قاطعا على موته لأنه و إن لم يكن قاطعا فهو لا- محاله يشفق و يخاف من الموت و على الخائف أن يتحرز مما يخاف منه و كلام المرتضى فى هذا الموضوع أظهر من كلام قاضى القضاة .

و منها قول قاضى القضاة إن ولايه أسامه عليهما لا تقتضى كونهما دونه فى الفضل كما أن عمرو بن العاص لما ولى عليهما لم يقتض كونه أفضل منهما و قد اعترض المرتضى هذا بأنه (٢) يقبح تقديم المفضول على الفاضل فيما هو أفضل منه و إن تقديم عمرو بن العاص عليهما فى الإمرة يقتضى أن يكون أفضل منهما فيما يرجع إلى الإمرة و السياسه و لا يقتضى أفضليته عليهما فى غير ذلك و كذلك القول فى أسامه .

ص: ١٩٣

١- ١) انظر ص ١٨٢.

٢- ٢) د: «فإنه».

و لقائل أن يقول إن الملوك قد يؤمرون الأمراء على الجيوش لوجهين أحدهما أن يقصد الملك بتأشير ذلك الشخص أن يسوس الجيش و يدبره بفضل رأيه و شيخوخته و قديم تجربته و ما عرف من يمن نقيته في الحرب و قود العساكر و الثاني أن يؤمر على الجيش غلاما حدثا من غلمانه أو من ولده أو من أهله و يأمر الأكبر من الجيش أن يتقوه و يعلموه و يأمره أن يتدبر بتدبيرهم و يرجع إلى رأيهم و يكون قصد الملك من ذلك تخريج ذلك الغلام و تمرينه على الإمارة و أن يثبت له في نفوس الناس منزله و أن يرشحه لجلائل (١) الأمور و معازم الشئون ففي الوجه الأول يقبح تقديم المفضول على الفاضل و في الوجه الثاني لا يقبح فلم لا يجوز أن يكون تأشير أسامه عليهما من قبيل الوجه الثاني و الحال يشهد لذلك لأن أسامه كان غلاما لم يبلغ ثماني عشره سنه حين قبض النبي ص فمن أين حصل له من تجربه الحرب و ممارسه الوقائع و قود الجيش ما يكون به أعرف بالإمره من أبي بكر و عمر و أبي عبيده و سعد بن أبي وقاص و غيرهم.

و منها قول قاضى القضاة إن السبب في كون عمر في الجيش أنه أنكر على عبد الله بن عياش بن أبي ربيعه تسخطه (٢) إمره أسامه و قال أنا أخرج في جيش أسامه فخرج من تلقاء نفسه تعظيما لأمر رسول الله ص و قد اعترضه المرتضى فقال هذا شيء لم نسمعه من راو و لا قرأناه في كتاب و صدق المرتضى فيما قال فإن هذا حديث غريب لا يعرف.

و أما قول عمر دعنى أضرب عنقه فقد نافق فمنقول مشهور لا محاله و إنما الغريب الذى لم يعرف كون عمر خرج من تلقاء نفسه في الجيش مراغمه لعبد الله بن عياش بن أبي ربيعه حيث أنكر ما أنكر و لعل قاضى القضاة سمعه من راو أو نقله من كتاب إلا أنا نحن ما وقفنا على ذلك

ص: ١٩٤

١- ١) ب: «بجلائل»، و ما أثبتته من ا، د.

٢- ٢) ا سخطه: (٠).

قالوا إنه ص لم يول أبا بكر الأعمال و ولى غيره و لما ولاه الحج بالناس و قراءه سوره براءه على الناس عزله عن ذلك كله و جعل الأمر إلى أمير المؤمنين ع

٤٤٤٢

و قال لا يؤدي عنى إلا أنا أو رجل منى.

حتى يرجع أبو بكر إلى النبي ص .

أجاب قاضى القضاء فقال لو سلمنا أنه لم يوله لما دل ذلك على نقص و لا على أنه لم يصلح للإمامه و الإمامه بل لو قيل إنه لم يوله لحاجته إليه بحضرته و إن ذلك رفعه له لكان أقرب لا سيما و قد روى عنه ما يدل على أنهما وزيراه و أنه كان ص محتاجا إليهما و إلى رأيهما فلذلك لم يولهما و لو كان للعمل على تركه فضل لكان عمرو بن العاص و خالد بن الوليد و غيرهما أفضل من أكابر الصحابه لأنه ع و لاهما و قدمهما و قد قدمنا أن توليته هى بحسب الصلاح و قد يولى المفضول على الفاضل تاره و الفاضل أخرى و ربما ولى الواحد لاستغنائه عنه بحضرته و ربما ولاه لاتصال بينه و بين من يولى عليه إلى غير ذلك ثم ادعى أنه ولى أبا بكر على الموسم و الحج قد ثبتت بلا خلاف بين أهل الأخبار و لم يصح أنه عزله و لا يدل رجوع أبى بكر إلى النبي ص مستفهما عن القصه على العزل ثم جعل إنكار من أنكر حج أبى بكر فى تلك السنه بالناس كإنكار عباد و طبقته أخذ أمير المؤمنين ع سوره براءه من أبى بكر و حكى عن أبى على أن المعنى كان فى أخذ السوره من أبى بكر أن من عاده العرب أن سيدا من سادات قبائلهم إذا عقد عقد القوم فإن ذلك العقد لا ينحل إلا أن يحله هو أو بعض سادات قومه فلما كان هذا عادتهم و أراد النبي ص أن ينبذ (١) إليهم عقدهم و ينقض ما كان بينه و بينهم علم

ص: ١٩٥

أنه لا- ينحل ذلك إلا- به أو بسيد من سادات رهطه فعدل عن أبي بكر إلى أمير المؤمنين المقرب في النسب ثم ادعى أنه ص ولي أبا بكر في مرضه الصلاة و ذلك أشرف الولايات و قال في ذلك يابى الله و رسوله و المسلمون إلا أبا بكر .

ثم اعترض نفسه بصلاته ع خلف عبد الرحمن بن عوف و أجاب بأنه ص إنما صلى خلفه لا أنه ولاه الصلاة و قدمه فيها قال و إنما قدم عبد الرحمن عند غيبه النبي ص فصلى بغير أمره و قد ضاق الوقت فجاء النبي ص فصلى خلفه (١) .

اعترض المرتضى فقال قد بينا أن تركه ص الولايه لبعض أصحابه مع حضوره و إمكان ولايته و العدول عنه إلى غيره مع تطاول الزمان و امتداده لا بد من أن تقتضى غلبه الظن بأنه لا يصلح للولايه فأما ادعاؤه أنه لم يوله لافتقاره إليه بحضرته و حاجته إلى تدبيره و رأيه فقد بينا أنه ع ما كان يفتقر إلى رأى أحد لكماله و رجحانه على كل أحد و إنما كان يشاور أصحابه على سبيل التعليم لهم و التأديب أو لغير ذلك مما قد ذكر و بعد فكيف استمرت هذه الحاجه و اتصلت منه إليهما حتى لم يستغن في زمان من الأزمان عن حضورهما فيوليتهما و هل هذا إلا قدح في رأى رسول الله ص و نسبته إلى أنه كان ممن يحتاج إلى أن يلقن و يوقف على كل شىء و قد نزهه الله تعالى عن ذلك فأما ادعاؤه أن الروايه قد وردت بأنهما وزيراه فقد كان يجب أن يصحح ذلك قبل أن يعتمده و يحتج به فإننا ندفعه عنه أشد دفع فأما ولايه عمرو بن العاص و خالد بن الوليد فقد تكلمنا عليها من قبل و بينا أن ولايتهما تدل على صلاحهما لما ولياه و لا تدل على صلاحهما للإمامه لأن شرائط الإمامه لم تتكامل فيهما و بينا أيضا لأن ولايه المفضول على الفاضل لا تجوز فأما تعظيمه

ص: ١٩٦

و إكباره قول من يذهب إلى أن أبا بكر عزل عن أداء السوره و الموسم جميعا و جمعه بين ذلك فى البعد و بين إنكار عباد أن يكون أمير المؤمنين ع ارتجع سوره براه من أبى بكر فأول ما فيه أنا لا ننكر أن يكون أكثر الأخبار وارده بأن أبا بكر حج بالناس فى تلك السنه إلا أنه قد روى قوم من أصحابنا خلاف ذلك و أن أمير المؤمنين ع كان أمير الموسم فى تلك السنه و أن عزل الرجل كان عن الأمرين معا و استكبار ذلك و فيه خلاف لا معنى له فأما ما حكاه عن عباد فإننا لا نعرفه و ما نظن أحدا يذهب إلى مثله و ليس يمكنه بإزاء ذلك جحد مذهب أصحابنا الذى حكيناه و ليس عباد لو صحت الروايه عنه بإزاء من ذكرناه فهو ملئء بالجهالات و دفع الضرورات و بعد فلو سلمنا أن ولايه الموسم لم تفسخ لكان الكلام باقيا لأنه إذا كان ما ولى مع تطاول الزمان إلا هذه الولايه ثم سلب شطرها و الأفخم الأعظم منها فليس ذلك إلا تنبيها على ما ذكرناه.

فأما ما حكاه عن أبى على من أن عاده العرب ألا يحل ما عقده الرئيس منهم إلا هو أو المتقدم من رهطه فمعاذ الله أن يجرى النبى ص سنته و أحكامه على عادات الجاهليه و قد بين ع لما رجع إليه أبو بكر يسأله عن أخذ السوره منه الحال

٤٤٤٣

فقال إنه أوحى إلى ألا يؤدى عنى إلا أنا أو رجل منى.

و لم يذكر ما ادعاه أبو على على أن هذه العاده قد كان يعرفها النبى ص قبل بعثه أبا بكر بسوره براه فما باله لم يعتمدها فى الابتداء و يبعث من يجوز أن يحل عقده من قومه.

فأما ادعاؤه ولايه أبى بكر الصلاه فقد ذكرنا فيما تقدم أنه لم يوله إياها فأما فصله بين صلاته خلف عبد الرحمن و بين صلاه أبى بكر بالناس فليس بشيء لأننا إذا كنا قد دللنا على أن الرسول ص ما قدم أبا بكر إلى الصلاه فقد

ص: ١٩٧

استوى الأمران و بعد فأى فرق بين أن يصلى خلفه و بين أن يوليه و يقدمه و نحن نعلم أن صلاته خلفه إقرار لولايته و رضا بها فقد عاد الأمر إلى أن عبد الرحمن كأنه قد صلى بأمره و إذنه على أن قصه عبد الرحمن أوكد لأنه قد اعترف بأن الرسول صلى خلفه و لم يصل خلف أبي بكر و إن ذهب كثير من الناس إلى أنه قدمه و أمر بالصلاه قبل خروجه إلى المسجد و تحامله.

ثم سأل المرتضى رحمه الله نفسه فقال إن قيل ليس يخلو النبي ص من أن يكون سلم فى الابتداء سورة براءه إلى أبي بكر بأمر الله أو باجتهاده و رأيه فإن كان بأمر الله تعالى فكيف يجوز أن يرتجع منه السوره قبل وقت الأداء و عندكم أنه لا يجوز نسخ الشىء قبل تقضى وقت فعله و إن كان باجتهاده ص فعندكم أنه لا يجوز أن يجتهد فيما يجرى هذا المجرى.

و أجاب فقال إنه ما سلم السوره إلى أبي بكر إلا بإذنه تعالى إلا أنه لم يأمره بأدائها و لا كلفه قراءتها على أهل الموسم لأن أحدا لم يمكنه أن ينقل ع فى ذلك لفظ الأمر و التكليف فكأنه سلم سورة براءه إليه لتقرأ على أهل الموسم و لم يصرح بذكر القارئ المبلغ لها فى الحال و لو نقل عنه تصريح لجاز أن يكون مشروطا بشرط لم يظهر.

فإن قيل فأى فائده فى دفع السوره إلى أبي بكر و هو لا- يريد أن يؤديها ثم ارتجاعها منه و هلا- دفعت فى الابتداء إلى أمير المؤمنين ع .

قيل الفائده فى ذلك ظهور فضل أمير المؤمنين ع و مرتبته و أن الرجل الذى نزع السوره عنه لا يصلح لما يصلح له و هذا غرض قوى فى وقوع الأمر على ما وقع عليه الشافى (1)

ص: ١٩٨



قلت قد ذكرنا فيما تقدم القول فى توليه الملك بعض أصحابه و ترك توليه بعضهم و كيفية الحال فى ذلك على أنه قد روى أصحاب المغازى أنه أمر أبا بكر فى شعبان من سنة سبع على سريه بعثها إلى نجد فلقوا جمعا من هوازن فيبتوهم (١) فروى إياس بن سلمه عن أبيه قال كنت فى ذلك البعث فقتلت بيدي سبعة منهم و كان شعارنا أمت أمت و قتل من أصحاب النبى ص قوم و جرح أبو بكر و ارتث (٢) و عاد إلى المدينة على أن أمراء السرايا الذين كان يبعثهم ص كانوا قوما مشهورين بالشجاعة و لقاء الحروب كمحمد بن مسلمة و أبى دجانه و زيد بن حارثة و نحوهم و لم يكن أبو بكر مشهورا بالشجاعة و لقاء الحروب و لم يكن جبانا و لا خوارا (٣) و إنما كان رجلا مجتمع القلب عاقلا ذا رأى و حسن تدبير و كان رسول الله ص يترك بعثه فى السرايا لأن غيره أنفع منه فيها و لا يدل ذلك على أنه لا يصلح للإمامه و أن الإمامه لا تحتاج أن يكون صاحبها من المشهورين بالشجاعة و إنما يحتاج إلى ثبات القلب و إلا يكون هلعاً طائر (٤) الجنان و كيف يقول المرتضى إنه ص لم يكن محتاجا إلى رأى أحد و قد نقل الناس كلهم رجوعه من رأى إلى رأى عند المشوره نحو ما جرى يوم بدر من تغير المنزل لما أشار عليه الحباب بن المنذر و نحو ما جرى يوم الخندق من فسخ رأيه فى دفع ثلث تمر المدينة إلى عيينه بن حصن ليرجع بالأحزاب عنهم لأجل ما رآه سعد بن معاذ و سعد بن عباده من الحرب و العدول عن الصلح و نحو ما جرى فى تلقيح النخل بالمدينة و غير ذلك فأما ولايه أبى بكر الموسم فأكثر الأخبار على ذلك و لم يرو عزله عن الموسم إلا قوم من الشيعة .

ص: ١٩٩

١-١) بيتوهم؛ أى دبروا أمرهم.

٢-٢) ارتث، على البناء للمجهول: حمل من المعركة رثيثاً؛ أى جريحا و به رمق.

٣-٣) الخوار: الضعيف.

٤-٤) الهلع: أفحش الجزع.

و أما ما أنكره المرتضى من حال عباد بن سليمان و دفعه أن يكون على أخذ براءة من أبي بكر و استغرابه ذلك عجب فإن قول عباد قد ذهب إليه كثير من الناس

٤٤٤٤

١٤,١- و رووا أن رسول الله ص لم يدفع براءة إلى أبي بكر و أنه بعد أن نفذ أبو بكر بالحجيج أتبعه عليا و معه تسع آيات من براءة و قد أمره أن يقرأها على الناس و يؤذنه بقبض العهد و قطع الدنيه فانصرف أبو بكر إلى رسول الله ص فأعاده على الحجيج و قال له أنت الأمير و على المبلغ فإنه لا يبلغ عنى إلا أنا أو رجل منى .

و لم ينكر عباد أمر براءة بالكليه و إنما أنكر أن يكون النبي ص دفعها إلى أبي بكر ثم انتزعها منه و طائفه عظيمه من المحدثين يروون ما ذكرناه و إن كان الأكثر الأظهر أنه دفعها إليه ثم أتبعه بعلى ع فانتزعها منه و المقصود أن المرتضى قد تعجب مما لا يتعجب من مثله فظن أن عبادا أنكر حديث براءة بالكليه و قد وقفت أنا على ما ذكره عباد فى هذه القضية فى كتابه المعروف بكتاب الأبواب و هو الكتاب الذى نقضه شيخنا أبو هاشم فأما عذر شيخنا أبي على و قوله إن عاده العرب ذلك و اعتراض المرتضى عليه فالذى قاله المرتضى أصح و أظهر و ما نسب إلى عاده العرب غير معروف و إنما هو تأويل تأويل به متعصبو أبي بكر لانتزاع براءة منه و ليس بشيء و لست أقول ما قاله المرتضى من أن غرض رسول الله ص إظهار أن أبا بكر لا يصلح للأداء عنه بل أقول فعل ذلك لمصلحه رآها و لعل السبب فى ذلك أن عليا ع من بنى عبد مناف و هم جمره قريش بمكه و على أيضا شجاع لا يقام له (١) و قد حصل فى صدور قريش منه الهيبة الشديده و المخافه العظيمه فإذا حصل مثل هذا الشجاع البطل و حوله من بنى عمه و هم أهل العزه و القوه و الحميه

ص: ٢٠٠

(١ - ١) ب: «لا يقال» تحريف.

كان أدعى إلى نجاته من قريش و سلامه نفسه و بلوغ الغرض من نبذ العهد على يده أ لا- ترى أن رسول الله ص فى عمره الحديبيه بعث عثمان بن عفان إلى مكه يطلب منهم الإذن له فى الدخول و إنما بعثه لأنه من بنى عبد مناف و لم يكن بنو عبد مناف و خصوصا بنى عبد شمس ليتمكنوا من قتله و لذلك حملة بنو سعيد بن العاص على بعير يوم دخل مكه و أحدقوا به مستلثمين (١) بالسلاح و قالوا له أقبل و أدير و لا تخف أحدا بنو سعيد أعزه الحرم و أما القول فى توليه رسول الله ص أبا بكر الصلاه فقد تقدم و ما رامه قاضى القضاء من الفرق بين صلاه أبى بكر بالناس و صلاه عبد الرحمن بهم مع كون رسول الله ص صلى خلفه ضعيف و كلام المرتضى أقوى منه فأما السؤال الذى سأله المرتضى من نفسه فقوى و الجواب الصحيح أن بعث براءه مع أبى بكر كان باجتهاد من الرسول ص و لم يكن عن وحى و لا- من جملة الشرائع التى تتلقى عن جبرائيل ع فلم يقبح نسخ ذلك قبل تقضى وقت فعله و جواب المرتضى ليس بقوى لأنه من البعيد أن يسلم سوره براءه إلى أبى بكر و لا يقال له ما ذا تصنع بها بل يقال خذ هذه معك لا غير و القول بأن الكلام مشروط بشرط لم يظهر خلاف الظاهر و فتح هذا الباب يفسد كثيرا من القواعد.

## الطعن السادس

أن أبا بكر لم يكن يعرف الفقه و أحكام الشريعة فقد قال فى الكلاله (٢) أقول

ص: ٢٠١

١- ١) المستلثم: لا بس الأمه.

٢- ٢) الكلاله: من لا ولد له و لا والد، و ما لم يكن من النسب لى.

فيها برأى فإن يكن صواباً فمن الله و إن يكن خطأ فمضى (١) و لم يعرف ميراث الجد و من حاله هذه لا يصلح للإمامه.

أجاب قاضى القضاء بأن الإمام لا يجب أن يعلم جميع الأحكام و أن القدر الذى يحتاج إليه هو القدر الذى يحتاج إليه الحاكم و أن القول بالرأى هو الواجب فيما لا نص فيه و قد قال أمير المؤمنين ع بالرأى فى مسائل كثيره.

اعترض المرتضى فقال قد دللنا على أن الإمام لا بد أن يكون عالماً بجميع الشرعيات و فرقنا بينه و بين الحاكم و دللنا على فساد الرأى و الاجتهاد و أما أمير المؤمنين ع فلم يقل قط بالرأى و ما يروى من خبر بيع أمهات الأولاد غير صحيح و لو صح لجاز أن يكون أراد بالرأى الرجوع إلى النصوص و الأدله و لا شبهه عندنا أن قوله كان واحداً فى الحالين (٢) و إن ظهر فى أحدهما خلاف مذهبه للتقيه (٣).

قلت هذا الطعن مبنى على أمرين أحدهما هل من شرط الإمامه أن يعلم الإمام كل الأحكام الشرعيه أم لا و هذا مذكور فى كتبنا الكلاميه و الثانى هو القول فى الاجتهاد و الرأى حق أم لا و هذا مذكور فى كتبنا الأصوليه.

## الطعن السابع

قصه خالد بن الوليد و قتله مالك بن نويرة و مضاجعته امرأته من ليلته و أن أبا بكر

ص: ٢٠٢

---

١-١) الشافى: فمضى و من الشيطان، و نحو قوله و قد سئل عن قوله: **وَ فَأَكِهَهُ وَ أَبَا**، فلم يعرف معناه، و الأب: المرعى فى اللغة، لا يذهب على أحد له أدنى أنس بالعربيه، و نحو ميراث الجده و أنه لم يعرف الحكم فيه، و نظائر ذلك كثيره معروفه.

٢-٢) ب: «القولين».

٣-٣) انظر الشافى ٤٢٢.

ترك إقامة الحد عليه و زعم أنه سيف من سيوف الله سله الله على أعدائه مع أن الله تعالى قد أوجب القود و حد الزناء عموماً و أن عمر نبيه و قال له اقتله فإنه قتل مسلماً.

أجاب قاضى القضاة فقال إن شيخنا أبا على قال إن الردة ظهرت من مالك بن نويرة لأنه جاء فى الأخبار أنه رد صدقات قومه عليهم لما بلغه موت رسول الله ص كما فعله سائر أهل الردة فاستحق القتل فإن قال قائل فقد كان يصلى قيل له و كذلك سائر أهل الردة و إنما كفروا بالامتناع من الزكاه و اعتقادهم إسقاط وجوبها دون غيره فإن قيل فلم أنكر عمر قيل كان الأمر إلى أبى بكر فلا وجه لإنكار عمر و قد يجوز أن يعلم أبو بكر من الحال ما يخفى على عمر فإن قيل فما معنى ما روى عن أبى بكر من أن خالداً تأول فأخطأ قيل أراد عجلته عليه بالقتل و قد كان الواجب عنده على خالد أن يتوقف للشبهه و استدل أبو على على رده بأن أخاه متمم بن نويرة لما أنشد عمر مرثيته أخاه قال له وددت أنى أقول الشعر فأرثى أخى زيدا بمثل ما رثيت به أخاك فقال متمم لو قتل أخى على مثل ما قتل عليه أخوك ما رثيته فقال عمر ما عزانى أحد بمثل تعزيتك فدل هذا على أن مالكا لم يقتل على الإسلام كما قتل زيد .

و أجاب عن تزويج خالد بامرأته بأنه إذا قتل على الردة فى دار الكفر جاز تزويج امرأته عند كثير من أهل العلم و إن كان لا يجوز أن يطأها إلا بعد الاستبراء.

و حكى عن أبى على أنه إنما قتله لأنه ذكر رسول الله ص فقال صاحبك و أوهم بذلك أنه ليس بصاحب له و كان عنده أن ذلك رده و علم عند المشاهدة

المقصد و هو أمير القوم فجاز أن يقتله و إن كان الأولى ألا يستعجل و أن يكشف الأمر في رده حتى يتضح فلماذا لم يقتله أبو بكر به فأما وطؤه لامرأته فلم يثبت فلا يصح أن يجعل طعنا فيه (١) اعترض المرتضى فقال أما منع خالد في قتل مالك بن نويرة و استباحه امرأته و أمواله لنسبته إياه إلى رده لم تظهر منه بل كان الظاهر خلافها من الإسلام فعظيم و يجري مجراه في العظم تغافل من تغافل عن أمره و لم يقم فيه حكم الله تعالى و أقره على الخطأ الذي شهد هو به على نفسه و يجري مجراهما من أمكنه أن يعلم الحال فأهملها و لم يتصفح ما روى من الأخبار في هذا الباب و تعصب لأسلافه و مذهبه و كيف يجوز عند خصومنا على مالك و أصحابه جحد الزكاه مع المقام على الصلاة و هما جميعا في قرن (٢) لأن العلم الضروري بأنهما من دينه ع و شريعته على حد واحد و هل نسبه مالك إلى الرده مع ما ذكرناه لإقح في الأصول و نقض لما تضمنته من أن الزكاه معلومه ضروره من دينه ع و أعجب من كل عجيب قوله و كذلك سائر أهل الرده يعني أنهم كانوا يصلون و يجحدون الزكاه لأننا قد بينا أن ذلك مستحيل غير ممكن و كيف يصح ذلك و قد روى جميع أهل النقل أن أبا بكر لما وصى الجيش الذين أنفذهم بأن يؤذنوا و يقيموا فإن أذن القوم كأذانهم و إقامتهم كفوا عنهم و إن لم يفعلوا أغاروا عليهم فجعل أماره الإسلام و البراءه من الرده الأذان و الإقامه و كيف يطلق في سائر أهل الرده ما أطلقه من أنهم كانوا يصلون و قد علمنا أن أصحاب مسيلمه و طليحه و غيرهما ممن كان ادعى النبوه و خلع الشريعه ما كانوا يرون الصلاة و لا شيئا مما جاءت به شريعتنا و قصه مالك معروفه عند من تأمل كتب السير و النقل لأنه كان على صدقات قومه بنى

ص: ٢٠٤

١- (١) نقله الشافى فى المرتضى ٤٢٣، ٤٢٢.

٢- (٢) القرن: الحبل؛ و الكلام على الاستعاره.

يربوع واليا من قبل رسول الله ص و لما بلغته وفاه رسول الله ص أمسك عن أخذ الصدقه من قومه و قال لهم تربصوا بها حتى يقوم قائم بعد النبي ص و ننظر ما يكون من أمره و قد صرح بذلك في شعره حيث يقول و قال رجال سدد اليوم مالك

فصرح كما ترى أنه استبقى الصدقه في أيدي قومه رفقا بهم و تقربا إليهم إلى أن يقوم بالأمر من يدفع ذلك إليه و قد روى جماعه من أهل السير و ذكره الطبري في تاريخه أن مالكا نهى قومه عن الاجتماع على منع الصدقات و فرقهم و قال يا بني يربوع إنا كنا قد عصينا أمراءنا إذ دعونا إلى هذا الدين و بطأنا الناس عنه فلم نفلح و لم ننجح و أنى قد نظرت في هذا الأمر فوجدت الأمر يتأتى لهؤلاء القوم بغير سياسه و إذا أمر لا يسوسه الناس فإياكم و معاداه قوم يصنع لهم فتفرقوا على ذلك إلى أموالهم و رجع مالك إلى منزله فلما قدم خالد البطاح بث السرايا و أمرهم بداعيه الإسلام و أن يأتوه بكل من لم يجب و أمرهم إن امتنع أن يقاتلوه فجاءته الخيل بمالك بن نويرة في نفر من بني يربوع و اختلف السريه في أمرهم و في السريه أبو قتاده الحارث بن ربيعي فكان ممن شهد أنهم أذنوا و أقاموا و صلوا فلما اختلفوا فيهم

أمر بهم خالد فحبسوا و كانت ليله بارده لا يقوم لها شيء فأمر خالد مناديا ينادى أذفتوا (١) أسراء كم (٢) فظنوا أنهم أمروا بقتلهم لأن هذه اللفظه تستعمل في لغه كنانه للقتل فقتل ضرار بن الأزور مالكا و تزوج خالد زوجته أم تميم بنت المنهال (٣) .

و في خبر آخر أن السريه التي بعث بها خالد لما غشيت القوم تحت الليل راعوهم فأخذ القوم السلاح قال فقلنا إنا المسلمون فقالوا و نحن المسلمون قلنا فما بال السلاح معكم قلنا فضعوا السلاح فلما وضعوا السلاح ربطوا أسارى فأتوا بهم خالدا فحدث أبو قتاده خالد بن الوليد أن القوم نادوا بالإسلام و أن لهم أمانا فلم يلتفت خالد إلى قولهم و أمر بقتلهم و قسم سبيهم و حلف أبو قتاده ألا يسير تحت لواء خالد في جيش أبدا و ركب فرسه شادا إلى أبي بكر فأخبره الخبر و قال له إني نهيت خالدا عن قتله فلم يقبل قولي و أخذ بشهاده الأعراب الذين غرضهم الغنائم و أن عمر لما سمع ذلك تكلم فيه عند أبي بكر فأكثر و قال إن القصاص قد وجب عليه و لما أقبل خالد بن الوليد قافلا دخل المسجد و عليه قباء له عليه صدا الحديد معتجرا (٤) بعمامه له قد غرز في عمامته أسهما فلما دخل المسجد قام إليه عمر فترع الأسهم عن رأسه فحطمها ثم قال له يا عدو نفسه أ عدوت على امرئ مسلم فقتلته ثم نزوت على امرأته و الله لنرجمنك بأحجارك و خالد لا- يكلمه و لا- يظن إلا- أن رأى أبي بكر مثل رأيه حتى دخل إلى أبي بكر و اعتذر إليه بعذره و تجاوز عنه فخرج خالد و عمر جالس في المسجد فقال هلم إلى ابن أم شمله فعرف عمر أن أبا بكر قد رضى عنه فلم يكلمه و دخل بيته (٥) .

و قد روى أيضا أن عمر لما ولي جمع من عشيره مالك بن نويرة من وجد منهم

ص: ٢٠٦

١-١ (١) ب: «اذفو»، صوابه في د و الطبري.

٢-٢ (٢) الطبري: «أسراء كم».

٣-٣ (٣) تاريخ الطبري ٢٧٨:٣ (المعارف)، مع تصرف و اختصار.

٤-٤ (٤) اعتجر العمامه: لبسها.

٥-٥ (٥) تاريخ الطبري ٢٧٩.٢٨٠:٣.



و استرجع ما وجد عند المسلمين من أموالهم و أولادهم و نسائهم فرد ذلك عليهم جميعا مع نصيبه كان منهم و قيل إنه ارتجع بعض نسائهم من نواحي دمشق و بعضهن حوامل فردهن على أزواجهن فالأمر ظاهر في خطأ خالد و خطأ من تجاوز عنه و قول صاحب الكتاب إنه يجوز أن يخفى عن عمر ما يظهر لأبي بكر ليس بشيء لأن الأمر في قصة خالد لم يكن مشتبه بل كان مشاهدا معلوما لكل من حضره و ما تأول به في القتل لا يعذر لأجله و ما رأينا أبا بكر حكم المتأول و لا غيره و لا تلافى خطاه و زلله و كونه سيفا من سيوف الله على ما ادعاه لا يسقط عنه الأحكام و يبرئه من الآثام و أما قول متمم لو قتل أخى على ما قتل عليه أخوك لما رثيته لا يدل على أنه كان مرتدا فكيف يظن عاقل أن متمم يعترف برده أخيه و هو يطالب أبا بكر بدمه و الاقتصاص من قاتليه و رد سبيه و أنه أراد في الجملة التقرب إلى عمر بتقريظ أخيه ثم لو كان ظاهر هذا القول كباطنه لكان إنما يقصد تفضيل قتله زيد على قتله مالك و الحال في ذلك أظهر لأن زيدا قتل في بعث المسلمين ذابا عن وجوههم و مالك قتل على شبهه و بين الأمرين فرق.

و أما قوله في النبي ص صاحبك فقد قال أهل العلم إنه أراد القرشي لأن خالدا قرشى و بعد فليس في ظاهر إضافته إليه دلالة على نفيه له عن نفسه و لو كان علم من مقصده الاستخفاف و الإهانة على ما ادعاه صاحب الكتاب لوجب أن يعتذر خالد بذلك عند أبي بكر و عمر و يعتذر به أبو بكر لما طالبه عمر بقتله فإن عمر ما كان يمنع من قتل قادح في نبوه النبي ص و إن كان الأمر على ذلك فأى معنى لقول أبي بكر تأول فأخطأ و إنما تأول فأصاب إن كان الأمر على ما ذكر الشافى (1)

ص: ٢٠٧

قلت أما تعجب المرتضى من كون قوم منعوا الزكاه و أقاموا على الصلاه و دعواه أن هذا غير ممكن و لا صحيح فالعجب منه كيف ينكر وقوع ذلك و كيف ينكر إمكانه أما الإمكان فلائنه لا- ملازمه بين العبادتين إلا- من كونهما مقترنتين فى بعض المواضع فى القرآن و ذلك لا- يوجب تلازمهما فى الوجود أو من قوله إن الناس يعلمون كون الزكاه واجبه فى دين الإسلام ضروره كما تعلمون كون الصلاه فى دين الإسلام ضروره و هذا لا يمنع اعتقادهم سقوط وجوب الزكاه لشبهه دخلت عليهم فإنهم قالوا إن الله تعالى قال لرسوله خذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَكِّيهِمْ بِهَا وَ صَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صِدْقَكَ سَكَنٌ لَهُمْ (١) قالوا فوصف الصدقه المفروضه بأنها صدقه من شأنها أن يطهر رسول الله ص الناس و يزكيهم بأخذها منهم ثم عقب ذلك بأن فرض عليه مع أخذ الزكاه منهم أن يصلى عليهم صلاه تكون سكنا لهم قالوا و هذه الصفات لا تتحقق فى غيره لأن غيره لا يطهر الناس و يزكيهم بأخذ الصدقه و لا إذا صلى على الناس كانت صلاته سكنا لهم فلم يجب علينا دفع الزكاه إلى غيره و هذه الشبهه لا تنافى كون الزكاه معلوما وجوبها ضروره من دين محمد ص لأنهم ما جحدوا وجوبها و لكنهم قالوا إنه وجوب مشروط و ليس يعلم بالضروره انتفاء كونها مشروطه و إنما يعلم ذلك بنظر و تأويل فقد بان أن ما ادعاه من الضروره ليس ببدال على أنه لا يمكن أحد اعتقاد نفي وجوب الزكاه بعد موت الرسول و لو عرضت مثل هذه الشبهه فى صلاه لصح لذهاب أن يذهب إلى أنها قد سقطت عن الناس فأما الوقوع فهو المعلوم ضروره بالتواتر كالعلم بأن أبا بكر ولى الخلفه بعد الرسول ص ضروره بطريق التواتر و من أراد الوقوف على ذلك فلينظر فى كتب التواريخ

ص: ٢٠٨

فإنها تشتمل من ذلك على ما يشفى و يكفى و قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى التاريخ الكبير بإسناد ذكره أن أبا بكر أقام بالمدينه بعد وفاه رسول الله ص و توجيهه أسامه فى جيشه إلى حيث قتل أبوه زيد بن حارثه لم يحدث شيئا و جاءته وفود العرب مرتدين يقرون بالصلاه و يمنعون الصدقه فلم يقبل منهم و ردهم و أقام حتى قدم أسامه بعد أربعين يوما من شخوصه و يقال بعد سبعين يوما (١).

و روى أبو جعفر قال امتنعت العرب قاطبه من أداء الزكاه بعد رسول الله ص إلا قريشا و ثقيفا (٢).

و روى أبو جعفر عن السرى (٣) عن شعيب عن سيف عن هشام بن عروه عن أبيه قال ارتدت العرب و منعت الزكاه إلا قريشا و ثقيفا فأما هوازن فقدمت رجلا و آخرت أخرى أمسكوا الصدقه (٤).

و روى أبو جعفر قال لما منعت العرب الزكاه كان أبو بكر ينتظر قدوم أسامه بالجيش فلم يحارب أحدا قبل قدومه إلا عبسا و ذبيان فإنه قاتلهم قبل رجوع أسامه (٥).

و روى أبو جعفر قال قدمت وفود من قبائل العرب المدينه فنزلوا على وجوه الناس بها و يحملونهم إلى أبى بكر أن يقيموا الصلاه و ألا يؤتوا الزكاه فعزم الله لأبى بكر على الحق و قال لو منعونى عقال بغير لجاهدتهم عليه (٦).

و روى أبو جعفر شعرا للخطيل (٧) بن أوس أخى الحطيئه فى معنى منع الزكاه و أن

ص: ٢٠٩

١-١) تاريخ الطبرى ١٧٠:٣.

٢-٢) تاريخ الطبرى ٢٤٢:٣.

٣-٣) ب: «السدى»؛ صوابه فى ا، د و تاريخ الطبرى.

٤-٤) تاريخ الطبرى ٢٤٢:٣.

٥-٥) تاريخ الطبرى ٢٤٣:٣.

٦-٦) تاريخ الطبرى ٢٤٤:٣. و العقال: الجبل الذى كان يعقل به البعير الذى كان يؤخذ فى الصدقه.

٧-٧) فى الأصول: «الخطل»، و صوابه من تاريخ الطبرى.

أبا بكر رد سؤال العرب و لم يجيبهم من جملته أطعنا رسول الله إذا كان بيننا

و روى أبو جعفر قال لما قدمت العرب المدينة على أبي بكر فكلموه فى إسقاط الزكاه نزلوا على وجوه الناس بالمدينه فلم يبق أحد إلا و أنزل عليه ناسا منهم إلا العباس بن عبد المطلب ثم اجتمع إلى أبى بكر المسلمون فخوفوه بأس العرب و اجتماعها قال ضرار بن الأزور فما رأيت أحدا ليس رسول الله أملاً بحرب شعواء من أبى بكر فجعلنا (١) نخوفه (٢) و نروعه و كأنما إنما نخبره بما له لا- ما عليه و اجتمعت كلمه المسلمين على إجابته العرب إلى ما طلبت و أبى أبو بكر أن يفعل إلا ما كان يفعله رسول الله ص و أن يأخذ إلا ما كان يأخذ ثم أجلهم يوماً و ليله ثم أمرهم بالانصراف و طاروا إلى عشائرتهم (٣) .

و روى أبو جعفر قال كان رسول الله ص بعث عمرو بن العاص إلى عمان قبل موته فمات و هو بعمان فأقبل قافلاً إلى المدينة فوجد العرب قد منعت الزكاه فنزل فى بنى عامر على قره بن هبيرة و قره يقدم رجلاً و يؤخر أخرى و على ذلك بنو عامر كلهم إلا الخواص ثم قدم المدينة فأطافت به قريش فأخبرهم أن العساكر معسكره حولهم فتفرق المسلمون و تحلقوا حلقة و أقبل عمر بن الخطاب فمر بحلقه

ص: ٢١٠

---

١- ١) أورد صاحب الأغاني البيت الأول و الثانى (١٥٧:٢- طبعه دار الكتب) و نسبهما إلى الحطيئه.

٢- ٢) الطبري ٣:٢٤٦، و فيه: «أو أحلى إلى من التمر».

٣- ٣) ب: «يجعلنا»، و صوابه من الطبري، د.

و هم يتحدثون فيما سمعوا من عمرو و فى تلك الحلقة على و عثمان و طلحه و الزبير و عبد الرحمن بن عوف و سعد فلما دنا عمر منهم سكتوا فقال فى أى شىء أنتم فلم يخبروه فقال ما أعلمنى بالذى خلوتم عليه فغضب طلحه و قال الله يا ابن الخطاب إنك لتعلم الغيب فقال لا يعلم الغيب إلا الله و لكن أظن قلت ما أخوفنا على قريش من العرب و أخلقهم ألا يقرؤا بهذا الأمر قالوا صدقت فقال فلا تخافوا هذه المنزله أنا و الله منكم على العرب أخوف منى عليكم من العرب (١).

قال أبو جعفر و حدثنى السرى قال حدثنا شعيب عن سيف عن هشام بن عروه عن أبيه قال نزل عمرو بن العاص بمنصرفه من عمان بعد وفاه رسول الله ص بقره بن هبيرة بن سلمه بن يسير و حوله عساكر من أفنائهم فذبح له و أكرم منزله فلما أراد الرحله خلا به و قال يا هذا إن العرب لا تطيب لكم أنفسا بالإتاوه فإن أنتم أعفيتموها من أخذ أموالها فستسمع و تطيع و إن أبيتم فإنها تجتمع عليكم فقال عمرو أ توعدنا بالعرب و تخوفنا بها موعدنا حفش أمك أما و الله لأوطئنه عليك الخيل و قدم على أبى بكر و المسلمين فأخبرهم (٢).

٤٤٤٥

١٤- و روى أبو جعفر قال كان رسول الله ص قد فرق عماله فى بنى تميم على قبض الصدقات فجعل الزبرقان بن بدر على عوف و الرباب و قيس بن عاصم على مقاعس و البطون و صفوان بن صفوان و سبره بن عمرو على بنى عمرو و مالك بن نويرة على بنى حنظله فلما توفى رسول الله ص ضرب صفوان إلى أبى بكر حين وقع إليه الخبر بموت النبى ص بصدقات بنى عمرو و بما ولى منها و ما ولى سبره و أقام سبره فى قومه لحدث إن ناب و أطرق قيس بن عاصم ينظر ما الزبرقان صانع فكان له عدوا و قال و هو ينتظره و ينتظر ما يصنع و يلى عليه ما أدرى ما أصنع إن أنا

ص: ٢١١

١- (١) تاريخ الطبرى ٢٥٩، ٢٥٨: ٣.

٢- (٢) تاريخ الطبرى ٢٥٩: ٣.

بايعت أبا بكر و أتيته بصدقات قومي خلفني فيهم فساءني عندهم و إن رددتها عليهم فليأتين أبا بكر فيسوءني عنده ثم عزم قيس على قسمتها في مقاعس و البطون ففعل و عزم الزبرقان على الوفاء فاتبع صفوان بصدقات عوف و الرباب حتى قدم بها المدينة و قال شعرا يعرض فيه بقيس بن عاصم و من جملته و فيت بأذواد الرسول و قد أبت سعاه فلم يردد بعيرا أميرها.

فلما أرسل أبو بكر إلى قيس العلاء بن الحضرمي أخرج الصدقه فأتاه بها و قدم معه إلى المدينة (١).

و في تاريخ أبي جعفر الطبري من هذا الكثير الواسع و كذلك في تاريخ غيره من التواريخ و هذا أمر معلوم باضطراب لا يجوز لأحد أن يخالف فيه فأما قوله كيف يصح ذلك و قد قال لهم أبو بكر إذا أذنوا و أقاموا كإقامتكم فكفوا عنهم فجعل أماره الإسلام و البراءه من الرده الأذان و الإقامة فإنه قد أسقط بعض الخبر قال أبو جعفر الطبري في كتابه كانت وصيته لهم إذا نزلتم فأذنوا و أقيموا فإن أذن القوم و أقاموا فكفوا عنهم فإن لم يفعلوا فلا شيء إلا الغاره ثم اقتلوهم كل قتله الحرق فما سواه و إن أجابوا داعيه الإسلام فاسألوهم فإن أقرؤا بالزكاه فاقبلوا منهم و إن أبوا فلا شيء إلا الغاره و لا كلمه (٢).

فأما قوله و كيف يطلق قاضي القضاة في سائر أهل الرده ما أطلقه من أنهم كانوا يصلون و من جملتهم أصحاب مسيلمه و طلحه فإنما أراد قاضي القضاة بأهل الرده هاهنا مانعي الزكاه لا غير و لم يرد من جحد الإسلام بالكليه.

فأما قصه مالك بن نويرة و خالد بن الوليد فإنها مشتبهه عندي و لا غرو فقد اشتبهت على الصحابه و ذلك أن من حضرها من العرب اختلفوا في حال القوم هل كان

ص: ٢١٢

١- (١) تاريخ الطبري ٢٦٨، ٢٦٧: ٣.

٢- (٢) تاريخ الطبري ٢٧٩: ٣.

عليهم شعار الإسلام أو لا و اختلف أبو بكر و عمر في خالد مع شدة اتفاقهما فأما الشعر الذي رواه المرتضى لمالك بن نويرة فهو معروف إلا البيت الأخير فإنه غير معروف و عليه عمده المرتضى في هذا المقام و ما ذكره بعد من قصة القوم صحيح كله مطابق لما في التواريخ إلا مويضعات يسيره.

منها قوله إن مالكا نهى قومه عن الاجتماع على منع الصدقات فإن ذلك غير منقول و إنما المنقول أنه نهى قومه عن الاجتماع في موضع واحد و أمرهم أن يتفرقوا في مياهم ذكر ذلك الطبري و لم يذكر نهيه إياهم عن الاجتماع على منع الصدقة و قال الطبري إن مالكا تردد في أمره هل يحمل الصدقات أم لا فجاءه خالد و هو متحير سبح.

و منها أن الطبري ذكر أن ضرار بن الأزور قتل مالكا عن غير أمر خالد و أن خالدا لما سمع الواعيه خرج و قد فرغوا منهم فقال إذا أراد الله أمرا أصابه قال الطبري و غضب أبو قتاده لذلك و قال لخالد هذا عملك و فارقه و أتى أبا بكر فأخبره فغضب عليه أبو بكر حتى كلمه فيه عمر فلم يرض إلا أن يرجع إلى خالد فرجع إليه حتى قدم معه المدينة (١).

و منها أن الطبري روى أن خالدا لما تزوج أم تميم بنت المنهال امرأه مالك لم يدخل بها و تركها حتى تقضى طهرها و لم يذكر المرتضى ذلك.

و منها أن الطبري روى أن متمما لما قدم المدينة طلب إلى أبي بكر في سيهم فكتب له برد السبي و المرتضى ذكر أنه لم يرد إلا في خلافه عمر .

فأما قول المرتضى إن قول متمم لو قتل أخي على مثل ما قتل عليه أخوك لما رثيته

ص: ٢١٣

(١-١) تاريخ الطبري ٣:٢٧٨.

لا يدل على رده فصحيح ولا ريب أنه قصد تقرير زيد بن الخطاب و أن يرضى عمر أخاه بذلك و نعمًا قال المرتضى إن بين القتلين فرقا ظاهرا و إليه أشار متمم لا محاله.

فأما قول مالك صاحبك يعنى النبى ص فقد روى هذه اللفظه الطبرى فى التاريخ قال كان خالد يعتذر عن قتله فيقول إنه قال له و هو يراجع ما إخال صاحبكم إلا قال كذا و كذا فقال له خالد أ و ما تعده لك صاحباً (١) و هذه لعمرى كلمه جافيه و إن كان لها مخرج فى التأويل إلا أنه مستكره و قرائن الأحوال يعرفها من شاهدها و سمعها فإذا كان خالد قد كان يعتذر بذلك فقد اندفع قول المرتضى هلا اعتذر بذلك و لست أنزه خالدًا عن الخطأ و أعلم أنه كان جباراً فاتكاً لا يراقب الدين فيما يحمله عليه الغضب و هوى نفسه و لقد وقع منه فى حياه رسول الله ص مع بنى خديمه بالغميصاء أعظم مما وقع منه فى حق مالك بن نويرة و عفا عنه رسول الله ص بعد أن غضب عليه مده و أعرض عنه و ذلك العفو هو الذى أطمعه حتى فعل بنى يربوع ما فعل بالبطاح.

### الطعن الثامن

قولهم إن مما يؤثر فى حاله و حال عمر دفنهما مع رسول الله ص فى بيته و قد منع الله تعالى الكل من ذلك فى حال حياته فكيف بعد الممات بقوله تعالى لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ (٢).

أجاب قاضى القضاة بأن الموضوع كان ملكاً لعائشه و هى حجرتها التى كانت

ص: ٢١٤

١- (١) تاريخ الطبرى ٢٨٠:٣.

٢- (٢) سورة الأحزاب ٥٣.



معروفه بها و الحجر كلها كانت أملاكا لأزواج النبي ص و قد نطق القرآن بذلك فى قوله وَ قَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ (١) و ذكر أن عمر استأذن عائشه فى أن يدفن فى ذلك الموضع و حتى قال إن لم تأذن لى فادفنونى فى البقيع و على هذا الوجه يحمل ما

٤٤٤٤

٢- روى عن الحسن ع أنه لما مات أوصى أن يدفن إلى جنب رسول الله ص و إن لم يترك ففى البقيع فلما كان من مروان و سعيد بن العاص ما كان دفن بالبقيع .

و إنما أوصى بذلك بإذن عائشه و يجوز أن يكون علم من عائشه أنها جعلت الموضع فى حكم الوقف فاستباحوا ذلك لهذا الوجه قال و فى دفنه ع فى ذلك الموضع ما يدل على فضل أبى بكر لأنه ع لما مات اختلفوا فى موضع دفنه و كثر القول حتى روى أبو بكر عنه ص أنه قال ما يدل على أن الأنبياء إذا ماتوا دفنوا حيث ماتوا فزال الخلاف فى ذلك (٢) .

اعترض المرتضى فقال لا- يخلو موضع قبر النبي ص من أن يكون باقيا على ملكه ع أو يكون انتقل فى حياته إلى عائشه على ما ادعاه فإن كان الأول لم يخل أن يكون ميراثا بعده أو صدقه فإن كان ميراثا فما كان يحل لأبى بكر و لا لعمر من بعده أن يأمر بدفنهما فيه إلا بعد إرضاء الورثة الذين هم على مذهبنا فاطمه و جماعه الأزواج و على مذهبهم هؤلاء و العباس و لم نجد واحدا منهما خاطب أحدا من هؤلاء الورثة على ابتياع هذا المكان و لا استنزله عنه بضمن و لا غيره و إن كان صدقه فقد كان يجب أن يرضى عنه جماعه المسلمين و يبتاعه منهم هذا إن جاز الابتياح لما يجرى هذا المجرى و إن كان انتقل فى حياته فقد كان يجب أن يظهر سبب انتقاله و الحجه فيه فإن فاطمه ع لم يقنع منها فى انتقال فدك إلى ملكها بقولها و لا بشهاده من

ص: ٢١٥

١- ١) سورة الأحزاب: ٣٣.

٢- ٢) نقله المرتضى فى الشافى ٤٢٤.

شهد لها فأما تعلقه بإضافه البيوت إليهن في قوله وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ فمن ضعيف الشبهه لأننا قد بينا فيما مضى من هذا الكتاب أن هذه الإضافة لا تقتضى الملك و إنما تقتضى السكنى و العاده فى استعمال هذه اللفظه فيما ذكرناه ظاهره قال تعالى لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ (١) و لم يرد الله تعالى إلا حيث يسكن و ينزلن دون حيث يملكن و ما أشبهه و أظرف من كل شىء تقدم

٤٤٤٧

٢- قوله إن الحسن ع استأذن عائشه فى أن يدفن فى البيت حتى منعه مروان و سعيد بن العاص .

لأن هذه مكابره منه ظاهره فإن المانع للحسن ع من ذلك لم يكن إلا عائشه و لعل من ذكره من مروان و سعيد و غيرهما أعانها و اتبع فى ذلك أمرهما و روى أنها خرجت فى ذلك اليوم على بغل حتى قال ابن عباس يوما على بغل و يوما على جمل فكيف تأذن عائشه فى ذلك و هى مالكة الموضع على قولهم و يمنع منه مروان و غيره ممن لا ملك له فى الموضع و لا شركه و لا يد و هذا من قبيح (٢) ما يرتكب و أى فضل لأبى بكر فى روايته عن النبى ص حديث الدفن و عملهم بقوله إن صح فمن مذهب صاحب الكتاب و أصحابه العمل بخبر الواحد العدل فى أحكام الدين العظيمه فكيف لا يعمل بقول أبى بكر فى الدفن و هم يعملون بقول من هو دونه فيما هو أعظم من ذلك (٣) قلت أما أبو بكر فإنه لا يلحقه بدفنه مع الرسول ص ذم لأنه ما دفن نفسه و إنما دفنه الناس و هو ميت فإن كان ذلك خطأ فالإثم و الذم لاحقان بمن فعل به ذلك و لم يثبت عنه بأنه أوصى أن يدفن مع رسول الله ص و إنما قد يمكن أن يتوجه هذا الطعن إلى عمر لأنه سأل عائشه أن يدفن فى الحجره مع رسول الله ص و أبى بكر و القول عندى مشتبه فى أمر حجر الأزواج

ص: ٢١٦

١-١ (١) سورة الطلاق .

٢-٢ (٢) الشافى: «أقبح».

٣-٣ (٣) الشافى ٤٢٤.

١٤- و الذى تنطق به التواريخ أنه لما خرج من قباء و دخل المدينة و سكن منزل أبى أيوب اختط المسجد و اختط حجر نساؤه و بناته .

و هذا يدل على أنه كان المالك للمواضع و أما خروجها عن ملكه إلى الأزواج و البنات فمما لم أقف عليه و يجوز أن تكون الصحابه قد فهمت من قرائن الأحوال و مما شاهدوه منه ع أنه قد أقر كل بيت منها فى يد زوجه من الزوجات على سبيل الهبه و العطيه و إن لم ينقل عنه فى ذلك صيغه لفظ معين و القول فى بيت فاطمه ع كذلك لأن فاطمه ع لم تكن تملك مالا و على ع بعلها كان فقيرا فى حياه رسول الله ص حتى أنه كان يستقى الماء ليهود بيده يسقى بساتينهم لقوت يدفعونه إليه فمن أين كان له ما يبتاع به حجره يسكن فيها هو و زوجته (١) و القول فى كثير من الزوجات كذلك أنهم كن فقيرات مدقعات نحو صفيه بنت حى بن أخطب و جويره بنت الحارث و ميمونه و غيرهن فلا- وجه يمكن أن يملك منه هؤلاء النسوه و البنت الحجر إلا- أن يكون رسول الله ص وهبها لهن هذا إن ثبت أنها خرجت عن ملكيته ع و إلا فهى باقيه على ملكيته باستصحاب الحال و القول فى حجره زينب بنت رسول الله ص كذلك لأنه أقدمها من مكه مفارقه لبعلمها أبى العاص بن الربيع فأسكنها بالمدينه فى حجره منفرده خاليه عن بعل فلا بد أن تكون تلك الحجره بمقتضى ما يتغلب على الظن ملكا له ع فيستدام الحكم بملكه لها إلى أن نجد دليلا- ينقلنا عن ذلك و أما رقيه و أم كلثوم زوجتا عثمان فإن كان مريا ذا مال فيجوز أن يكون ابتاع حجره سكنت فيها الأولى منهما ثم الثانية بعدها.

ص: ٢١٧

فأما احتجاج قاضى القضاء بقوله وَ قَرَنَ فِي بُيُوتِكِنَّ فَاعتراض المرتضى عليه قوى لأن هذه الإضافة إنما تقتضى التخصيص فقط لا التمليك كما قال لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ (١) و يجوز أن يكون أبو بكر لما روى قوله نحن لا- نورث ترك الحجر فى أيدى الزوجات و البنت على سبيل الإقطاع لهن لا- التمليك أى أباحهن السكنى لا التصرف فى رقاب الأرض و الأبنية و الآلات لما رأى فى ذلك من المصلحه و لأنه كان من المتهجن القبيح إخراجهن من البيوت و ليس كذلك فذلك فإنها قريه كبيره ذات نخل كثير خارجه عن المدينة و لم تكن فاطمه متصرفه فيها من قبل نفسها و لا بوكيلها و لا رأتها قط فلا تشبه حالها حال الحجر و أيضا لإباحه هذه الحجر و نزاره أثمانهن فإنها كانت مبنيه من طين قصيره الجدران فلعل أبا بكر و الصحابه استحقروها فأقروا النساء فيها و عوضوا المسلمين عنها بالشىء اليسير مما يقتضى الحساب أن يكون من سهم الأزواج و البنت عند قسمه الفىء.

و أما القول فى الحسن و ما جرى من عائشه و بنى أميه فقد تقدم و كذلك القول فى الخبر المروى فى دفن الرسول ع فكان أبو المظفر هبه الله بن الموسوى صدر المخزن المعمور كان فى أيام الناصر لدين الله إذا حادثته حديث وفاه رسول الله ص و روايه أبى بكر ما رواه من

٤٤٤٩

قوله ع

الأنبياء يدفنون حيث يموتون.

يحلف أن أبا بكر افتعل هذا الحديث فى الحال و الوقت ليدفن النبى ص فى حجره ابنته ثم يدفن هو معه عند موته علما منه أنه لم يبق من عمره إلا مثل ظمء الحمار (٢) و أنه إذا دفن النبى ص فى حجره ابنته فإن ابنته تدفنه لا محاله فى حجرتها عند بعلمها و إن دفن النبى ص فى موضع

ص: ٢١٨

١-١) سورة الطلاق ١.

٢-٢) يقال: ما بقى منه إلا ظمء الحمار؛ أى شىء يسير لأنه ليس شىء أقعر ظمأ منه.

آخر فربما لا يتهيأ له أن يدفن عنده فرأى أن هذا الفوز بهذا الشرف العظيم و هذا المكان الجليل مما لا يقتضى حسن التدبير فوته و إن انتهاز الفرصه فيه واجب فروى لهم الخبر فلا- يمكنهم بعد روايته ألا- يعملوا به لا- سيما و قد صار هو الخليفه و إليه السلطان و النفع و الضرر و أدرك ما كان فى نفسه ثم نسج عمر على منواله فرغب إلى عائشه فى مثل ذلك و قد كان يكرمها و يقدمها على سائر الزوجات فى العطاء و غيره فأجابته إلى ذلك و كان مطاعا فى حياته و بعد مماته و كان يقول و اعجبا للحسن و طمعه فى أن يدفن فى حجره عائشه و الله لو كان أبوه الخليفه يومئذ لما تهيأ له ذلك و لا تم لبغض عائشه لهم و حسد الناس إياهم و تمالؤ بنى أميه و غيرهم من قريش عليهم و لهذا قالوا يدفن عثمان فى حش كوكب (1) و يدفن الحسن فى حجره رسول الله ص فكيف و الخليفه معاويه و الأمراء بالمدينه بنو أميه و عائشه صاحبه الموضع و الناصر لبنى هاشم قليل و الشانئ كثير.

و أنا أستغفر الله مما كان أبو المظفر يحلف عليه و أعلم و أظن ظنا شبيها بالعلم أن أبا بكر ما روى إلا ما سمع و أنه كان أتقى الله من ذلك.

### الطعن التاسع

قولهم إنه نص على عمر بالخلافه فخالف رسول الله ص على زعمه لأنه كان يزعم هو و من قال بقوله أن رسول الله ص لم يستخلف.

ص: ٢١٩

(١-١) حش كوكب: موضع بالمدينه.

و الجواب أن كونه لم يستخلف لا- يدل على تحريم الاستخلاف كما أنه من لم يركب الفيل لا يدل على تحريم ركوب الفيل فإن قالوا ركوب الفيل فيه منفعه و لا- مضره فيه و لم يرد نص بتحريمه فوجب أن يحسن قيل لهم و الاستخلاف مصلحه و لا مضره فيه و قد أجمع المسلمون أنه طريق إلى الإمامه فوجب كونه طريقاً إليها و قد روى عن عمر أنه قال إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منى يعني أبا بكر و إن أترك فقد ترك من هو خير منى يعني رسول الله ص فأما الاجتماع المشار إليه فهو أن الصحابه أجمعوا على أن عمر إمام بنص أبي بكر عليه و أنفذوا أحكامه و انقادوا إليه لأجل نص أبي بكر لا لشيء سواه فلو لم يكن ذلك طريقاً إلى الإمامه لما أطبقوا عليه و قد اختلف الشيخان أبو علي و أبو هاشم في أن نص الإمام على إمام بعده هل يكفي في انعقاد إمامته فقال أبو علي لا يكفي بل لا بد من أن يرضى به أربعة حتى يجرى عهده إليه مجرى عقد الواحد برضا أربعة فإذا قارنه رضا أربعة صار بذلك إماماً و يقول في بيعه عمر أن أبا بكر أحضر جماعه من الصحابه لما نص عليه و رجع إلى رضاهم بذلك و قال أبو هاشم بل يكفي نصه ع و لا يراعى في ذلك رضا غيره به و لو ثبت أن أبا بكر فعله لكان على طريق التبع للنص لا أنه يؤثر في إمامته مع العهد و لعل أبا بكر إن كان فعل ذلك فقد استطاب به نفوسهم و لهذا لم يؤثر فيه كراهيه طلحه حين قال وليت علينا فظاً غليظاً و يبين ذلك أنه لم ينقل استئناف العقد من الصحابه لعمر بعد موت أبي بكر و لا اجتماع جماعه لعقد البيعه له و الرضا به فدل على أنهم اكتفوا بعهد أبي بكر إليه

قولهم إنه سمي نفسه بخليفه رسول الله ص لاستخلافه إياه بعد موته مع اعترافه أنه لم يستخلفه.

و الجواب أن الصحابه سمته خليفه رسول الله ص لاستخلافه إياه على الصلاه عند موته و الاستخلاف على الصلاه عند الموت له مزيه على الاستخلاف على الصلاه حال الحياه لأن حال الموت هي الحال التي تكون فيها العهود و الوصايا و ما يهتم به الإنسان من أمور الدنيا و الدين لأنها حال المفارقة و أيضا فإن رسول الله ص ما استخلف أحدا على الصلاه بالمدينه و هو حاضر و إنما كان يستخلف على الصلاه قوما أيام غيبته عن المدينه فلم يحصل الاستخلاف المطلق على الصلاه بالناس كلهم و هو ص حاضر بين الناس حتى إلا لأبي بكر و هذه مزيه ظاهره على سائر الاستخلافات في أمر الصلاه فلذلك سموه خليفه رسول الله ص و بعد فإذا ثبت أن الإجماع على كون الاختيار طريقا (١) إلى الإمامه و حجه و ثبت أن قوما من أفاضل الصحابه اختاروه للخلافه فقد ثبت أنه خليفه رسول الله ص لأنه لا فرق بين أن ينص الرسول ص على شخص معين و بين أن يشير إلى قوم فيقول من اختار هؤلاء القوم فهو الإمام في أن كل واحد منهما يصح أن يطلق عليه خليفه رسول الله ص (٢).

ص: ٢٢١

## الطعن الحادى عشر

قولهم إنه حرق الفجاءه السلمى بالنار و قد نهى النبى ص أن يحرق أحد بالنار.

و الجواب أن الفجاءه جاء إلى أبى بكر كما ذكر أصحاب التواريخ فطلب منه سلاحا يتقوى به على الجهاد فى أهل الرده فأعطاه فلما خرج قطع الطريق و نهب أموال المسلمين و أهل الرده جميعا و قتل كل من وجد كما فعلت الخوارج حيث خرجت فلما ظفر به أبو بكر رأى حرقه بالنار إرهابا لأمثاله من أهل الفساد و يجوز للإمام أن يخص النص العام بالقياس الجلى عندنا. (١)

## الطعن الثانى عشر

قولهم إنه تكلم فى الصلاه قبل التسليم فقال لا يفعلن خالد ما أمرته قالوا و لذلك جاز عند أبى حنيفه أن يخرج الإنسان من الصلاه بالكلام و غيره من مفسدات الصلاه من دون تسليم و بهذا احتج أبو حنيفه .

و الجواب أن هذا من الأخبار التى تتفرد بها الإماميه و لم تثبت و أما أبو حنيفه فلم يذهب إلى ما ذهب إليه لأجل هذا الحديث و إنما احتج بأن التسليم خطاب آدمى و ليس هو من الصلاه و أذكارها و لا من أركانها بل هو ضدها و لذلك يبطلها قبل التمام و لذلك لا يسلم المسبوق تبعا لسلام الإمام بل يقوم من غير تسليم فدل على أنه ضد للصلاه و جميع الأضداد بالنسبه إلى رفع الضد على وتيره واحده و لذلك استوى الكل فى

ص: ٢٢٢



الإبطال قبل التمام فيستوى الكل في الانتهاء بعد التمام و ما يذكره القوم من سبب كلام أبي بكر في الصلاة أمر بعيد و لو كان أبو بكر يريد ذلك لأمر خالد أن يفعل ذلك الفعل بالشخص المعروف و هو نائم ليلا في بيته و لا يعلم أحد من الفاعل.

### الطعن الثالث عشر

قولهم إنه كتب إلى خالد بن الوليد و هو على الشام يأمره أن يقتل سعد بن عباده فكمن له هو و آخر معه ليلا فلما مر بهما رمياه فقتلاه و هتف صاحب خالد في ظلام الليل بعد أن ألقيا سعدا في بئر هناك فيها ماء ببيتين نحن قتلنا سيد الخزرج

يوهم أن ذلك شعر الجن و أن الجن قتلت سعدا فلما أصبح الناس فقدوا سعدا و قد سمع قوم منهم ذلك الهاتف فطلبوه فوجدوه بعد ثلاثه أيام في تلك البئر و قد اخضر فقالوا هذا مسيس الجن و قال شيطان الطاق لسائل سأله ما منع عليا أن يخاصم أبا بكر في الخلافه فقال يا ابن أخي خاف أن تقتله الجن.

و الجواب أما أنا فلا أعتقد أن الجن قتلت سعدا و لا أن هذا شعر الجن و لا أرتاب أن البشر قتلوه و أن هذا الشعر شعر البشر و لكن لم يثبت عندي أن أبا بكر أمر خالدا و لا أستبعد أن يكون فعله من تلقاء نفسه ليرضى بذلك أبا بكر و حاشاه فيكون الإثم على

خالد و أبو بكر برىء من إثمه و ما ذلك من أفعال خالد ببعيد.

### الطعن الرابع عشر

قولهم إنه لما استخلف قطع لنفسه على بيت المال أجره كل يوم ثلاثه دراهم قالوا و ذلك لا يجوز لأن مصارف أموال بيت المسلمين لم يذكر فيها أجره للإمام.

و الجواب أنه تعالى جعل فى جملة مصرف أموال الصدقات العاملين عليها و أبو بكر من العاملين و اعلم أن الإماميه لو أنصفت لرأت أن هذا الطعن بأن يكون من مناقب أبى بكر أولى من أن يكون من مساويه (1) و مثالبه و لكن العصبيه لا حيله فيها.

### الطعن الخامس عشر

قولهم إنه لما استخلف صرخ مناديه فى المدينه من كان عنده شىء من كلام الله فليأتنا به فإننا عازمون على جمع القرآن و لا يأتنا بشىء منه إلا و معه شاهدا عدل قالوا و هذا خطأ لأن القرآن قد بان بفصاحته عن فصاحه البشر فأى حاجه إلى شاهدى عدل.

و الجواب أن المرتضى و من تابعه من الشيعة لا يصح لهم هذا الطعن لأن القرآن عندهم ليس معجزا بفصاحته على أن من جعل معجزته للفصاحه لم يقل إن كل آيه من القرآن هى معجزه فى الفصاحه و أبو بكر إنما طلب كل آيه من القرآن لا السوره بتمامها و كمالها التى يتحقق الإعجاز من طريق الفصاحه فيها و أيضا فإنه لو أحضر إنسان آيه أو آيتين و لم يكن معه شاهد فرما تختلف العرب هل هذه فى الفصاحه بالغه

ص: ٢٢٤

مبلغ الإعجاز الكلى أم هى ثابتة من كلام العرب بثبوتها غير بالغه إلى حد الإعجاز فكان يلتبس الأمر ويقع النزاع فاستظهر أبو بكر بطلب الشهود تأكيداً لأنه إذا انضمت الشهاده إلى الفصاحه الظاهره ثبت أن ذلك الكلام من القرآن و [مِنْ هَذَا الْكِتَابِ]

مِنْهُ إِنِّي وَاللَّهِ لَأُولُو لَقِيَّتِهِمْ وَاحِدًا وَهُمْ طِلَاعُ الْأَرْضِ كُلِّهَا مَا بَالَيْتُ وَلَا اسْتَوْحَشْتُ وَإِنِّي مِنْ ضَلَالِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ وَالْهُدَى الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ لَعَلِّي بَصِيرَهُ مِنْ نَفْسِي وَ يَقِينٍ مِنْ رَبِّي وَإِنِّي إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ لَمُشْتَاتِقٌ وَ [لِحُسْنِ]

حُسْنِ ثَوَابِهِ لَمُنْتَظِرٌ رَاجٍ وَ لَكِنِّي آسَى أَنْ يَلِيَ [هَذِهِ الْأُمَّةَ]

أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ سِيْفَهَاوَاهَا وَ فُجَارَهَا فَيَتَّخِذُوا مَالَ اللَّهِ دُولًا وَ عِبَادَهُ خَوْلًا وَ الصَّالِحِينَ حِزْبًا وَ الْفَاسِقِينَ حِزْبًا فَإِنَّ مِنْهُمْ الَّذِي قَدْ شَرِبَ فِيكُمْ الْحَرَامَ وَ جَلَدَ حَدًّا فِي الْإِسْلَامِ وَ إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُسَلِّمْ حَتَّى رُضِيَ خَتْ لَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ الرِّضَايَتُخُ فَلَوْ لَا ذَلِكَ مَا أَكْثَرْتُ تَأْلِيْبِكُمْ وَ تَأْنِيْبِكُمْ وَ جَمْعَكُمْ وَ تَحْرِيبَكُمْ وَ لَتَرَكْتُكُمْ إِذْ أَبَيْتُمْ وَ وَنَيْتُمْ أَلَا تَرَوْنَ إِلَى أَطْرَافِكُمْ قَدْ انْتَقَصَتْ وَ إِلَى أَمْصَارِكُمْ قَدْ افْتَتِحَتْ وَ إِلَى مَمَالِكِكُمْ تَزَوَى وَ إِلَى بِلَادِكُمْ تُغْزَى انْفِرُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ وَ لَا تَتَّقِلُوا إِلَى الْأَرْضِ فَتَقْرُوا بِالْخَسِيفِ وَ تَبَوَّءُوا بِالذُّلِّ وَ يَكُونَ نَصِيْبِكُمُ الْأَخْسَ وَ إِنَّ أَخَا الْحِزْبِ الْأَرْقُ وَ مَنْ نَامَ لَمْ يَمِّمْ عَنْهُ وَ السَّلَامُ .

ملؤها و منه قول عمر لو أن لى طلاع الأرض ذهباً لافتديت به من هول المطلع .

و آسى أحزن .

و أكثرت تأليكم تحريضكم و إغراءكم به و التأنيب أشد اللوم.

و ونيتم

ضعفتم و فترتم و ممالكمم تزوى أى تقبض .

و لا تتأقلوا

بالتشديد أصله تتأقلوا و تقروا بالخسف تعترفوا بالضميم و تصبروا له و تبوءوا بالذل ترجعوا به و الأرق الذى لا ينام و مثل قوله ع  
من نام لم ينم عنه قول الشاعر لله درك ما أردت بثائر

فأما الذى رضخت له على الإسلام الرضائخ فمعاويه و الرضيخه شىء قليل يعطاه الإنسان يصانع به عن شىء (1) يطلب منه  
كالأجر و ذلك لأنه من المؤلفه قلوبهم الذين رغبوا فى الإسلام و الطاعه بجمال و شاء دفعت إليهم و هم قوم معروفون كمعاويه  
و أخيه يزيد و أبيهما أبى سفيان و حكيم بن حزام و سهيل بن عمرو و الحارث بن هشام بن المغيره و حويطب بن عبد العزى و  
الأخنس بن شريق و صفوان بن أميه و عمير بن وهب الجمحى و عيينه بن حصن و الأقرع بن حابس و عباس بن مرداس و غيرهم  
و كان إسلام هؤلاء للطمع و الأغراض الدنياويه و لم يكن عن أصل و لا عن يقين و علم.

ص: ٢٢٤

وقال الراوندى عنى بقوله رضخت لهم الرضائخ عمرو بن العاص و ليس بصحيح لأن عمرا لم يسلم بعد الفتح و أصحاب الرضائخ كلهم أسلموا بعد الفتح صونعوا على الإسلام بغنائم حنين و لعمري إن إسلام عمرو كان مدخولا أيضا إلا أنه لم يكن عن رضائخه و إنما كان لمعنى آخر فأما الذى شرب الحرام و جلد فى حد الإسلام فقد قال الراوندى هو المغيرة بن شعبه و أخطأ فيما قال لأن المغيرة إنما اتهم بالزنى و لم يحد و لم يجر للمغيرة ذكر فى شرب الخمر و قد تقدم خبر المغيرة مستوفى و أيضا فإن المغيرة لم يشهد صفين مع معاوية و لا مع على ع و ما للراوندى و لهذا إنما يعرف هذا الفن أربابه و الذى عناه على ع الوليد بن عقبه بن أبى معيط و كان أشد الناس عليه و أبلغهم تحريضا لمعاوية و أهل الشام على حربته

### [أخبار الوليد بن عقبه]

و نحن نذكر خبر الوليد و شربه الخمر منقولاً من كتاب الأغانى لأبى الفرج على بن الحسين الأصفهاني قال أبو الفرج كان سبب إماره الوليد بن عقبه الكوفه لعثمان ما حدثنى به أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنى عبد العزيز بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد عن أبيه قال لم يكن يجلس مع عثمان على سريره إلا العباس بن عبد المطلب و أبو سفيان بن حرب و الحكم بن أبى العاص و الوليد بن عقبه و لم يكن سريره يسع إلا عثمان و واحدا منهم فأقبل الوليد يوما فجلس فجاء الحكم بن أبى العاص فأوماً عثمان إلى الوليد فرحل له عن مجلسه فلما قام الحكم قال الوليد و الله يا أمير المؤمنين لقد تلجلج فى صدرى بيتان قلت هما حين رأيتك آثرت ابن عمك على ابن أمك و كان الحكم عم عثمان و الوليد أخاه

لأمه فقال عثمان إن الحكم شيخ قريش فما البيتان فقال رأيت لعم المرء زلفى قرابه

يعنى عمرا وخالدا ابني عثمان قال فرق له عثمان و قال قد وليتك الكوفه فأخرجه إليها (١).

قال أبو الفرج و أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني بعض أصحابنا عن ابن (٢) دأب قال لما ولي عثمان الوليد بن عقبه الكوفه قدمها و عليها سعد بن أبي وقاص فأخبر بقدومه و لم يعلم أنه قد أمر فقال و ما صنع قالوا وقف في السوق فهو يحدث الناس هناك و لسنا ننكر شيئا من أمره فلم يلبث أن جاءه نصف النهار فاستأذن على سعد فأذن له فسلم عليه بالإمره و جلس معه فقال له سعد ما أقدمك يا أبا وهب قال أحببت زيارتك قال و على ذاك أ جئت بريدا قال أنا أرزن من ذلك و لكن القوم احتاجوا إلى عملهم فسرحوني إليه و قد استعملني أمير المؤمنين على الكوفه فسكت سعد طويلا ثم قال لا والله ما أدري أ صلحت بعدنا أم فسدنا بعدك ثم قال كليني و جريني ضباع و أبشري بلحم امرئ لم يشهد اليوم ناصره.

فقال الوليد أما والله لأننا أقول للشعر منك و أروى له و لو شئت لأجبتك و لكني أدع ذاك لما تعلم نعم و الله لقد أمرت بمحاسبتك و النظر في أمر عمالك ثم بعث إلى عمال سعد فحبسهم و ضيق عليهم فكتبوا إلى سعد يستغيثون به فكلمه فيهم فقال له أ و للمعروف عندك موضع قال نعم فخلي سييلهم (٣).

ص: ٢٢٨

١- (١) الأغانى ١٧٤:٤(ساسى).و فى د«فأخرج».

٢- (٢) فى د«عن زاذان».

٣- (٣) الأغانى ١٧٤،١٧٥:٤(ساسى).

قال أحمد (١) و حدثني عمر عن أبي بكر الباهلي عن هشيم عن العوام بن حوشب قال لما قدم الوليد على سعد قال له سعد و الله ما أدري كست بعدنا أم حمقنا بعدك فقال لا تجزعن يا أبا إسحاق فإنه الملك يتغداه قوم و يتعشاه آخرون فقال سعد أراكم و الله ستجعلونه ملكا (٢).

قال أبو الفرج و حدثنا أحمد قال حدثني عمر قال حدثني هارون بن معروف عن ضمرة بن ربيعة عن ابن شوذب قال صلى الوليد بأهل الكوفة الغداة أربع ركعات ثم التفت إليهم فقال أزيدكم فقال عبد الله بن مسعود ما زلنا معك في زياده منذ اليوم (٣).

قال أبو الفرج و حدثني أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا جرير عن الأجلح عن الشعبي قال قال الحطيئة يذكر الوليد شهد الحطيئة يوم يلقى ربه

ص: ٢٢٩

١-١) هو أحمد بن عبد العزيز الجوهري.

٢-٢) الأغاني ٤:١٧٦.

٣-٣) الأغاني ٤:١٧٦.

١- قال أبو الفرج و أخبرنا محمد بن خلف و كيع قال حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثنى أبى قال قال أبو عبيده و هشام بن الكلبي و الأصمعى كان الوليد زانيا يشرب الخمر فشرب بالكوفه و قام ليصلى بهم الصبح فى المسجد الجامع فصلى بهم أربع ركعات ثم التفت إليهم فقال أزيدكم و تقياً فى المحراب بعد أن قرأ بهم رافعا صوته فى الصلاه علق القلب الربابا بعد ما شابت و شابا.

فشخص أهل الكوفه إلى عثمان فأخبروه بخبره و شهدوا عليه بشرب الخمر فأتى به فأمر رجلا من المسلمين أن يضربه الحد فلما دنا منه قال نشدتك الله و قرابتى من أمير المؤمنين فتركه فخاف على بن أبى طالب ع أن يعطل الحد فقام إليه فحده بيده فقال الوليد نشدتك الله و القرابه فقال أمير المؤمنين ع اسكت أبا وهب فإنما هلك بنو إسرائيل لتعطيلهم الحدود فلما ضربه و فرغ منه قال لتدعونى قريش بعدها جلادا

قال إسحاق و حدثنى مصعب بن الزبير قال قال الوليد بعد ما شهدوا عليه فجلد اللهم إنهم قد شهدوا على بزور فلا ترضهم عن أمير و لا ترض عنهم أميرا قال و قد عكس الحطيئه أبياته فجعلها مدحا للوليد شهد الحطيئه حين يلقى ربه أن الوليد أحق بالعدر



قال أبو الفرج و نسخت من كتاب هارون بن الرباب بخطه عن عمر بن شبة قال شهد رجل عند أبي العجاج و كان على قضاء البصره على رجل من المعيطيين بشهاده و كان الشاهد سكران فقال المشهود عليه و هو المعيطى أعزك الله أيها القاضى إنه لا يحسن من السكر أن يقرأ شيئاً من القرآن فقال الشاهد بلى أحسن قال فاقراً فقال علق القلب الربابا بعد ما شابت و شابا.

يمجن (١) بذلك و يحكى ما قاله الوليد فى الصلاه و كان أبو العجاج أحقق فظن أن هذا الكلام من القرآن فجعل يقول صدق الله و رسوله ويلكم كم تعلمون و لا تعملون (٢).

٤٤٥١

١,٢- قال أبو الفرج و أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة عن المدائنى عن مبارك بن سلام عن فطر بن خليفة عن أبى الضحى قال كان ناس من أهل الكوفه يتطلبون عثره الوليد بن عقبه منهم أبو زينب الأزدي و أبو مورع فجاءا يوماً و لم يحضر الوليد الصلاه فسألأ عنه فتلطفأ حتى علما أنه يشرب فاقتحما الدار فوجداه يقىء فاحتملاه و هو سكران حتى وضعاه على سريره و أخذأ خاتمه من يده فأفاق فافتقد خاتمه فسأل عنه أهله فقالوا لا ندرى و قد رأينا رجلين دخلا عليك

ص: ٢٣١

١- (١) الأغاني، ١٧٧، ١٧٦: ٤.

٢- (٢) يمجن: يقول قولاً لا يدري ما عاقبته؛ و منه الماجن؛ و فى الأغاني: «و إنما تماجن».

فاحتملاك فوضعاك على سريرك فقال صفوهما لى فقالوا أحدهما آدم (١) طوال حسن الوجه و الآخر عريض مربع عليه خميصه (٢) فقال هذا أبو زينب و هذا أبو مورع .

قال و لقي أبو زينب و صاحبه عبد الله بن حبيش الأسدى و علقمه بن يزيد البكرى و غيرهما فأخبروهم فقالوا أشخصوا إلى أمير المؤمنين فأعلموه و قال بعضهم إنه لا- يقبل قولكم فى أخيه فشخصوا إليه فقالوا إنا جئناك فى أمر و نحن مخرجوه إليك من أعناقنا و قد قيل إنك لا تقبله قال و ما هو قالوا رأينا الوليد و هو سكران من خمر شربها و هذا خاتمه أخذناه من يده و هو لا يعقل فأرسل عثمان إلى على ع فأخبره فقال أرى أن تشخصه فإذا شهدوا عليه بمحضر منه حددته فكتب عثمان إلى الوليد فقدم عليه فشهد عليه أبو زينب و أبو مورع و جندب الأزدي و سعد بن مالك الأشعري فقال عثمان لعلى ع قم يا أبا الحسن فاجلده فقال على ع للحسن ابنه قم فاضربه فقال الحسن ما لك و لهذا يكفيك غيرك فقال على لعبد الله بن جعفر قم فاضربه فضربه بمخصره (٣) فيها سير له رأسان فلما بلغ أربعين قال حسبك

قال أبو الفرج و حدثنى أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنى المدائنى عن الواقسى عن الزهرى قال خرج رهط من أهل الكوفه إلى عثمان فى أمر الوليد فقال أ كلما غضب رجل على أميره رماه بالباطل لئن أصبحت لكم لأنكلن بكم فاستجاروا بعائشه و أصبح عثمان فسمع من حجرتها صوتا و كلاما فيه بعض الغلظه فقال أ ما يجد فساق العراق و مراقها ملجأ إلا بيت عائشه فسمعت فرفعت نعل رسول الله ص و قالت تركت سنه صاحب هذا النعل و تسمع الناس فجاءوا حتى ملئوا المسجد فمن قائل قد أحسنت و من قائل ما للنساء و لهذا حتى تخاصموا

ص: ٢٣٢

١- ١) الآدم: الأسمر.

٢- ٢) الخميصه: كساء أسود مربع له علمان.

٣- ٣) المخصره: ما اختصره الإنسان بيده فأمسكه من عصا أو مقرعه أو عكازه و ما أشبهها.

و تضاربوا بالنعال و دخل رهط من أصحاب رسول الله ص على عثمان فقالوا له اتق الله و لا تعطل الحدود و اعزل أخاك عنهم ففعل (١) قال أبو الفرج حدثنا أحمد قال حدثني عمر عن المدائني عن أبي محمد الناجي عن مطر الوراق قال قدم رجل من أهل الكوفة إلى المدينة فقال لعثمان إنني صليت صلاه الغداه خلف الوليد فالتفت في الصلاه إلى الناس فقال أزيدكم فياني أجد اليوم نشاطا و شممنا منه رائحه الخمر فضرب عثمان الرجل فقال الناس عطلت الحدود و ضربت الشهود (٢).

قال أبو الفرج و حدثنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا أبو بكر الباهلي عن بعض من حدثه قال لما شهد على الوليد عند عثمان بشرب الخمر كتب إليه يأمره بالشخص فخرج و خرج معه قوم يعذرونه منهم عدى بن حاتم الطائي فنزل الوليد يوما يسوق بهم فارتجز و قال لا تحسبنا قد نسينا الأحقاف (٣) و الشوات من معتق صاف و عزف قينات علينا عزاف.

فقال عدى فأين تذهب بنا إذن فأقم (٤).

٤٤٥٢

١,٢- قال أبو الفرج و قد روى أحمد عن عمر عن رجاله عن الشعبي عن جندب الأزدي قال كنت فيمن شهد على الوليد عند عثمان فلما استتمنا عليه الشهاده حبسه عثمان ثم ذكر باقي الخبر (٥) و ضرب على ع إياه و قول الحسن ابنه ما لك و لهذا و زاد فيه و قال على ع لست إذن مسلما أو قال من المسلمين

ص: ٢٣٣

١- (١) الأغاني ١٧٨:٤.

٢- (٢) الأغاني ١٧٨:٤.

٣- (٣) الأغاني: «الإيجاف»؛ و هو ضرب من السير.

٤- (٤) الأغاني ١٧٩، ١٧٨:٤.

٥- (٥) الأغاني ١٧٩:٤.

١٤,٢,١- قال أبو الفرج و أخبرني أحمد عن عمر عن رجاله أن الشهاده لما تمت قال عثمان لعلی ع دونك ابن عمك فأقم عليه الحد فأمر علی ع ابنه الحسن ع فلم يفعل فقال يكفيك غيرك فقال علی ع بل ضعفت و وهنت و عجزت قم يا عبد الله بن جعفر فاجلده فقام فجلده و علی ع يعد حتى بلغ أربعين فقال له علی ع أمسك حسبك جلد رسول الله ص أربعين و جلد أبو بكر أربعين و كملها عمر ثمانين و كل سنه

(١)

قال أبو الفرج و حدثني أحمد عن عمر عن عبد الله بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد قال و أخبرني بذلك أيضا إبراهيم بن محمد بن أيوب عن عبد الله بن مسلم قالوا جميعا لما ضرب عثمان الوليد الحد قال إنك لتضربني اليوم بشهادة قوم ليقتلنك عما قابلا (٢) .

قال أبو الفرج و حدثني أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن عمر بن شبه عن عبد الله بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد و أخبرني أيضا إبراهيم عن عبد الله قالوا جميعا كان أبو زبيد الطائي نديما (٣) للوليد بن عقبه أيام ولايته الكوفه فلما شهدوا عليه بالسکر من الخمر خرج عن الكوفه معزولا فقال أبو زبيد يتذكر أيامه و ندامته من يرى العير أن تمشي علی ظهر

ص: ٢٣٤

١-١ (١) الأغاني ٤:١٧٩.

٢-٢ (٢) الأغاني ٤:١٧٩.

٣-٣ (٣) ابن أروى، هو الوليد بن عقبه؛ و أروى هي أم عثمان بن عفان.

بعد ما تعلمين يا أم عمرو

قال أبو الفرج وحدثني أحمد قال حدثني عمر قال لما قدم الوليد بن عقبه الكوفة قدم عليه أبو زيد فأنزله دار عقيل بن أبي طالب على باب المسجد و هي التي

ص: ٢٣٥

تعرف بدار القبطى فكان مما احتج به عليه أهل الكوفة أن أبا زبيد كان يخرج إليه من داره و هو نصرانى يخرق المسجد فيجعله طريقا (١). .

قال أبو الفرج و أخبرنى محمد بن العباس اليزيدى قال حدثنى عمى عبيد الله عن ابن حبيب عن ابن الأعرابى أن أبا زبيد وفد على الوليد حين استعمله عثمان على الكوفة فأنزله الوليد دار عقيل بن أبى طالب عند باب المسجد و استوهبها منه فوهبها له فكان ذلك أول الطعن عليه من أهل الكوفة لأن أبا زبيد كان يخرج من داره حتى يشق المسجد إلى الوليد فيسمر عنده و يشرب معه و يخرج فيشق المسجد و هو سكران فذاك نبههم عليه قال و قد كان عثمان ولى الوليد صدقات بنى تغلب فبلغه عنه شعر فيه خلعه فعزله قال فلما ولاه الكوفة اختص أبا زبيد الطائى و قربه و مدحه أبو زبيد بشعر كثير و قد كان الوليد استعمل الربيع بن مرى بن أوس بن حارثه بن لام الطائى على الحمى فيما بين الجزيره و ظهر الحيره فأجدبت الجزيره و كان أبو زبيد فى بنى تغلب نازلا- فخرج بإبلهم ليرعيهم فأبى عليهم الربيع بن مرى و منعهم و قال لأبى زبيد إن شئت أريك وحدك فعلت فأتى أبو زبيد إلى الوليد فشكاه فأعطاه ما بين القصور الحمر من الشام إلى القصور الحمر من الحيره و جعلها له حمى و أخذها من الربيع بن مرى فقال أبو زبيد يمدح الوليد و الشعر يدل على أن الحمى كان بيد مرى بن أوس لا بيد الربيع ابنه و هكذا هو فى روايه عمر بن شبه لعمر أبيك يا ابن أبى مرى

ص: ٢٣٦

١-١) الأغاني ١٨٠:٤.

بحمد الله ثم فتى قريش

قال يقول إذا أجدبتم فإننا لا نحميها عليكم و إذا كنتم أسأتم و حميتموها علينا.

فتى طالت يداه إلى المعالي

و طحطحت المجذمه القصارا (١).

قال و من شعر أبي زبيد فيه يذكر نصره له على مري بن أوس بن حارثه يا ليت شعري بأنباء أنبؤها

و قال أبو زبيد يمدح الوليد و يتألم لفراقه حين عزل عن الكوفه لعمرى لئن أمسى الوليد ببلده

ص: ٢٣٧

---

(١-١) غزارا: جمع غزيره؛ و هي من الإبل الكثيره اللبن.

١٤- قال أبو الفرج و حدثنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر عن رجاله عن الوليد قال لما فتح رسول الله ص مكة جعل أهل مكة يأتونه بصبيانهم فيدعو لهم بالبركة و يمسح يده على رءوسهم فجاء بي إليه و أنا مخلوق فلم يمسنى و ما منعه إلا أن أمى خلقتنى بخلوق فلم يمسنى من أجل الخلق

(٢)

١- قال أبو الفرج و حدثنى إسحاق بن بنان الأنماطى عن حنيش بن ميسر عن عبد الله بن موسى عن أبى ليلى عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال الوليد بن عقبه لعلى بن أبى طالب ع أنا أحد منك سنانا و أبسط منك لسانا و أملاً للكتيبه فقال على ع اسكت يا فاسق فنزل القرآن فيهما أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستورن (٣).

١٤- قال أبو الفرج و حدثنى أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبه عن محمد بن حاتم عن يونس بن عمر عن شيبان عن يونس عن قتاده فى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا (٤) قال هو الوليد بن عقبه بعثه النبى ص مصدقا إلى بنى المصطلق فلما رأوه أقبلوا نحوه فهابهم فرجع إلى النبى ص فقال له إنهم ارتدوا عن الإسلام فبعث النبى ص خالد بن الوليد فعلم عملهم و أمره أن يتثبت و قال له انطلق و لا- تعجل فانطلق حتى أتاهم ليلا- و أنفذ عيوننه نحوهم فلما جاءوه أخبروه أنهم متمسكون بالإسلام و سمع أذانهم و صلاتهم فلما أصبح أتاهم فرأى ما يعجبه فرجع إلى الرسول ص فأخبره فنزلت هذه الآية (٥)

١- (١) الأغاني ١٨٢:٤.

٢- (٢) الأغاني ١٨٢:٤.

٣- (٣) سورة السجده: ١٨.

٤- (٤) سورة الحجرات ٦.

٥- (٥) الأغاني ١٨٢:٤.



قلت قد لمح ابن عبد البر صاحب كتاب الاستيعاب في هذا الموضوع نكته حسنه فقال في حديث الخلق هذا حديث مضطرب منكر لا يصح و ليس يمكن أن يكون من بعثه النبي ص مصدقا صبيا يوم الفتح قال و يدل أيضا على فساده أن الزبير بن بكار و غيره من أهل العلم بالسير و الأخبار ذكروا أن الوليد و أخاه عماره ابني عقبه بن أبي معيط خرجا من مكه ليردا أختهما أم كلثوم عن الهجرة و كانت هجرتها في الهدنه التي بين النبي ص و بين أهل مكه و من كان غلاما مخلقا بالخلق يوم الفتح ليس يجيء منه مثل هذا قال و لا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن أن قوله عز و جل **إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْزَلْتُمْ فِي الْوَلِيدِ** لما بعثه رسول الله ص مصدقا فكذب على بني المصطلق و قال إنهم ارتدوا و امتنعوا من أداء الصدقه قال أبو عمر و فيه و في علي ع نزل **أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ (١)** في قصتهما المشهوره قال و من كان صبيا يوم الفتح لا يجيء منه مثل هذا فوجب أن ينظر في حديث الخلق فإنه رواه جعفر بن برقان عن ثابت عن الحجاج عن أبي موسى الهمداني و أبو موسى مجهول لا يصح حديثه.

ثم نعود إلى

٤٤٥٧

١٤- كتاب أبي الفرج الأصبهاني قال أبو الفرج و أخبرني أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبة عن عبد الله بن موسى عن نعيم بن حكيم عن أبي مريم عن علي ع أن امرأه الوليد بن عقبه جاءت إلى النبي ص تشتكى إليه الوليد و قالت إنه يضربها فقال لها ارجعي إليه و قولي له إن رسول الله قد أجارني فانطلقت فمكثت ساعه ثم رجعت فقالت إنه

ص: ٢٣٩

ما أفلح عنى فقطع رسول الله ص هديه (١) من ثوبه وقال اذهبي بها إليه و قولى له إن رسول الله قد أجارنى فانطلقت فمكثت ساعه ثم رجعت فقالت ما زادنى إلا ضربا فرفع رسول الله ص يده ثم قال اللهم عليك بالوليد مرتين أو ثلاثا (٢)

قال أبو الفرج و اختص الوليد لما كان واليا بالكوفه ساحرا كاد يفتن الناس كان يريه كتيبتيين تقتتلان فتحمل إحداهما على الأخرى فتهزمها ثم يقول له أيسرك أن أريك المنهزمه تغلب الغالبه فتهزمها فيقول نعم فجاء جندب الأزدي مشتملا على سيفه فقال أفرجوا لى فأفرجوا فضربه حتى قتله فحبسه الوليد قليلا ثم تركه (٣).

قال أبو الفرج و روى أحمد عن عمر عن رجاله أن جندبا لما قتل الساحر حبسه الوليد فقال له دينار بن دينار فيم حبست هذا و قد قتل من أعلن بالسحر فى دين محمد ص ثم مضى إليه فأخرجه من الحبس فأرسل الوليد إلى دينار بن دينار فقتله (٤).

٤٤٥٨

١٤- قال أبو الفرج حدثنى عمى الحسن بن محمد قال حدثنى الخراز عن المدائنى عن على بن مجاهد عن محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان عن الزهرى و غيره أن رسول الله ص لما انصرف عن غزاه بنى المصطلق نزل رجل من المسلمين فساق بالقوم و رجز ثم آخر فساق بهم و رجز ثم بدا لرسول الله ص أن يواسى أصحابه فنزل فساق بهم و رجز و جعل يقول فيما يقول جندب و ما جندب و الأقطع زيد الخير

ص: ٢٤٠

١- ١) الاستيعاب.

٢- ٢) الأغاني ٤:١٨٣.

٣- ٣) الأغاني ٤:١٨٣.

٤- ٤) الأغاني ٤:١٨٣.

فدنا منه أصحابه فقالوا يا رسول الله ما ينفعنا سيرنا مخافه أن تنهشك دابه أو تصيبك نكبه فركب و دنوا منه و قالوا قلت قولاً لا ندري ما هو قال و ما ذاك قالوا كنت تقول جندب و ما جندب و الأقطع زيد الخير.

فقال رجلان يكونان في هذه الأمة يضرب أحدهما ضربه يفرق بين الحق و الباطل و تقطع يد الآخر في سبيل الله ثم يتبع الله آخر جسده بأوله

و كان زيد هو زيد بن صوحان و قطعت يده في سبيل الله يوم جلولاء و قتل يوم الجمل مع علي بن أبي طالب ع و أما جندب هذا فدخل على الوليد بن عقبه و عنده ساحر يقال له أبو شيان يأخذ أعين الناس فيخرج مصارين بطنهم ثم يردها فجاء من خلفه فضربه فقتله و قال العن وليدا و أبا شيان و ابن حبيش راكب الشيطان رسول فرعون إلى هامان (١).

قال أبو الفرج و قد روى أن هذا الساحر كان يدخل عند الوليد في جوف بقره حيه ثم يخرج منها فرآه جندب فذهب إلى بيته فاشتمل على سيف فلما دخل الساحر في البقره قال جندب أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٢) ثم ضرب وسط البقره فقطعها و قطع الساحر معها فذعر الناس فسجنه الوليد و كتب بأمره إلى عثمان (٣).

قال أبو الفرج فروى أحمد بن عبد العزيز عن حجاج بن نصير عن قره عن

ص: ٢٤١

١-١ (١) الأغاني ١٨٤، ١٨٣: ٤.

٢-٢ (٢) سورة الأنبياء ٣.

٣-٣ (٣) الأغاني ١٨٤: ٤.

محمد بن سيرين قال انطلق بجندب بن كعب الأزدي قاتل الساحر بالكوفة إلى السجن و على السجن رجل نصراني من قبل الوليد و كان يرى جندب بن كعب يقوم بالليل و يصبح صائما فوكل بالسجن رجلا ثم خرج فسأل الناس عن أفضل أهل الكوفة فقالوا الأشعث بن قيس فاستضافه فجعل يراه ينام الليل ثم يصبح فيدعو بغدائه فخرج من عنده و سأل أى أهل الكوفة أفضل قالوا جرير بن عبد الله فذهب إليه فوجده ينام الليل ثم يصبح فيدعو بغدائه فاستقبل القبلة و قال ربى رب جندب و دينى دين جندب ثم أسلم (١).

قال أبو الفرج فلما نزع عثمان الوليد عن الكوفة أمر عليها سعيد بن العاص فلما قدمها قال اغسلوا هذا المنبر فإن الوليد كان رجلا نجسا فلم يصعبه حتى غسل قال أبو الفرج و كان الوليد أسن من سعيد بن العاص و أسخى نفسا و ألين جانبا و أرضى عندهم فقال بعض شعرائهم و جاءنا من بعده سعيد (٢) ينقص فى الصاع و لا يزيد.

و قال آخر منهم فررت من الوليد إلى سعيد

قال أبو الفرج و حدثنا أحمد قال حدثنا عمر عن المدائنى قال قدم الوليد بن

ص: ٢٤٢

---

١- (١) الأغاني ١٨٣:٤.

٢- (٢) أول الرجز فى الأغاني: \*يا ويلنا قد ذهب الوليد\*.

الكوفه فى أيام معاويه زائرا للمغيره بن شعبه فأتاه أشراف الكوفه فسلموا عليه و قالوا و الله ما رأينا بعدك مثلك فقال أ خيرا أم شرا قالوا بل خيرا قال و لكنى ما رأيت بعدكم شرا منكم فأعادوا الثناء عليه فقال بعض ما تأتون به فو الله إن بغضكم لتلف و إن حبكم لصلف (١) قال أبو الفرج و روى عمر بن شبه أن قبيصه بن جابر كان ممن كثر (٢) على الوليد فقال معاويه يوما و الوليد و قبيصه عنده يا قبيصه ما كان شأنك و شأن الوليد قال خير يا أمير المؤمنين إنه فى أول الأمر وصل الرحم و أحسن الكلام فلا تسأل عن شكر و حسن ثناء ثم غضب على الناس و غضبوا عليه و كنا معهم فإما ظالمون فنستغفر الله و إما مظلومون فيغفر الله له فخذ فى غير هذا يا أمير المؤمنين فإن الحديث ينسى القديم قال معاويه ما أعلمه إلا قد أحسن السيره و بسط الخير و قبض الشر قال فأنت يا أمير المؤمنين اليوم أقدر على ذلك فافعله فقال اسكت لا سكت فسكت و سكت القوم فقال معاويه بعد يسير ما لك لا تتكلم يا قبيصه قال نهيتنى عما كنت أحب فسكت عما لا أحب.

قال أبو الفرج و مات الوليد بن عقبه فويق الرقه و مات أبو زييد هناك فدفنا جميعا فى موضع واحد فقال فى ذلك أشجع السلمى و قد مر بقبريهما مررت على عظام أبى زييد

قيل هم إخوته و قيل ندماؤه (٣).

قال أبو الفرج و حدثنى أحمد بن عبد العزيز عن محمد بن زكريا الغلابى

ص: ٢٤٣

١-١ (١) الأغاني ١٨٤:٤.

٢-٢ (٢) كذا فى ١، د، و فى ب: «كبر».

٣-٣ (٣) الأغاني ١٨٥:٤.

عن عبد الله بن الضحاك عن هشام بن محمد عن أبيه قال وفد الوليد بن عقبه و كان جوادا إلى معاوية فقبل له هذا الوليد بن عقبه بالباب فقال و الله ليرجعن مغیظا غیر معطى فإنه الآن قد أتانا يقول على دين و على كذا ائذن له فأذن له فسأله و تحدث معه ثم قال له معاوية أما و الله إن كنا لنحب إتيان مالك بالوادى و لقد كان يعجب أمير المؤمنين فإن رأيت أن تهبه ليزيد فافعل قال هو ليزيد ثم خرج و جعل يختلف إلى معاوية فقال له يوما انظر يا أمير المؤمنين فى شأنى فإن على مؤونه و قد أرهقنى دين فقال له ألا تستحيى لنفسك و حسبك تأخذ ما تأخذه فتبذره ثم لا تنفك تشكو دينا فقال الوليد أفعل ثم انطلق من مكانه فسار إلى الجزيرة و قال يخاطب معاوية فإذا سئلت تقول لا

و بلغ معاوية شخوصه إلى الجزيرة فخافه و كتب إليه أقبل فكتب أعف و أستعفى كما قد أمرتنى

ثم رحل إلى الحجاز فبعث إليه معاوية بجائزه (١).

و أما أبو عمر بن عبد البر فإنه ذكر فى الإستيعاب فى باب الوليد قال إن له أخبارا فيها شناعه تقطع على سوء حاله و قبح أفعاله غفر الله لنا و له فلقد كان من رجال قریش

ص: ٢٤٤

ظرفا و حلما و شجاعه و جودا و أدبا و كان من الشعراء المطبوعين قال و كان الأصمعي و أبو عبيده و ابن الكلبي و غيرهم يقولون إنه كان فاسقا شريب خمر و كان شاعرا كريما قال و أخباره في شربه الخمر و منادته أبا زبيد الطائي كثيره مشهوره و يسمح بنا ذكرها و لكننا نذكر منها طرفا ثم ذكر ما ذكره أبو الفرج في الأغاني و قال إن خير الصلاة و هو سكران و قوله أزيدكم خير مشهور روته الثقات من نقله الحديث.

قال أبو عمر بن عبد البر و قد ذكر الطبري في روايه أنه تغضب عليه قوم من أهل الكوفه حسدا و بغيا و شهدوا عليه بشرب الخمر و قال إن عثمان قال له يا أخى اصبر فإن الله يأجرك و يبوء القوم بإثمك.

قال أبو عمر هذا الحديث لا يصح عند أهل الأخبار و نقله الحديث و لا له عند أهل العلم أصل و الصحيح ثبوت الشهاده عليه عند عثمان و جلده الحد و أن عليا هو الذي جلده قال و لم يجلده بيده و إنما أمر بجلده فنسب الجلد إليه.

قال أبو عمر و لم يرو الوليد من السنه ما يحتاج فيها إليه و لكن حارثه بن مضرب روى عنه أنه قال ما كانت نبوه إلا كان بعدها ملك (1)

ص: ٢٤٥

و هو عامله على الكوفة وقد بلغه عنه تشييطه الناس عن الخروج إليه لما ندبهم لحرب أصحاب الجمل من عبيد الله على أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس أما بعد فقد بلغني عنك قول هو لك و عليك فإذا قدم [عليك رسول]

رسول عليك فارفع ذيلك و اشدد مؤزرك و اخرج من جحرِكَ و اندب من معك فإن حقت فانفذ و إن تفشلت فابعد و ايم الله لتوتين من حيث أنت و لا تترك حتى يخلط زبديك بخاثرِكَ و ذائبك بجامدِكَ و حتى تعجل عن قعيدتك و تحذر من أمامك كحذرِكَ من خلفِكَ و ما هي بالهويئى التى تزجو و لكنها الداهية الكبرى يركب جملها و [يدل]

يدل صعبها و يسهل جبلها فاعقل عقلك و امليك أمركَ و خذ نصيبك و حظك فإن كرهت فتنح إلى غير رحب و لا فى نجاه فبالحرى لتكفين و أنت نائم حتى لا يقال أين فلان و الله إنه لحق مع محق و ما [يبالى]

أبالى ما صنع الملحدون و السلام .

المراد بقوله قول هو لك و عليك أن أبا موسى كان يقول لأهل الكوفة إن عليا إمام هدى و بيعته صحيحه ألا إنه لا يجوز القتال معه لأهل القبلة و هذا القول بعضه حق و بعضه باطل .



وقوله فارفع ذيلك أى شمر للنهوض معى و اللحاق بى لنشهد حرب أهل البصره و كذلك قوله و اشدد مئزرک و كلتاها كنايةان عن الجد و التشمير فى الأمر.

قال و اخرج من جحرک أمر له بالخروج من منزله للحاق به و هى كناية فيها غض من أبى موسى و استهانته به لأنه لو أراد إعظامه لقال و اخرج من خيسک (١) أو من غيلک (٢) كما يقال للأسد و لكنه جعله ثعلبا أو ضبا.

قال و اندب من معك أى و اندب رعيتك من أهل الكوفه إلى الخروج معى و اللحاق بى.

ثم قال و إن تحققت فانفذ أى أمرک مبنى على الشك و كلامك فى طاعنى كالمتناقض فإن حققت لزوم طاعنى لك فانفذ أى سر حتى تقدم على و إن أقمت على الشك فاعتزل العمل فقد عزلتک .

قوله و ايم الله لتؤتين معناه إن أقمت على الشك و الاستراجه و تثبيط أهل الكوفه عن الخروج إلى و قولك لهم لا يحل لكم سل السيف لا مع على و لا مع طلحه و الزموا بيوتكم و اكسروا سيوفكم ليأتينكم و أنتم فى منازلكم بالكوفه أهل البصره مع طلحه و نأتينكم نحن بأهل المدينه و الحجاز فيجتمع عليكم سيفان من أمامكم و من خلفكم فتكون ذلك الداهيه الكبرى التى لا شواه لها.

قوله و لا تترك حتى يخلط زبدك بخائرك تقول للرجل إذا ضربته حتى أثختته لقد ضربته حتى خلطت زبده بخائره و كذلك حتى خلطت ذائبه بجامده و الخائر اللبن الغيظ و الزبد خلاصه اللبن و صفوته فإذا أثخت الإنسان ضربا كنت كأنك

ص: ٢٤٧

١-١) الخيس: معرس الأسد.

٢-٢) الغيل: الشجر الكثير الملتف.

خلطت ما رق و لطف من أخلاطه بما كثف و غلظ منها و هذا مثل و معناه لتفسدن حالك و لتخلطن و ليضربن ما هو الآن منتظم من أمرك.

قوله و حتى تعجل عن قعدتك القعده بالكسر هيئه القعود كالجلسه و الركبه أى و ليعجلنك الأمر عن هيئه قعودك يصف شده الأمر و صعوبته.

قوله و تحذر من أمامك كحذرك من خلفك يعنى يأتيك من خلفك إن أقمت على منع الناس عن الحرب معنا و معهم أهل البصره و أهل المدينه فتكون كما قال الله تعالى إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ (١).

قوله و ما هى بالهوينى التى ترجو الهوينى تصغير الهونى التى هى أنثى أهون أى ليست هذه الداهيه و الجائحه التى أذكرها لك بالشىء الهين الذى ترجو اندفاعه و سهولته.

ثم قال بل هى الداهيه الكبرى ستفعل لا- محاله إن استمرت على ما أنت عليه و كنى عن قوله ستفعل لا محاله بقوله يركب جملها و ما بعده و ذلك لأنها إذا ركب جملها و ذلل صعبتها و سهل وعرها فقد فعلت أى لا تقل هذا أمر عظيم صعب المرام أى قصد الجيوش من كلا- الجانبين الكوفه فإنه إن دام الأمر على ما أشرت إلى أهل الكوفه من التخاذل و الجلوس فى البيوت و قولك لهم كن عبد الله المقتول لنقعن بموجب ما ذكرته لك و ليرتكبن أهل الحجاز و أهل البصره هذا الأمر المستصعب لأننا نحن نطلب أن نملك الكوفه و أهل البصره كذلك فيجتمع عليها الفريقان .

ثم عاد إلى أمره بالخروج إليه فقال له فاعقل عقلك و املك أمرك و خذ نصيبك

ص: ٢٤٨

و حظك

أى من الطاعة و اتباع الإمام الذى لزمته بيعته فإن كرهت ذلك فتنح عن العمل فقد عزلتك و ابعده عنا لا فى رحب أى لا فى سعه و هذا ضد قولهم مرحبا.

ثم قال فجدير أن تكفى ما كلفته من حضور الحرب و أنت نائم أى لست معدودا عندنا و لا عند الناس من الرجال الذين تفتقر الحروب و التدبيرات إليهم فسيغنى الله عنك و لا يقال أين فلان .

ثم أقسم إنه لحق أى إني فى حرب هؤلاء لعلى حق و إن من أطاعنى مع إمام محق ليس يبالى ما صنع الملحدون و هذا إشاره إلى

٤٤٥٩

قول النبى ص

اللهم أدر الحق معه حيثما دار .

ص: ٢٤٩

٦٤ و من كتاب له ع إلى معاوية جوابا [عن كتابه]

(١)

أَمَا بَعِيدُ فَهَانَا كُنَّا نَحْنُ وَ أَنْتُمْ عَلَى مَا ذَكَرْتَ مِنَ الْمَالْفِهِ وَ الْجَمَاعَةِ فَفَرَّقَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ أَمْسِ أَنَا آمَنَّا وَ كَفَرْتُمْ وَ الْيَوْمَ أَنَا اسْتَقَمْنَا وَ  
فُتِنْتُمْ وَ مَا أَسْلَمَ مُسْلِمُكُمْ إِلَّا كَرَهَا وَ بَعْدَ أَنْ كَانَ أَنْفُ الْإِسْلَامِ كُلُّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ص [حَرْبًا]

حَرْبًا وَ ذَكَرْتَ أَنِّي قَتَلْتُ طَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرَ وَ شَرَدْتُ بَعَائِشَةَ وَ نَزَلْتُ بَيْنَ الْمِضْرَيْنِ وَ ذَلِكُكَ أَمْرٌ غَبَتْ عَنْهُ فَلَا عَلَيْكَ وَ لَا الْعِذْرُ فِيهِ  
إِلَيْكَ وَ ذَكَرْتَ أَنَّكَ زَائِرِي فِي [جَمْعِ]

الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ وَ قَدْ انْقَطَعَتِ الْهَجْرَةُ يَوْمَ أُسِرَ أَخُوكَ فَإِنْ كَانَ [فِيكَ]

فِيهِ عَجَلٌ فَاسْتَرْفِهِ فَإِنِّي إِنْ أُرْزُكَ فَذَلِكَ جَدِيرٌ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ إِنَّمَا بَعَثَنِي إِلَيْكَ لِلنَّقْمَةِ مِنْكَ وَ إِنْ تَرُزْنِي فَكَمَا قَالَ أَخُو بَنِي أَسِيدٍ  
مُسْتَقْبِلِينَ رِيَّاحِ الصَّيْفِ تَضْرِبُهُمْ بِحَاصِبٍ بَيْنَ أَعْوَارٍ وَ جُلْمُودٍ وَ عِنْدِي السَّيْفُ الَّذِي أَعْضَضْتُهُ بِجِدِّكَ وَ خَالِكَ وَ أَخِيكَ فِي  
مَقَامٍ وَاحِدٍ [فَإِنَّكَ]

وَ إِنَّكَ وَ اللَّهُ مَا عَلِمْتُ الْأَغْلَفُ الْقَلْبِ الْمُقَارِبُ الْعَقْلِ وَ الْأَوْلَى أَنْ يُقَالَ لَكَ إِنَّكَ رَقِيتَ سَيْلَمَا أَطْلَعَكَ مَطْلَعُ سُوءٍ عَلَيْكَ لَا لَكَ  
لِأَنَّكَ نَشَدْتَ غَيْرَ ضَالَّتِكَ وَ رَعَيْتَ غَيْرَ سَائِمَتِكَ وَ طَلَبْتَ أَمْرًا لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَ لَا فِي مَعْدِنِهِ فَمَا أَبْعَدَ قَوْلِكَ مِنْ فِعْلِكَ

ص : ٢٥٠

وَقَرِيبٌ مَا أَشْبَهَتْ مِنْ أَعْمَامٍ وَ أُنْحَالَ حَمَلَتْهُمْ الشَّقَاوَةُ وَ تَمَنَّى الْبَاطِلِ عَلَى الْجُحُودِ بِمُحَمَّدٍ ص فَصَبَرُوا مَصَارِعَهُمْ حَيْثُ عَلِمَتْ  
لَمْ يَدْفَعُوا عَظِيمًا وَ لَمْ يَمْنَعُوا حَرِيمًا بَوَاقِ سَيُوفٍ مَا خَلَا مِنْهَا الْوَعَى وَ لَمْ تُمَاشِهَا الْهُوَيْنَى وَ قَدْ أَكْثَرَتْ فِي قَتْلِهِ عُثْمَانَ فَادْخُلْ فِيمَا  
دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ ثُمَّ حَاكِمِ الْقَوْمَ إِلَيَّ أَحْمِلْكَ وَ إِيَاهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَ أَمَّا تِلْكَ الَّتِي تُرِيدُ فَإِنَّهَا خُدَعَهُ الصَّبِيُّ عَنِ اللَّبَنِ فِي  
أَوَّلِ الْفِصَالِ وَ السَّلَامِ لِأَهْلِهِ.

### [كتاب معاوية إلى علي]

أما الكتاب الذي كتبه إليه معاوية و هذا الكتاب جوابه فهو من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب أما بعد فإننا بنى عبد  
مناف لم نزل نزع من قلب واحد و نجرى فى حله واحد ليس لبعضنا على بعض فضل و لا- لقائنا على قاعدنا فخر كلمتنا  
مؤتلفه و ألفتنا جامعه و دارنا واحد يجمعنا كرم العرق و يحوينا شرف النجار و يحنو قوينا على ضعيفنا و يواسى غنينا فقيرنا قد  
خلصت قلوبنا من وغل الحسد و طهرت أنفسنا من خبث النيه فلم نزل كذلك حتى كان منك ما كان من الإدهان فى أمر ابن  
عمك و الحسد له و نصره الناس عليه حتى قتل بمشهد منك لا تدفع عنه بلسان و لا يد فليتك

أظهرت نصره حيث أسررت خبره فكنت كالمتعلق بين الناس بعذر (١) و إن ضعف و المتبرئ من دمه بدفع و إن وهن و لكنك جلست في دارك تدس إليه الدواهي و ترسل إليه الأفاعى حتى إذا قضيت وطرك منه أظهرت شماته و أبدت طلاقه و حسرت للأمر عن ساعدك و شممت عن ساقك و دعوت الناس إلى نفسك و أكرهت أعيان المسلمين على بيعتك ثم كان منك بعد ما كان من قتلك شيخى المسلمين أبى محمد طلحه و أبى عبد الله الزبير و هما من الموعودين بالجنه و المبشر قاتل أحدهما بالنار فى الآخره هذا إلى تشريدك بأم المؤمنين عائشه و إحلالها محل الهون متبذله بين أيدى الأعراب و فسقه أهل الكوفه فمن بين مشهر لها و بين شامت بها و بين ساخر منها ترى ابن عمك كان بهذه لو رآه راضيا أم كان يكون عليك ساخطا و لك عنه زاجرا أن تؤذى أهله و تشرذ بحليلته و تسفك دماء أهل ملته ثم تركك دار الهجره التى

٤٤٤٠

قال رسول الله ص عنها إن المدينه لتنفى خبثها كما ينفى الكير (٢) خبث الحديد.

فلعمري لقد صح وعده و صدق قوله و لقد نفت خبثها و طردت عنها من ليس بأهل أن يستوطنها فأقمت بين المصرين و بعدت عن بركه الحرمين و رضيت بالكوفه بدلا من المدينه و بمجاوره الخورنق و الحيره عوضا من مجاوره خاتم النبوه و من قبل ذلك ما عبت خليفتى رسول الله ص أيام حياتهما فقعدت عنهما و ألبت عليهما و امتنعت من بيعتهما و رمت أمرا لم يرك الله تعالى له أهلا و رقيت سلما وعرا و حاولت مقاما دحضا و ادعيت ما لم تجد عليه ناصرا و لعمري لو وليتها حينئذ لما ازدادت إلا فسادا و اضطرابا و لا أعقت ولا يتكها إلا انتشارا و ارتدادا لأنك الشامخ بأنفه الذاهب بنفسه المستطيل على الناس بلسانه و يده و ها أنا سائر إليك فى جمع

ص: ٢٥٢

١- (١) ا: «بعدو».

٢- (٢) الكير: زق ينفخ فيه الحداد.

من المهاجرين و الأنصار تحفهم سيوف شاميه و رماح قحطانيه حتى يحاكموك إلى الله فانظر لنفسك و للمسلمين و ادفع إلى قتله عثمان فيانهم خاصتك و خلصاؤك و المحدقون بك فإن أبيت إلا سلوك سبيل اللجاج و الإصرار على الغي و الضلال فاعلم أن هذه الآيه إنما نزلت فيك و فى أهل العراق معك وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَوْمَهُ كَانَتْ آمِنَهُ مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَ الْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١).

ثم نعود إلى تفسير ألفاظ الفصل و معانيه قال ع لعمري إنا كنا بيتا واحدا فى الجاهليه لأننا بنو عبد مناف إلا أن الفرقه بيننا و بينكم حصلت منذ بعث الله محمدا ص فإننا آمنا و كفرتم ثم تأكدت الفرقه اليوم بأننا استقمنا على منهاج الحق و فتنتم .

ثم قال و ما أسلم من أسلم منكم إلا كرها كأبى سفيان و أولاده يزيد و معاويه و غيرهم من بنى عبد شمس .

قال و بعد أن كان أنف الإسلام محاربا لرسول الله ص أى فى أول الإسلام يقال كان ذلك فى أنف دوله بنى فلان أى فى أولها و أنف كل شىء أوله و طرفه و كان أبو سفيان و أهله من بنى عبد شمس أشد الناس على رسول الله ص فى أول الهجره إلى أن فتح مكه ثم أجابه عن قوله قتلت طلحه و الزبير و شردت بعائشه و نزلت بين المصرين بكلام مختصر أعرض فيه عنه

ص: ٢٥٣

هوانا به فقال هذا أمر غبت عنه فليس عليك كان العدوان الذي تزعم و لا العذر إليك لو وجب على العذر عنه.

فأما الجواب المفصل فأن يقال إن طلحه و الزبير قتلا أنفسهما ببيغهما و نكثهما و لو استقاما على الطريقه لسلما و من قتله الحق قدمه هدر و أما كونهما شيخين من شيوخ الإسلام فغير مدفوع و لكن العيب يحدث و أصحابنا يذهبون إلى أنهما تابا و فارقا الدنيا نادمين على ما صنعا و كذلك نقول نحن فإن الأخبار كثرت بذلك فهما من أهل الجنة لتوبتهما و لو لا توبتهما لكانا هالكين كما هلك غيرهما فإن الله تعالى لا يحابى أحدا فى الطاعة و التقوى لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ يُحْيِيَ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ (١).

و أما الوعد لهما بالجنة فمشروط بسلامه العاقبه و الكلام فى سلامتهما و إذا ثبتت توبتهما فقد صح الوعد لهما و تحقق

٤٤٤١

و قوله بشر قاتل ابن صفيه بالنار .

فقد اختلف فيه فقال قوم من أرباب السير و علماء الحديث هو كلام أمير المؤمنين ع غير مرفوع و قوم منهم جعلوه مرفوعا و على كل حال فهو حق لأن ابن جرموز قلته موليا خارجا من الصف مفارقا للحرب فقد قتله على توبه و إنابه و رجوع من الباطل و قاتل من هذه حاله فاسق مستحق للنار و أما أم المؤمنين عائشه فقد صحت توبتها و الأخبار الواردة فى توبتها أكثر من الأخبار الواردة فى توبه طلحه و الزبير لأنها عاشت زمانا طويلا- و هما لم يبقيا و الذى جرى لها كان خطأ منها فأى ذنب لأمير المؤمنين ع فى ذلك و لو أقامت فى منزلها لم تبتدل بين الأعراب و أهل الكوفه على أن أمير المؤمنين ع أكرمها و صانها و عظم من شأنها و من أحب أن يقف على ما فعله معها فليطالع كتب السير و لو كانت فعلت بعمر ما فعلت به و شقت عصا الأمه عليه ثم ظفر بها لقتلها و مزقها إربا إربا و لكن عليا كان حليما كريما.

ص: ٢٥٤



و أما قوله لو عاش رسول الله ص فبربك هل كان يرضى لك أن تؤذى حليلته- فلعلى ع أن يقلب الكلام عليه فيقول أ فتراه لو عاش أ كان يرضى لحليلته أن تؤذى أخاه و وصيه و أيضا أ تراه لو عاش أ كان يرضى لك يا ابن أبي سفيان أن تنازع عليا الخلفه و تفرق جماعه هذه الأمه و أيضا أ تراه لو عاش أ كان يرضى لطلحه و الزبير أن يبايعا ثم ينكثا لا لسبب بل قالوا جئنا نطلب الدراهم فقد قيل لنا إن بالبصره أموالا كثيره هذا كلام يقوله مثلهما.

فأما قوله تركت دار الهجرة فلا عيب عليه إذا انقضت عليه أطراف الإسلام بالبغي و الفساد أن يخرج من المدينة إليها و يهذب أهلها و ليس كل من خرج من المدينة كان خبثا فقد خرج عنها عمر مرارا إلى الشام ثم لعلى ع أن يقلب عليه الكلام فيقول له و أنت يا معاويه فقد نفتك المدينة أيضا عنها فأنت إذا خبث و كذلك طلحه و الزبير و عائشه الذين تتعصب لهم و تحتج على الناس بهم و قد خرج عن المدينة الصالحون كابن مسعود و أبي ذر و غيرهما و ماتوا في بلاد نائية عنها و أما قوله بعدت عن حرمه الحرمين و مجاوره قبر رسول الله ص فكلام إقناعى ضعيف و الواجب على الإمام أن يقدم الأهم فالأهم من مصالح الإسلام و تقديم قتال أهل البغي على المقام بين الحرمين أولى فأما ما ذكره من خذلانه عثمان و شماتته به و دعائه الناس بعد قتله إلى نفسه و إكراهه طلحه و الزبير و غيرهما على بيعته فكله دعوى و الأمر بخلافها و من نظر كتب السير عرف أنه قد بهته و ادعى عليه ما لم يقع منه.

و أما قوله التويت على أبي بكر و عمر و قعدت عنهما و حاولت الخلفه بعد رسول الله ص فإن عليا ع لم يكن يجحد ذلك و لا ينكره و لا ريب

أنه كان يدعى الأمر بعد وفاه رسول الله ص لنفسه على الجملة أما لنص كما تقوله الشيعة أو لأمر آخر كما يقوله أصحابنا فأما قوله لو وليتها حينئذ لفسد الأمر و اضطرب الإسلام فهذا علم غيب لا يعلمه إلا الله و لعله لو وليها حينئذ لاستقام الأمر و صلح الإسلام و تمهد فإنه ما وقع الاضطراب عند ولايته بعد عثمان إلا لأن أمره هان عندهم بتأخره عن الخلافة و تقدم غيره عليه فصغر شأنه فى النفوس و قرر من تقدمه فى قلوب الناس أنه لا يصلح لها كل الصلاحيه و الناس على ما يحصل فى نفوسهم و لو كان وليها ابتداء و هو على تلك الحاله التى كان عليها أيام حياه رسول الله ص و تلك المنزله الرفيعه و الاختصاص الذى كان له لكان الأمر غير الذى رأيناه عند ولايته بعد عثمان و أما قوله لأنك الشامخ بأنفه الذاهب بنفسه فقد أسرف فى وصفه بما وصفه به و لا شك أن عليا ع كان عنده زهو لكن لا هكذا و كان ع مع زهوه أطف الناس خلقا.

ثم نرجع إلى تفسير ألفاظه ع قوله و ذكرت أنك زائرى فى جمع من المهاجرين و الأنصار و قد انقطعت الهجره يوم أسر أخوك هذا الكلام تكذيب له فى قوله فى جمع من المهاجرين و الأنصار أى ليس معك مهاجر لأن أكثر من معك ممن رأى رسول الله ص هم أبناء الطلقاء و من أسلم بعد الفتح

٤٤٦٢

و قد قال النبى ص لا هجره بعد الفتح.

و عبر عن يوم الفتح بعبارة حسنه فيها تقريع لمعاويه و أهله بالكفر و أنهم ليسوا من ذوى السوابق فقال قد انقطعت الهجره يوم أسر أخوك يعنى يزيد بن أبى سفيان أسر يوم الفتح فى باب الخدمه و كان خرج فى نفر من قريش يحاربون و يمنعون

ص: ٢٥٦

من دخول مكة فقتل منهم قوم و أسر يزيد بن أبي سفيان أسره خالد بن الوليد فخلصه أبو سفيان منه و أدخله داره فأمن

٤٤٤٣

لأن رسول الله ص قال يومئذ من دخل دار أبي سفيان فهو آمن.

### [ ذكر الخبر عن فتح مكة ]

و يجب أن نذكر في هذا الموضوع ملخص ما ذكره الواقدي في كتاب المغازي في فتح مكة فإن الموضوع يقتضيه لقوله ع ما أسلم مسلمكم إلا كرها و قوله يوم أسر أخوك .

٤٤٤٤

١٤- قال محمد بن عمر الواقدي في كتاب المغازي كان رسول الله ص قد هادن قريشا في عام الحديبيه عشر سنين و جعل خزاعه داخله معه و جعلت قريش بنى بكر بن عبد مناه من كنانه داخله معهم و كان بين بنى بكر و بين خزاعه تراث في الجاهليه و دماء و قد كانت خزاعه من قبل حالفت عبد المطلب بن هاشم و كان معها كتاب منه و كان رسول الله ص يعرف ذلك فلما تم صلح الحديبيه و أمن الناس سمع غلام من خزاعه إنسانا من بنى كنانه يقال له أنس بن زعيم الدؤلى (١) ينشد هجاء له في رسول الله ص فضربه فشجه فخرج أنس إلى قومه فأراهم شجته فثار بينهم الشر و تذاكروا أحقادهم القديمه و القوم مجاورون بمكة فاستنجدت بكر بن عبد مناه (٢) قريشا على خزاعه فمن قريش من كره ذلك و قال لا انقض عهد محمد و منهم من خف إليه و كان أبو سفيان أحد من كره ذلك و كان صفوان بن أميه و حويطب بن عبد العزى و مكرز بن حفص

ص: ٢٥٧

(١-١) «الدلي».

(٢-٢) ب: «مناف»، و صوابه في ا، د.

ممن أغان بنى بكر و دسوا إليهم الرجال بالسلاح سرا و بيتوا خزاعه ليلا فأوقعوا بهم فقتلوا منهم عشرين رجلا فلما أصبحوا عاتبوا قريشا فجحدت قريش أنها أعانت بكرا و كذبت فى ذلك و تبرأ أبو سفيان و قوم من قريش مما جرى و شخص قوم من خزاعه إلى المدينه مستصرخين برسول الله ص فدخلوا عليه و هو فى المسجد فقام عمرو بن سالم الخزاعى فأنشده لا هم إنى ناشد محمدا

ثم ذكروا له ما أثار الشر و قالوا له إن أنس بن زميم هجاك و إن صفوان بن أميه و فلانا و فلانا دسوا إلينا رجال قريش مستصرين فبيتونا بمنزلنا بالوتير فقتلونا و جئناك مستصرخين بك فزعموا أن رسول الله ص قام مغضبا يجر رداءه و يقول لا نصرت إن لم أنصر خزاعه فيما أنصر منه نفسى

قلت فصادف ذلك من رسول الله ص إثارا و حبا لنقض العهد لأنه كان يريد أن يفتح مكة و هم بها فى عام الحديبيه فصد ثم هم بها فى عمره القضييه ثم وقف لأجل العهد و الميثاق الذى كان عقده معهم فلما جرى ما جرى على خزاعه اغتتمها.

٤٤٤٥

١٤- قال الواقدى فكتب إلى جميع الناس فى أقطار الحجاز و غيرها يأمرهم أن يكونوا بالمدينه فى رمضان من سنه ثمان للهجره فوافته الوفود و القبائل من كل جهه فخرج من المدينه بالناس يوم الأربعاء لعشر خلون من رمضان فى عشره آلاف فكان المهاجرون سبعمائه و معهم من الخيل ثلاثمائه فرس و كانت الأنصار أربعه آلاف معهم من الخيل خمسمائه و كانت مزينه ألفا فيها من الخيل مائه فرس و كانت أسلم أربعمائه فيها من الخيل ثلاثون فرسا و كانت جهينه ثمانمائه معها خمسون فرسا و من سائر الناس تمام عشره آلاف و هم بنو ضميره و بنو غفار و أشجع و بنو سليم و بنو كعب بن عمرو و غيرهم و عقد للمهاجرين ثلاثه ألويه لواء مع على و لواء مع الزبير و لواء مع سعد بن أبى وقاص و كانت الرايات فى الأنصار و غيرهم و كتم عن الناس الخير فلم يعلم به إلا خواصه و أما قریش بمكة فندمت على ما صنعت بخزاعه و عرفت أن ذلك انقضاء ما بينهم و بين النبى ص من العهد و مشى الحارث بن هشام و عبد الله بن أبى ربيعه إلى أبى سفيان فقالا له إن هذا أمر لا بد له أن يصلح و الله إن لم يصلح لا يروءكم إلا محمد فى أصحابه و قال أبو سفيان قد رأيت هند بنت عتبة رؤيا كرهتها و أظعتها و خفت من شرها قالوا ما رأيت قال رأيت كما رأيت من الحجون يسيل حتى وقف بالخندمه مليا ثم كان ذلك الدم لم يكن فكره القوم ذلك و قالوا هذا شر.

قال الواقدى فلما رأى أبو سفيان ما رأى من الشر قال هذا و الله أمر لم أشهده

ص: ٢٥٩

و لم أغب عنه لا- يحمل هذا إلا على و لا و الله ما شوورت و لا هونت (١) حيث بلغنى و الله ليغزونا محمد إن صدق ظنى و هو صادق و ما لى بد أن آتى محمدا فأكلمه أن يزيد فى الهدنه و يجدد العهد قبل أن يبلغه هذا الأمر قالت قريش قد و الله أصبت و ندمت قريش على ما صنعت بخزاعه و عرفت أن رسول الله ص لا- بد أن يغزوها فخرج أبو سفيان و خرج معه مولى له على راحلتين و أسرع السير و هو يرى أنه أول من خرج من مكة إلى رسول الله ص

٤٤٤٤

١٤- قال الواقدي و قد روى الخبر على وجه آخر و هو أنه لما قدم ركب خزاعه على رسول الله ص فأخبروه بمن قتل منهم قال لهم بمن تهمتكم و طلبتكم قالوا بنو بكر بن عبد مناه قال كلها قالوا لا و لكن تهمتنا بنو نفاثة قصره (٢) و رأسهم نوفل بن معاوية النفاثي فقال هذا بطن من بكر فأنا باعث إلى أهل مكة فسائلهم عن هذا الأمر و مخيرهم فى خصال فبعث إليهم ضممه يخيروهم بين إحدى خلال ثلاث بين أن يدوا خزاعه أو يبرءوا من حلف نفاثة أو ينبذ إليهم على سواء فأتاهم ضممه فخيروهم بين خلال الثلاث فقال قريظه بن عبد عمرو الأعمى أما أن ندى قتلى خزاعه فإننا إن وديناهم لم يبق لنا سبد و لا لبد (٣) و أما أن نبرأ من حلف نفاثة فإنه ليس قبيله تحج هذا البيت أشد تعظيما له من نفاثة و هم حلفاؤنا فلا نبرأ من حلفهم و لكننا ننبذ إليه على سواء فعاد ضممه إلى رسول الله ص بذلك و ندمت قريش أن ردت ضممه بما ردت به

٤٤٤٧

١٤- قال الواقدي و قد روى غير ذلك روى أن قريشا لما ندمت على قتل خزاعه و قالت محمد غازينا قال لهم عبد الله بن سعد بن أبى سرح و هو يومئذ كافر مرتد

ص: ٢٦٠

١- ١) ب. «هويت»، و أثبت ما فى ا، د.

٢- ٢) قصره: أى هم دون غيرهم.

٣- ٣) يقال: ما له سيد و لا لبد؛ أى لا قليل و لا كثير.

عندهم أن عندى رأيا أن محمدا ليس يغزوكم حتى يعذر إليكم و يخيركم فى خصال كلها أهون عليكم من غزوه قالوا ما هى قال يرسل إليكم أن تدوا قتلى خزاعه أو تبرءوا من حلف من نقض العهد و هم بنو نفاثه أو ينبذ إليكم العهد فقال القوم أحر بما قال ابن أبى سرح أن يكون فقال سهيل بن عمرو ما خصله أيسر علينا من أن نبرأ من حلف نفاثه فقال شيبه بن عثمان العبدرى حطت أحوالك (١) خزاعه و غضبت لهم قال سهيل و أى قریش لم تلد خزاعه قال شيبه لا و لكن ندى قتلى خزاعه فهو أهون علينا فقال قريظه بن عبد عمرو لا و الله لا نديهم و لا نبرأ عن نفاثه أبر العرب بنا و أعمارهم ليبت ربنا و لكن ننبذ إليهم على سواء فقال أبو سفيان ما هذا بشىء و ما رأى إلا جحد هذا الأمر أن تكون قریش دخلت فى نقض العهد أو قطع مده فإن قطعه قوم بغير هوى منا و لا مشوره فما علينا قالوا هذا هو رأى لا رأى إلا الجحد لكل ما كان من ذلك فقال أنا أقسم أنى لم أشهد و لم أوامر و أنا صادق لقد كرهت ما صنعتم و عرفت أن سيكون له يوم غماس (٢) قالت قریش لأبى سفيان فاخرج أنت بذلك فخرج

٤٤٦٨

١٤- قال الواقدى و حدثنى عبد الله بن عامر الأسلمى عن عطاء بن أبى مروان قال قال رسول الله ص لعائشه صبيحه الليله التى أوقعت فيها نفاثه و قریش بخزاعه بالوتير يا عائشه لقد حدث الليله فى خزاعه أمر فقالت عائشه يا رسول الله أ ترى قریشا تجترئ على نقض العهد بينك و بينهم أ ينقضون و قد أفناهم السيف فقال العهد لأمر يريده الله بهم فقالت خير أم شر يا رسول الله فقال خير

٤٤٦٩

١٤- قال الواقدى و حدثنى عبد الحميد بن جعفر قال حدثنى عمران بن أبى أنس عن ابن عباس قال قام رسول الله ص و هو يجر طرف رداءه و يقول

ص: ٢٦١

١- ١) ب: «إخوانك»، و ما أثبتته من ا، د.

٢- ٢) يوم غموس، أى شديد.

لا نصرت إن لم أنصر بنى كعب يعنى خزاعه فيما أنصر منه نفسى .

٤٤٧٠

١٤- قال الواقدى و حدثنى حرام بن هشام عن أبيه قال قال رسول الله ص لكأنكم بأبى سفيان قد جاءكم يقول جدد العهد و زد فى الهدنه و هو راجع بسخطه و قال لبنى خزاعه عمرو بن سالم و أصحابه ارجعوا و تفرقوا فى الأوديه و قام فدخل على عائشه و هو مغضب فدعا بماء فدخل يغتسل قالت عائشه فأسمعه يقول و هو يصب الماء على رجليه لا نصرت أن لم أنصر بنى كعب

٤٤٧١

١٤,١٥,١- قال الواقدى فأما أبو سفيان فخرج من مكه و هو متخوف أن يكون عمرو بن سالم و رهطه من خزاعه سبقوه إلى المدينه و كان القوم لما رجعوا من المدينه و أتوا الأبواء تفرقوا كما أوصاهم رسول الله ص فذهبت طائفه إلى الساحل تعارض الطريق و لزم بديل بن أم أصرم الطريق فى نفر معه فلقبهم أبو سفيان فلما رأهم أشفق أن يكونوا لقوا محمدا ص بل كان اليقين عنده فقام للقوم منذ كم عهدكم ييثر ب قالوا لا عهد لنا بها فعرف أنهم كتموه فقال أ ما معكم من تمر يثر ب شىء تطعموناه فإن لتمر يثر ب فضلا على تمر تهامه قالوا لا ثم أبت نفسه أن تفر فقال يا بديل هل جئت محمدا قال لا و لكنى سرت فى بلاد خزاعه من هذا الساحل فى قتيل كان بينهم حتى أصلحت بينهم قال يقول أبو سفيان إنك و الله ما علمت بر واصل فلما راح بديل و أصحابه جاء أبو سفيان إلى أبعار إبلهم ففتها فإذا فيها النوى و وجد فى منزلهم نوى من تمر عجوه كأنه ألسنه العصافير فقال أحلف بالله لقد جاء القوم محمدا و أقبل حتى قدم المدينه فدخل على النبى ص فقال يا محمد إني كنت غائبا فى صلح الحديبيه فاشدد العهد و زدنا فى المده فقال رسول الله ص و لذلك قدمت يا أبا سفيان قال نعم قال فهل كان قبلكم حدث

ص: ٢٦٢



فقال معاذ الله فقال رسول الله فنحن على موثقنا و صلحنا يوم الحديبيه لا نغير و لا نبدل فقام من عنده فدخل على ابنته أم حبيبه فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ص طوته دونه فقال أ رغبت بهذا الفراش عنى أم رغبت بى عنه فقالت بل هو فراش رسول الله ص و أنت امرؤ نجس مشرك قال يا بنيه لقد أصابك بعدى شر فقالت إن الله هدانى للإسلام و أنت يا أبت سيد قريش و كبيرها كيف يخفى عنك فضل الإسلام و تعبد حجرا لا يسمع و لا يبصر فقال يا عجا و هذا منك أيضا أ أترك ما كان يعبد آباءى و أتبع دين محمد ثم قام من عندها فلقى أبا بكر فكلمه و قال تكلم أنت محمدا و تجير أنت بين الناس فقال أبو بكر جوارى جوار رسول الله ص ثم لقى عمر فكلمه بمثل ما كلم به أبا بكر فقال عمر و الله لو وجدت السنور تقاتلكم لأعنتها عليكم قال أبو سفیان جزيت من ذى رحم شرا ثم دخل على عثمان بن عفان فقال له إنه ليس فى القوم أحد أمس بى رحما منك فزدنى الهدنه و جدد العهد فإن صاحبك لا- يرد عليك أبدا و الله ما رأيت رجلا قط أشد إكراما لصاحب من محمد لأصحابه فقال عثمان جوارى جوار رسول الله ص فجاء أبو سفیان حتى دخل على فاطمه بنت رسول الله ص فكلمها و قال أجيرى بين الناس فقالت إنما أنا امرأه قال إن جوارك جائز و قد أجارت أختك أبا العاص بن الربيع فأجاز محمد ذلك فقالت فاطمه ذلك إلى رسول الله ص و أبت عليه فقال مرى أحد هذين ابنيك يجير بين الناس قالت إنهما صبيان و ليس يجير الصبى فلما أبت عليه أتى عليا فقال يا أبا حسن أجر بين الناس و كلم محمدا ليزيد فى المده فقال على ع ويحك يا أبا سفیان إن رسول الله ص قد عزم

ألا يفعل و ليس أحد يستطيع أن يكلمه فى شىء يكرهه قال أبو سفیان فما رأى عندك فتشير لأمرى فإنه قد ضاق على فمرنى بأمر ترى أنه نافعى قال على ع و الله ما أجد لك شيئاً مثل أن تقوم فتجیر بین الناس فإنك سيد كنانه قال أ ترى ذلك مغنيا عنى شيئاً قال على إنى لا أظن ذلك و الله و لكنى لا أجد لك غيره فقام أبو سفیان بین ظهري الناس فصاح ألا إنى قد أجرت بین الناس و لا أظن محمداً (١) يحقرنى ثم دخل على رسول الله ص فقال يا محمد ما أظن أن ترد جوارى فقال ع أنت تقول ذلك يا أبا سفیان و يقال إنه لما صاح لم يأت النبى ص و ركب راحلته و انطلق إلى مكة و يروى أنه أيضاً أتى سعد بن عباده فكلمه فى ذلك و قال يا أبا ثابت قد عرفت الذى كان بينى و بينك و إنى كنت لك فى حرمانا جاراً و كنت لى بيثرب مثل ذلك و أنت سيد هذه المدرة فأجر بين الناس و زدنى فى المده فقال سعد جوارى جوار رسول الله ص ما يجير أحد على رسول الله ص فلما انطلق أبو سفیان إلى مكة و قد كان طالت غيبته عن قريش و أبطأ فاتهموه و قالوا نراه قد صبا و اتبع محمداً سرا و كتم إسلامه فلما دخل على هند ليلاً قالت قد احتبست حتى اتهمك قومك فإن كنت جئتهم بنجح فأنت الرجل و قد كان دنا منها ليغشاها فأخبرها الخبر و قال لم أجد إلا ما قال لى على فضربت برجلها فى صدوره و قالت قبحت من رسول قوم

قال الواقدى فحدثنى عبد الله بن عثمان عن أبى سليمان عن أبيه قال لما أصبح أبو سفیان حلق رأسه عند الصنمين أساف و نائله و ذبح لهما و جعل يمسح بالدم رءوسهما و يقول لا أفارق عبادتكما حتى أموت على ما مات عليه أبى قال فعل ذلك ليبرئ نفسه مما اتهمته قريش به

ص: ٢٦٤

(١-١) د يجيرنى: (١).

قال الواقدي و قالت قريش لأبي سفيان ما صنعت و ما وراءك و هل جئتنا بكتاب من محمد و زياده فى المده فإننا لا نأمن من أن يغزونا فقال و الله لقد أبى على و لقد كلمت عليه أصحابه فما قدرت على شىء منهم و رمونى بكلمه منهم واحده إلا أن عليا قال لما ضاقت بى الأمور أنت سيد كنانه فأجر بين الناس فناديت بالجوار ثم دخلت على محمد فقلت إني قد أجزت بين الناس و ما أظن محمدا يرد جواري فقال محمد أنت تقول ذاك يا أبا سفيان لم يزد على ذلك قالوا ما زاد على على أن يلعب بك تلعبا قال فو الله ما وجدت غير ذلك.

٤٤٧٣

قال الواقدي فحدثنى محمد بن عبد الله عن الزهرى عن محمد بن جبير بن مطعم قال لما خرج أبو سفيان عن المدينه قال رسول الله ص لعائشه جهزينا و أخفى أمرك.

٤٤٧٤

و قال رسول الله ص

اللهم خذ عن قريش الأخبار و العيون حتى نأتيهم بغته .

٤٤٧٥

و روى أنه قال

اللهم خذ على أبصارهم فلا يرونى إلا بغته و لا يسمعون بى إلا فجأه .

٤٤٧٦

١٤- قال و أخذ رسول الله ص الأنقاب و جعل عليها الرجال و منع من يخرج من المدينه فدخل أبو بكر على عائشه و هى تجهز رسول الله ص تعمل له قمحا سويقا و دقيقا و تمرا فقال لها أ هم رسول الله ص بغزو قالت لا أدرى قال إن كان هم بسفر فأذنينا نتهياً له قالت لا أدرى لعله أراد بنى سليم لعله أراد ثقيفا أو هوازن فاستعجمت (١) عليه فدخل على رسول الله ص فقال يا رسول الله أردت سفرا قال نعم قال أفأجهز قال نعم قال و أين تريد قال قريشا و أخف ذلك يا أبا بكر و أمر رسول الله ص الناس فتجهزوا و طوى عنهم الوجه الذى يريد و قال له أبو بكر يا رسول الله أ و ليس بيننا و بينهم مده فقال إنهم غدروا و نقضوا العهد

ص: ٢٦٥

فأنا غازيهم فاطو ما ذكرت لك فكان الناس بين ظان يظن أنه يريد سليما و ظان يظن أنه يريد هوازن و ظان يظن أنه يريد ثقيفا و ظان يظن أنه يريد الشام و بعث رسول الله ص أبا قتاده بن ربيعي في نفر إلى بطن ليظن الناس أن رسول الله ص قدم أمامه أولئك الرجال لتوجهه إلى تلك الجهة و لتذهب بذلك الأخبار

٤٤٧٧

١٤١- قال الواقدي حدثني المنذر بن سعد عن يزيد بن رومان قال لما أجمع رسول الله ص المسير إلى قريش و علم بذلك من علم من الناس كتب حاطب بن أبي بلتعنه إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ص في أمرهم و أعطى الكتاب امرأه من مزينه و جعل لها على ذلك جعلاً- على أن تبلغه قريشا فجعلت الكتاب في رأسها ثم فتلت عليه قرونها و خرجت به و أتى الخبر إلى النبي ص من السماء بما صنع حاطب فبعث عليا ع و الزبير فقال أدركا امرأه من مزينه قد كتب معها حاطب كتابا يحذر قريشا فخرجا و أدركاها بذي الحليفة فاستنزلاها و التمسوا الكتاب في رحلها فلم يجدا شيئا فقالا لها نحلف بالله ما كذب رسول الله ص و لا كذبنا و لتخرجن الكتاب أو لنكشفنك فلما رأت منهما الجد حلت قرونها و استخرجت الكتاب فدفعته إليهما فأقبلا به إلى رسول الله ص فدعا حاطبا و قال له ما حملك على هذا فقال يا رسول الله و الله إنى لمسلم مؤمن بالله و رسوله ما غيرت و لا بدلت و لكنى كنت امرأ ليس لى فى القوم أصل و لا عشيره و كان لى بين أظهرهم أهل و ولد فصانعتهم فقال عمر قاتلك الله ترى رسول الله ص يأخذ بالأنقاب و تكتب إلى قريش تحذرهم دعنى يا رسول الله أضرب عنقه فإنه قد نافق فقال رسول الله ص

ص: ٢٦٦

و ما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم

٤٤٧٨

١٤- قال الواقدي فلما خرج رسول الله ص من المدينة بالألويه المعقوده و الرايات بعد العصر من يوم الأربعاء لعشر خلون من شهر رمضان لم يحل عقده حتى انتهى إلى الصلصل (١) و المسلمون يقودون الخيل و قد امتطوا الإبل و قدم أمامه الزبير بن العوام في مائتين قال فلما كان بالبيداء نظر إلى عنان السماء فقال إنى لأرى السحاب تستهل (٢) بنصر بنى كعب يعنى خزاعه .

٤٤٧٩

١٤- قال الواقدي و جاء كعب بن مالك ليعلم أى جهه يقصد فبرك بين يديه على ركبته ثم أنشده قضينا من تهامه كل نحب (٣)

قال فتبسم رسول الله ص و لم يزد على ذلك فجعل الناس يقولون و الله ما بين لك رسول الله ص شيئاً فلم تزل الناس كذلك حتى نزلوا بمر الظهران .

٤٤٨٠

قال الواقدي و خرج العباس بن عبد المطلب و مخرمه بن نوفل من مكه يطلبان رسول الله ص ظنا منهما أنه بالمدينه يريدان الإسلام فلقياه بالسقيا .

ص: ٢٦٧

١-١) صلصل: بنواحي المدينة على سبعة أميال منها؛ نزل بها رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم خرج من المدينة إلى مكه عام الفتح. ياقوت.

٢-٢) استهل السحاب؛ إذا كثر انصبابه.

٣-٣) النحب: النذر.

١٤- قال الواقدي فلما كانت الليلة التي أصبح فيها بالجحفة رأى فيها أبو بكر في منامه أن النبي ص و أصحابه قد دنوا من مكة فخرجت عليهم كلبه تهر (١) فلما دنوا منها استلقت على قفاها و إذا أطباؤها (٢) تشخب لبنا فقصها على رسول الله ص فقال ذهب كلبهم و أقبل درهم و هم سائلونا بأرحامهم و أتم لاقون بعضهم فإن لقيتم أبا سفيان فلا تقتلوه قال الواقدي و إلى أن وصل مر الظهران لم يبلغ قريشا حرف واحد من حاله فلما نزل بمر الظهران أمر أصحابه أن يوقدوا النار فأوقدوا عشرة آلاف نار و أجمعت قريش أن يبعثوا أبا سفيان يتجسس لهم الأخبار فخرج هو و حكيم بن حزام و بديل بن ورقاء قال و قد كان العباس بن عبد المطلب قال و سوء صباح قريش و الله إن دخلها رسول الله ص عنوه إنه لهلاك قريش آخر الدهر قال العباس فأخذت بغله رسول الله ص الشهباء فركبتها و قلت ألتمس حظا أو إنسانا أبعثه إلى قريش فيلقوا رسول الله ص قبل أن يدخلها عليهم عنوه فو الله إنى لفى الأراك ليلا- أبتغى ذلك إذ سمعت كلاما يقول و الله إن رأيت كالليله نارا قال يقول بديل بن ورقاء إنها نيران خزاعه جاشها (٣) الحرب قال يقول أبو سفيان خزاعه أذل من أن تكون هذه نيرانها و عسكرها فعرفت صوته فقلت أبا حنظله فعرف صوتي فقال لبيك أبا الفضل فقلت ويحك هذا رسول الله ص فى عشرة آلاف و هو مصبحكم فقال بأبى و أمى فهل من حيله فقلت نعم تركب عجز هذه البغله فأذهب بك إلى رسول الله ص فإنه إن ظفر بك دون ذلك ليقتلنك قال و الله أنا أرى ذلك فركب خلفى و رحل

ص: ٢٦٨

١- (١) تهر: تنبح.

٢- (٢) الأطباء: حلقات الضرع من ذات الخف و الظلف و الحافر.

٣- (٣) جاشها الحرب: أفرعها.

بدليل و حكيم فتوجهت به فلما مررت به على نار من نيران المسلمين قالوا من هذا فإذا رأوني قالوا عم رسول الله ص على بغله رسول الله حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فلما رآني قال من هذا قلت العباس فذهب ينظر فرأى أبا سفيان خلفي فقال أبو سفيان عدو الله الحمد لله الذي أمكن منك بغير عهد و لا عقد ثم خرج يشتد نحو رسول الله ص و ركضت البغله حتى اجتمعنا جميعا على باب قبه رسول الله ص فدخلت و دخل عمر بن الخطاب على أثرى فقال عمر يا رسول الله هذا أبو سفيان عدو الله قد أمكن الله منه بغير عقد و لا- عهد فدعني أضرب عنقه فقلت يا رسول الله إني قد أجرته ثم لزم رسول الله ص فقلت و الله لا ينجيه الليله أحد دوني فلما أكثر عمر فيه قلت مهلا يا عمر فإنه لو كان رجلا من عدى بن كعب ما قلت هذا و لكنه أحد بني عبد مناف فقال عمر مهلا- يا أبا الفضل فو الله لإسلامك كان أحب إلي من إسلام الخطاب أو قال من إسلام رجل من ولد الخطاب لو أسلم فقال رسول الله ص اذهب به فقد أجرناه فليبت عندك حتى تغدو به علينا إذا أصبحت فلما أصبحت غدوت به فلما رآه رسول الله ص قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم لا إله إلا الله قال بأبي أنت ما أحلمك و أكرمك و أعظم عفوك قد كان يقع في نفسي أن لو كان مع الله إله آخر لأغنى قال يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله قال بأبي أنت ما أحلمك و أكرمك و أعظم عفوك أما هذه فو الله إن في النفس منها شيئا بعد قال العباس فقلت ويحك تشهد و قل لا إله إلا الله محمد رسول الله قبل أن تقتل فتشهد و قال العباس يا رسول الله إنك قد عرفت أبا سفيان و فيه الشرف و الفخر فاجعل له شيئا فقال من دخل دار أبي سفيان فهو آمن و من أغلق داره فهو آمن ثم قال خذه فاحبسه بمضييق الوادي إلى خطم الجبل

حتى تمر عليه جنود الله فيراها قال العباس فعدلت به في مضيق الوادي إلى خطم الجبل فحبسته هناك فقال أغدرا يا بني هاشم فقلت له إن أهل النبوه لا يغدرون و إنما حبستك لحاجه قال فهلا بدأت بها أولا فأعلمتنيها فكان أفرخ لروعي ثم مرت به القبائل على قادتها و الكنائب على رياتها فكان أول من مر به خالد بن الوليد في بني سليم و هم ألف و لهم لواءان يحمل أحدهما العباس بن مرداس و الآخر خفاف بن ندبه و رايه يحملها المقداد فقال أبو سفيان يا أبا الفضل من هؤلاء قال هؤلاء بنو سليم و عليهم خالد بن الوليد قال الغلام قال نعم فلما حاذى خالد العباس و أبا سفيان كبر ثلاثا و كبروا معه ثم مضوا و مر على أثره الزبير بن العوام في خمسمائه فيهم جماعه من المهاجرين و قوم من أفناء الناس و معه رايه سوداء فلما حاذاهما كبر ثلاثا و كبر أصحابه فقال من هذا قال هذا الزبير قال ابن أختك قال نعم قال ثم مرت به بنو غفار في ثلاثمائه يحمل رايتهم أبو ذر و يقال إيماء بن رضه فلما حاذوهما كبروا ثلاثا قال يا أبا الفضل من هؤلاء قال بنو غفار قال ما لي و لبني غفار ثم مرت به أسلم في أربعمائه يحمل لواءها يزيد بن الخصيب و لواء آخر مع ناجيه بن الأعجم فلما حاذوه كبروا ثلاثا فسأل عنهم فقال هؤلاء أسلم فقال ما لي و لأسلم ما كان بيننا و بينهم تره قط ثم مرت بنو كعب بن عمرو بن خزاعه في خمسمائه يحمل رايتهم بشر بن سفيان فقال من هؤلاء قال كعب بن عمرو قال نعم حلفاء محمد فلما حاذوه كبروا ثلاثا ثم مرت مزينه في ألف فيها ثلاثه ألويه مع النعمان بن مقرن و بلال بن الحارث و عبد الله بن عمرو فلما حاذوهما كبروا قال من هؤلاء قال مزينه قال يا أبا الفضل ما لي و لمزينه قد جاءتنى تقعقع من شواهقها (١)

ص: ٢٧٠



ثم مرت جهينه في ثمانمائه فيها أربعة ألويه مع معبد بن خالد و سويد بن صخر و رافع بن مكيث و عبد الله بن بدر فلما حاذوه كبروا ثلاثا فسأل عنهم فقيل جهينه ثم مرت بنو كنانه و بنو ليث و ضميره و سعد بن أبي بكر في مائتين يحمل لواءهم أبو واقد الليثي فلما حاذوه كبروا ثلاثا قال من هؤلاء قال بنو بكر قال نعم أهل شؤم هؤلاء الذين غزانا محمد لأجلهم أما و الله ما شوورت فيهم و لا علمته و لقد كنت له كارها حيث بلغني و لكنه أمر حم (١) قال العباس لقد خار الله لك في غزو محمد إياكم و دخلتم في الإسلام كافة ثم مرت أشجع و هم آخر من مر به قبل أن تأتي كتيبه رسول الله ص و هم ثلاثة يحمل لواءهم معقل بن سنان و لواء آخر مع نعيم بن مسعود فكبروا قال من هؤلاء قال أشجع فقال هؤلاء كانوا أشد العرب على محمد قال العباس نعم و لكن الله أدخل الإسلام قلوبهم و ذلك من فضل الله فسكت و قال أ ما مر محمد بعد قال لا و لو رأيت الكتيبه التي هو فيها لرأيت الحديد و الخيل و الرجال و ما ليس لأحد به طاقه فلما طلعت كتيبه رسول الله ص الخضراء طلع سواد شديد و غبره من سنابك الخيل و جعل الناس يمرون كل ذلك يقول أ ما مر محمد بعد فيقول العباس لا حتى مر رسول الله ص يسير على ناقته القصوى بين أبي بكر و أسيد بن حضير و هو يحدثهما و قال له العباس هذا رسول الله ص في كتيبه الخضراء فانظر قال و كان في تلك الكتيبه وجوه المهاجرين و الأنصار و فيها الألويه و الرايات و كلهم منغمسون في الحديد لا- يرى منهم إلا الحدق و لعمر بن الخطاب فيها زجل (٢) و عليه الحديد و صوته عال و هو يزعها فقال يا أبا الفضل من هذا المتكلم قال هذا

ص: ٢٧١

١-١) حم، أى وقع.

٢-٢) زجل، أى صوت.

عمر بن الخطاب قال لقد أمر أمر بنى عدى بعد قله و ذله فقال إن الله يرفع من يشاء بما يشاء و إن عمر ممن رفعه الإسلام و كان فى الكتيبه ألفا دارع و رايه رسول الله ص مع سعد بن عباده و هو أمام الكتيبه فلما حاذاهما سعد نادى يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمه اليوم تسبى الحرمه.

اليوم أذل الله قريشا فلما حاذاهما رسول الله ص ناداه أبو سفيان يا رسول الله أمرت بقتل قومك أن سعدا قال اليوم يوم الملحمه اليوم تسبى الحرمه اليوم أذل الله قريشا و إنى أنشدك الله فى قومك فأنت أبر الناس و أرحم الناس و أوصل الناس فقال عثمان بن عفان و عبد الرحمن بن عوف يا رسول الله إنا لا نأمن سعدا أن يكون له فى قريش صوله فوقف رسول الله ص و ناداه يا أبا سفيان بل اليوم يوم المرحمه اليوم أعز الله قريشا و أرسل إلى سعد فعزله عن اللواء و اختلف فيمن دفع إليه اللواء فقيل دفعه إلى على بن أبى طالب ع فذهب به حتى دخل مكه فغزوه عند الركن و هو قول ضرار بن الخطاب الفهرى و قيل دفعه إلى قيس بن سعد بن عباده و رأى رسول الله ص أنه لم يخرجه عن سعد حيث دفعه إلى ولده فذهب به حتى غزوه بالحجون قال و قال أبو سفيان للعباس ما رأيت مثل هذه الكتيبه قط و لا أخبرنيه مخبر سبحان الله ما لأحد بهؤلاء طاقه و لا يدان لقد أصبح ملك ابن أخيك يا عباس عظيما قال فقلت ويحك إنه ليس بملك و إنها النبوه قال نعم.

قال الواقدي قال العباس فقلت له انج ويحك فأدرك قومك قبل أن يدخل

عليهم فخرج أبو سفيان حتى دخل من كداء و هو ينادى من دخل دار أبي سفيان فهو آمن و من أغلق عليه بابه فهو آمن حتى انتهى إلى هند بنت عتبة فقالت ما وراءك قال هذا محمد في عشره آلاف عليهم الحديد و قد جعل لى أنه من دخل داري فهو آمن و من أغلق عليه بابه فهو آمن و من ألقى سلاحه فهو آمن فقالت قبحك الله من رسول قوم و جعلت تقول ويحكم اقتلوا وافدكم قبحه الله من وافد قوم فيقول أبو سفيان ويحكم لا- تغرنكم هذه من أنفسكم فإنى رأيت ما لم تروا الرجال و الكراع و السلاح ليس لأحد بهذا طاقه محمد في عشره آلاف فأسلموا تسلموا و قال المبرد فى الكامل أمسكت هند برأس أبي سفيان و قالت بس طليعه القوم و الله ما خدشت خدشا يا أهل مكه عليكم الحميت الدسم فاقتلوه قال الحميت الزق المزفت.

قال الواقدى و خرج أهل مكه إلى ذى طوى ينظرون إلى رسول الله ص و انضوى إلى صفوان بن أميه و عكرمه بن أبى جهل و سهيل بن عمرو ناس من أهل مكه و من بنى بكر و هذيل فلبسوا السلاح و أقسموا لا يدخل محمد مكه عنوه أبدا و كان رجل من بنى الدؤل يقال له حماس بن قيس بن خالد الدؤللى لما سمع برسول الله ص جلس يصلح سلاحه فقالت له امرأته لم تعد السلاح قال لمحمد و أصحابه و إنى لأرجو أن أخدمك منهم خادما فإنك إليه محتاجه قالت ويحك لا تفعل لا تقاتل محمدا و الله ليضلن هذا عنك لو رأيت محمدا و أصحابه قال سترين و أقبل رسول الله ص و هو على ناقته القصواء معتجرا (1). يبرد حبره و عليه عمامه سوداء و رايته سوداء و لواؤه أسود حتى وقف بذى طوى و توسط الناس و إن عثنونه ليمس واسطه الرجل أو يقرب منه تواضعا لله حيث رأى ما رأى من الفتح و كثره المسلمين و قال لا عيش إلا عيش الآخره.

ص: ٢٧٣

١ - ١) معتجرا: لابسا.

و جعلت الخيل تعج بذي طوى فى كل وجه ثم ثابت و سكنت و التفت رسول الله ص إلى أسيد بن حضير فقال كيف قال حسان بن ثابت قال فأنشده عدنا خيلنا إن لم تروها

فتبسم رسول الله ص و حمد الله و أمر الزبير بن العوام أن يدخل من كداء و أمر خالد بن الوليد أن يدخل من الليط و أمر قيس بن سعد أن يدخل من كدى و دخل هو ص من أذاخر

٤٤٨٢

١٤- قال الواقدى و حدثنى مروان بن محمد عن عيسى بن عميله الفزارى قال دخل رسول الله ص مكة بين الأقرع بن حابس و عيينه بن حصن .

٤٤٨٣

١٤- قال الواقدى و روى عيسى بن معمر عن عباد بن عبد الله عن أسماء بنت أبى بكر قالت صعد أبو قحافه بصغرى بناته و اسمها قريبه و هو يومئذ أعمى و هى تقوده حتى ظهرت به إلى أبى قيس فلما أشرفت به قال يا بنيه ما ذا ترين قالت أرى سوادا مجتمعاً مقبلاً- كثيرا قال يا بنيه تلك الخيل فانظرى ما ذا ترين قالت أرى رجلاً يسعى بين ذلك السواد مقبلاً و مدبراً قال ذاك الوازع فانظرى ما ذا ترين قالت قد تفرق السواد قال قد تفرق الجيش البيت البيت قالت فنزلت الجارية به و هى ترعب لما ترى فقال يا بنيه لا تخافى فو الله إن أخاك عتيقاً لآثر أصحاب محمد عند محمد قالت و عليها طوق من فضه فاختمه بعض من دخل

ص: ٢٧٤

فلما دخل رسول الله ص مكة جعل أبو بكر ينادى أنشدكم الله أيها الناس طوق أختي فلم يرد أحد عليه فقال يا أخيه احتسبي طوقك فإن الأمانه في الناس قليل .

٤٤٨٤

١٤- قال الواقدي و نهى رسول الله ص عن الحرب و أمر بقتل سته رجال و أربع نسوه عكرمه بن أبي جهل و هبار بن الأسود و عبد الله بن سعد بن أبي سرح و مقيس بن صبابه الليثي و الحويرث بن نفيل و عبد الله بن هلال بن خطل الأدرمي و هند بنت عتبه و ساره مولاه لبني هاشم و قينتين لابن خطل قريبا و قريبه و يقال قرينا و أرنب .

٤٤٨٥

١٤- قال الواقدي و دخلت الجنود كلها فلم تلق حربا إلا خالد بن الوليد فإنه وجد جمعا من قريش و أحابيشها قد جمعوا له فيهم صفوان بن أميه و عكرمه بن أبي جهل و سهيل بن عمرو فمنعوه الدخول و شهروا السلاح و رموه بالنبل و قالوا لا تدخلها عنوه أبدا فصاح خالد في أصحابه و قاتلهم فقتل من قريش أربعة و عشرون و من هذيل أربعة و انهزموا أقبح انهزام حتى قتلوا بالحزوره و هم مولون من كل وجه و انطلقت طائفه منهم فوق رعوس الجبال و اتبعهم المسلمون و جعل أبو سفیان بن حرب و حكيم بن حزام يناديان يا معشر قريش علام تقتلون أنفسكم من دخل داره فهو آمن و من أغلق عليه بابه فهو آمن و من وضع السلاح فهو آمن فجعل الناس يقتحمون الدور و يغلقون عليهم الأبواب و يطرحون السلاح في الطرق حتى يأخذه المسلمون.

قال الواقدي و أشرف رسول الله ص من على ثنيه أذاخر فنظر إلى البارقه فقال ما هذه البارقه أ لم أنه عن القتال قيل يا رسول الله خالد بن الوليد

ص: ٢٧٥

قوتل و لو لم يقاتل ما قاتل فقال قضاء الله خير و أقبل ابن خطل مدججا فى الحديد على فرس ذنوب (١) بيده قناه يقول لا و الله لا يدخلها عنوه حتى يرى ضربا كأفواه المزاد فلما انتهى إلى الخندمه و رأى القتال دخله رعب حتى ما يستمسك من الرعده و مر هاربا حتى انتهى إلى الكعبه فدخل بين أستارها بعد أن طرح سلاحه و ترك فرسه و أقبل حماس بن خالد الدؤلى منهزما حتى أتى بيته فذقه ففتحت له امرأته فدخل و قد ذهبت روحه فقالت أين الخادم التى وعدتني ما زلت منتظرتك منذ اليوم تسخر به فقال دعى هذا و أغلقى الباب فإنه من أغلق بابه فهو آمن قالت ويحك ألم أنهك عن قتال محمد و قلت لك إنى ما رأيت يقاتلكم مره إلا و ظهر عليكم و ما بابنا قال إنه لا يفتح على أحد بابه ثم أنشدها (٢) إنك لو شهدتنا بالخندمه

٤٤٨٦

١٤- قال الواقدى و حدثنى قدامه بن موسى عن بشير مولى المازنيين عن جابر بن عبد الله قال كنت ممن لزم رسول الله ص يومئذ فدخلت معه يوم الفتح من أذاخر فلما أشرف نظر إلى بيوت مكه فحمد الله و أثنى عليه و نظر إلى موضع قبه بالأبطح تجاه شعب بنى هاشم حيث حصر رسول الله ص و أهله ثلاث

ص: ٢٧٦

١- ١) ذنوب. وافر الذنب بالتحريك.

٢- ٢) سيره ابن هشام ٢٧:٤.

سنين و قال يا جابر إن منزلنا اليوم حيث تقاسمت علينا قريش في كفرها قال جابر فذكرت كلاما كنت أسمعه في المدينة قبل ذلك كان يقول منزلنا غدا إن شاء الله إذا فتح علينا مكة في الخيف حيث تقاسموا على الكفر.

قال الواقدي و كانت قبته يومئذ بالأدم ضربت له بالحجون فأقبل حتى انتهى إليها و معه أم سلمه و ميمونه

٤٤٨٧

١٤- قال الواقدي و حدثني معاوية بن عبد الله بن عبيد الله عن أبيه عن أبي رافع قال قيل للنبي ص ألا تنزل منزلك من الشعب قال و هل ترك لنا عقيل من منزل و كان عقيل قد باع منزل رسول الله ص و منازل إخوته من الرجال و النساء بمكة فقيل لرسول الله ص فانزل في بعض بيوت مكة من غير منازلك فأبى و قال لا أدخل البيوت فلم يزل مضطربا بالحجون لم يدخل بيتا و كان يأتي إلى المسجد من الحجون قال و كذلك فعل في عمره القضييه و في حجته

٤٤٨٨

١٤,١- قال الواقدي و كانت أم هانئ بنت أبي طالب تحت هبيرة بن أبي وهب المخزومي فلما كان يوم الفتح دخل عليها حموان لها عبد الله بن أبي ربيعة و الحارث بن هشام المخزوميان فاستجارا بها و قالا نحن في جوارك فقالت نعم أنتما في جوارى قالت أم هانئ فهما عندي إذ دخل على فارس مدجج في الحديد و لا أعرفه فقلت له أنا بنت عم رسول الله فأسفر عن وجهه فإذا على أخي فاعتنقته و نظر إليهما فشهر السيف عليهما فقلت أخي من بين الناس تصنع بي هذا فألقيت عليهما ثوبا فقال أ تجيرين المشركين فحلت دونهما و قلت لا و الله و ابتدئ بي قبلهما قالت فخرج و لم يكد فأغلقت عليهما بيتا و قلت لا تخافا و ذهبت إلى خباء رسول الله ص

ص: ٢٧٧

بالبطحاء فلم أجده و وجدت فيه فاطمه فقلت لها ما لقيت من ابن أُمى على أجرت حموين لى من المشركين فتفلت عليهما ليقتلهما قالت و كانت أشد على من زوجها و قالت لم تجيرين المشركين و طلع رسول الله ص و عليه الغبار فقال مرحبا بفاخته و هو اسم أم هانئ فقلت ما ذا لقيت من ابن أُمى على ما كدت أفلت منه أجرت حموين لى من المشركين فتفلت عليهما ليقتلهما فقال ما كان ذلك له قد أجرنا من أجرت و أمنا من أمنت ثم أمر فاطمه فسكبت له غسلا فاغتسل ثم صلى ثمانى ركعات فى ثوب واحد ملتحفا به وقت الضحى قالت فرجعت إليهما و أخبرتهما و قلت إن شئتما فأقيما و إن شئتما فارجعا إلى منازلكما فأقاما عندى فى منزلى يومين ثم انصرفا إلى منزلهما.

و أتى آت إلى النبى ص فقال إن الحارث بن هشام و عبد الله بن أبى ربيعه جالسان فى ناديهما متفضلان فى الملاء المزعفر فقال لا سبيل إليهما قد أجرناهما.

قال الواقدى و مكث رسول الله ص فى قبه ساعه من النهار ثم دعا براحلته بعد أن اغتسل و صلى فأدريت إلى باب القبه و خرج و عليه السلاح و المغفر على رأسه و قد صف له الناس فركبها و الخيل تمعج (١) ما بين الخندمه إلى الحجون ثم مر و أبو بكر إلى جانبه على راحله أخرى يسير و يحدثه و إذا بنات أبى أحيحة سعيد بن العاص بالبطحاء حذاء منزل أبى أحيحة و قد نشرن شعورهن فلظمن وجوه الخيل بالخمير فنظر رسول الله ص إلى أبى بكر فتبسم و أنشده قول حسان

ص: ٢٧٨

١-١) تمعج: تسرع.



تظل جياتنا متمطرات

تلطمهن بالخمير النساء.

فلما انتهى إلى الكعبه تقدم على راحلته فاستلم الركن بمحجنه و كبر فكبر المسلمون لتكبيره و عجوا بالتكبير حتى ارتجت مكه و جعل رسول الله ص يشير إليهم أن اسكتوا و المشركون فوق الجبال ينظرون ثم طاف بالبيت على راحلته و محمد بن مسلمه آخذ بزمامها و حول الكعبه ثلاثمائه و ستون صنما مرصومه بالرصاص و كان هبل أعظمها و هو تجاه الكعبه على بابها و إساف و نائله حيث ينحرون و يذبحون الذبائح فجعل كلما يمر بصنم منها يشير بقضيب فى يده و يقول **جَاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا** فيقع الصنم لوجهه ثم أمر بهبل فكسر و هو واقف عليه فقال الزبير لأبى سفيان يا أبا سفيان قد كسر هبل أ ما إنك قد كنت منه يوم أحد فى غرور حين تزعم أنه قد أنعم فقال دع هذا عنك يا ابن العوام فقد أرى أن لو كان مع إله محمد غيره لكان غير ما كان.

قال الواقدي ثم انصرف رسول الله ص فجلس ناحيه من المسجد و أرسل بلالا إلى عثمان بن طلحه يأتيه بالمفتاح مفتاح الكعبه فقال عثمان نعم فخرج إلى أمه و هى بنت شيبه فقال لها و المفتاح عندها يومئذ إن رسول الله ص قد طلب المفتاح فقالت أعيذك بالله أن يكون الذى يذهب مأثره قومه على يده فقال فو الله لتأتينى به أو ليأتينك غيرى فيأخذه منك فأدخلته فى حجرتها و قالت أى رجل يدخل يده هاهنا فيبينما هما على ذلك و هو يكلمها إذ سمعت صوت أبى بكر و عمر فى الدار و عمر رافع صوته حين رأى عثمان أبطأ يا عثمان اخرج فقالت أمه خذ المفتاح فلأن تأخذه أنت أحب إلى من أن يأخذه تيم و عدى فأخذه فأتى به رسول الله ص فلما تناوله بسط العباس بن عبد المطلب يده و قال يا رسول الله بأبى أنت اجمع لنا بين السقايه و الحجابيه فقال إنما أعطيك ما ترضون فيه و لا أعطيك ما ترزءون منه

ص: ٢٧٩

قالوا و كان عثمان بن طلحه قد قدم على رسول الله ص مع خالد بن الوليد و عمرو بن العاص مسلما قبل الفتح.

قال الواقدي و بعث رسول الله ص عمر بن الخطاب و معه عثمان بن طلحه و أمره أن يفتح البيت فلا يدع فيه صوره و لا تمثالا إلا صوره إبراهيم الخليل ع فلما دخل الكعبة رأى صوره إبراهيم شيخا كبيرا يستقسم بالأزلام

٤٤٨٩

١٤- قال الواقدي و قد روى أنه أمره بمحو الصور كلها لم يستثن فترك عمر صوره إبراهيم فقال لعمر أ لم آمرك ألا تدع فيها صوره فقال عمر كانت صوره إبراهيم قال فامحها و قال قاتلهم الله جعلوه شيخا يستقسم بالأزلام (١).

قال و محا صوره مريم

٤٤٩٠

١٤- قال و قد روى أن رسول الله ص محا الصور بيده .

٤٤٩١

١٤- روى ذلك ابن أبي ذئب عن عبد الرحمن بن مهران عن عمير مولى ابن عباس عن أسامه بن زيد قال دخلت مع رسول الله ص الكعبة فرأى فيها صورا فأمرني أن آتية في الدلو بماء فجعل يبيل به الثوب و يضرب به الصور و يقول قاتل الله قوما يصورون ما لا يخلقون .

٤٤٩٢

١٤- قال الواقدي و أمر رسول الله ص بالكعبة فأغلقت عليه و معه فيها أسامه بن زيد و بلال بن رباح و عثمان بن طلحه فمكث فيها ما شاء الله و خالد بن الوليد واقف على الباب يذب الناس عنه حتى خرج رسول الله ص فوقف و أخذ بعضادتي (٢) الباب و أشرف على الناس و فى يده المفتاح ثم جعله فى كفه و أهل مكة قيام تحته و بعضهم جلوس قد ليط بهم فقال الحمد لله الذى

ص : ٢٨٠

١- (١) الأزلام: القداح.

٢- (٢) عضادتا الباب: حانبا.

صدق وعده و نصر عبده و هزم الأحزاب وحده ما ذا تقولون و ما ذا تظنون قالوا نقول خيرا و نظن شرا أخ كريم و ابن أخ كريم و قد قدرت فقال إني أقول كما قال أخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم و هو أرحم الراحمين ألا إن كل ربا فى الجاهليه أو دم أو مأثره فهو تحت قدمى هاتين إلا سدانه الكعبه و سقايه الحاج ألا و فى قتيل شبه العمد قتيل العصا و السوط الديه مغلظه مائه ناقيه منها أربعون فى بطونها أولادها إن الله قد أذهب نخوه الجاهليه و تكبرها بآبائها كلكم لآدم و آدم من تراب و أكرمكم عند الله أتقاكم ألا- إن الله حرم مكة يوم خلق السموات و الأرض فهى حرام بحرم الله لم تحل لأحد كان قبل و لا تحل لأحد يأتى بعدى و ما أحلت لى إلا ساعه من النهار قال يقصدها رسول الله ص بيده هكذا لا ينفر صيدها و لا يعضد عضاهها و لا تحل لقطتها إلا لمنشد و لا يختلى خلاها فقال العباس إلا الإذخر يا رسول الله فإنه لا بد منه للقبور و البيوت فسكت رسول الله ص ساعه ثم قال إلا الإذخر فإنه حلال و لا وصيه لوارث و الولد للفراش و للعاهر الحجر و لا يحل لامرأه أن تعطى من مالها إلا بإذن زوجها و المسلم أخو المسلم و المسلمون إخوه يد واحده على من سواهم تتكافأ دماؤهم يسعى بذمتهم أدناهم و يرد عليهم أقصاهم و لا يقتل مسلم بكافر و لا ذو عهد فى عهده و لا يتوارث أهل ملتين مختلفتين و لا تنكح المرأه على عمتها و لا على خالتها و البيئه على من ادعى و اليمين على من أنكر و لا تسافر امرأه مسيره ثلاث إلا مع ذى محرم و لا صلاه بعد العصر و لا بعد الصبح و أنهاكم عن صيام يومين يوم الأضحى و يوم الفطر ثم قال ادعوا لى عثمان بن طلحه فجاء و قد كان رسول الله ص قال له يوما بمكه قبل الهجره و مع عثمان المفتاح لعلك سترى هذا المفتاح بيدي يوما أضعه حيث شئت فقال عثمان لقد هلكت قريش إذا و ذلت فقال ع بل عمرت و عزت قال عثمان فلما دعانى يومئذ و المفتاح بيده ذكرت قوله حين قال فاستقبلته

ببشر فاستقبلني بمثله ثم قال خذوها يا بنى ابي طلحه خالده تالده لا ينزعها منكم الا ظالم يا عثمان ان الله استأمنكم على بيته فكلوا بالمعروف قال عثمان فلما وليت ناداني فرجعت فقال ا لم يكن الذى قلت لك يعنى ما كان قاله بمكه من قبل فقلت بلى أشهد أنك رسول الله ص قال الواقدي و أمر رسول الله ص يومئذ برفع السلاح و قال إلا خزاعه عن بنى بكر إلى صلاه العصر فخبطوهم بالسيف ساعه و هى الساعه التى أحلت لرسول الله ص .

قال الواقدي و قد كان نوفل بن معاويه الدؤلى من بنى بكر استأمن رسول الله ص على نفسه فأمنه و كانت خزاعه تطلبه بدماء من قتلت بكر و قريش منها بالوتير و قد كانت خزاعه قالت أيضا لرسول الله ص إن أنس بن زنيم هجأك فهدر رسول الله ص دمه فلما فتح مكه هرب و التحق بالجبال و قد كان قبل أن يفتح رسول الله ص مكه قال شعرا يعتذر فيه إلى رسول الله ص من جملته أنت الذى تهدى معد بأمره

ص: ٢٨٢

قال الواقدي و كانت كلمته هذه قد بلغت رسول الله ص قبل أن يفتح مكة فنهنهت عنه و كلمه يوم الفتح نوفل بن معاويه الدؤلى فقال يا رسول الله أنت أولى الناس بالعفو و من منا لم يعادك و لم يؤذك و نحن فى جاهليه لا ندرى ما نأخذ و ما ندع حتى هدانا الله بك و أنقذنا بيمينك من الهلكه و قد كذب عليه الركب و كثروا فى أمره عندك فقال رسول الله ص دع الركب عنك أنا لم نجد بتهامه أحدا من ذوى رحم و لا بعيد الرحم كان أبر بنا من خزاعه فاسكت يا نوفل فلما سكت قال رسول الله ص قد عفوت عنه فقال نوفل فداك أبى و أمى.

قال الواقدي و جاءت الظهر فأمر رسول الله ص بلالا أن يؤذن فوق ظهر الكعبه و قریش فى رءوس الجبال و منهم من قد تغيب و ستر وجهه خوفا من أن يقتلوا و منهم من يطلب الأمان و منهم من قد أمن فلما أذن بلال و بلغ إلى قوله أشهد أن محمدا رسول الله ص رفع صوته كأشد ما يكون قال تقول جويريه بنت أبى جهل قد لعمرى رفع لك ذكرك فأما الصلاه فسنصلى و لكن و الله لا نحب من قتل الأحبه أبدا و لقد كان جاء أبى الذى جاء محمدا من النبوه فردها و لم يرد خلاف قومه.

و قال خالد بن سعيد بن العاص الحمد لله الذى أكرم أبى فلم يدرك هذا اليوم

وقال الحارث بن هشام وا شكلاه ليتنى مت قبل هذا اليوم قبل أن أسمع بلالا ينهق فوق الكعبه و قال الحكم بن أبى العاص هذا و الله الحدث العظيم أن يصيح عبد بنى جمع يصيح بما يصيح به على بيت أبى طلحه و قال سهيل بن عمرو إن كان هذا سخطا من الله تعالى فسيغيره و إن كان لله رضا فسيقره و قال أبو سفيان أما أنا فلا أقول شيئا لو قلت شيئا لأخبرته هذه الحصباء قال فأتى جبرئيل ع رسول الله ص فأخبره مقاله القوم.

قال الواقدي فكان سهيل بن عمرو يحدث فيقول لما دخل محمد مكة انقمعت فدخلت بيتي و أغلقتة على و قلت لابنى عبد الله بن سهيل اذهب فاطلب لى جوارا من محمد فإنى لا آمن أن أقتل و جعلت أتذكر أثرى عنده و عند أصحابه فلا أرى أسوأ أثرا منى فإنى لقيته يوم الحديبيه بما لم يلقه أحد به و كنت الذى كاتبه مع حضورى بدر و أحدا و كلما تحركت قریش كنت فيها فذهب عبد الله بن سهيل إلى رسول الله ص فقال يا رسول الله أبى تؤمنه قال نعم هو آمن بأمان الله فليظهر ثم التفت إلى من حوله فقال من لقى سهيل بن عمرو فلا يشدن النظر إليه ثم قال قل له فليخرج فلعمري إن سهيلا له عقل و شرف و ما مثل سهيل جهل الإسلام و لقد رأى ما كان يوضع فيه إن لم يكن له تتابع فخرج عبد الله إلى أبيه فأخبره بمقاله رسول الله ص فقال سهيل كان و الله برا صغيرا و كبيرا و كان سهيل يقبل و يدبر غير خائف و خرج إلى خيبر مع النبى ص و هو على شركه حتى أسلم بالجعرانه

تم الجزء السابع عشر من شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد و يليه الجزء الثامن عشر

- ٤٦ و من كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله ٣
- ٤٧ و من وصيه له عليه السلام للحسن و الحسين عليه السلام لما ضربه ابن ملجم ٥-٦
- ٤٨ و من كتاب له عليه السلام إلى معاوية ١٢
- ٤٩ و من كتاب له عليه السلام إلى معاوية أيضا ١٤
- ٥٠ و من كتاب له عليه السلام إلى أمراءه على الجيوش ١٥
- ٥١ و من كتاب له عليه السلام إلى عمّاله على الخراج ١٩-٢٠
- ٥٢ و من كتاب له عليه السلام إلى أمراء البلاد في معنى الصلاة ٢٢
- و بيان اختلاف الفقهاء في أوقات الصلاة ٢٢-٢٩
- ٥٣ و من كتاب له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي رحمه الله لما ولّاه على مصر ٣٠-٣٧
- ٥٤ و من كتاب له عليه السلام إلى طلحه و الزبير مع عمران بن الحصين الخزاعي ١٣١
- ٥٥ و من كتاب له عليه السلام إلى معاوية ١٣٥
- ٥٦ و من كلام له عليه السلام أوصى به شريح بن هانئ لما جعله على مقدمته إلى الشام ١٣٩
- ٥٧ و من كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة مسيره من المدينة إلى البصره ١٤٠
- ٥٨ و من كتاب له عليه السلام كتبه إلى أهل الأمصار يقصّ فيه ما جرى بينه و بين أهل صفين ١٤١
- ٥٩ و من كتاب له عليه السلام إلى الأسود بن قطبه صاحب جند حلوان ١٤٥
- ٦٠ و من كتاب له عليه السلام إلى العمال الذين يطأ عملهم الجيوش ١٤٧

٦١ و من كتاب له عليه السلام إلى كميل بن زياد النخعيّ و هو عامله على هيت ١٤٩

٦٢ و من كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر مع مالك الأشتر لَمَّا ولاءه ولايتها ١٥١-٢٢٦

٦٣ و من كتاب له عليه السلام إلى أبي موسى الأشعريّ و هو عامله على الكوفة، و قد بلغه عنه تشييطه الناس عن الخروج إليه لما نديهم لحرب أصحاب الجمل ٢٤٦

٦٤ و من كتاب له عليه السلام إلى معاوية جوابا عن كتابه ٢٥٠-٢٥١

ص: ٢٨٦



## فهرس الموضوعات

### فهرس الموضوعات (١)

فصل فى ذكر الآثار الوارده فى حقوق الجار ٨-١١

فصل فى النهى عن ذكر عيوب الناس و ما ورد فى ذلك من الآثار ٣٧-٣٨

فصل فى النهى عن سماع السعاه و ما ورد ذلك من الآثار ٣٩-٤١

رساله الإسكندر إلى أرسطو و رد أرسطو عليه ٥٥-٥٨

فصل فى القضاء و ما يلزمهم، و ذكر بعض نوادرهم ٦١-٦٨

عهد سابور بن أردشير إلى ابنه ٧٤-٧٥

فصل فيما يجب على مصاحب الملك ٧٦-٧٨

فصل فى الكتاب و ما يلزمهم من الآداب ٧٩-٨٠

فصل فى ذكر ما نصحت به الأوائل الوزراء ٨٠-٨٣

ذكر الحجاب و ما ورد فيه من الخبر و الشعر ٩١-٩٦

طرف من أخبار عمر بن عبد العزيز و نزاهته فى خلافته ٩٨-١٠٦

فصل فيما جاء فى الحذر من كيد العدو ١٠٩-١١٠

فصل فى ذكر بعض وصايا العرب ١١٨-١٣٠

عمران بن الحصين ١٣٢

أبو جعفر الإسكافى ١٣٢-١٣٣

شريح بن هانئ ١٣٩

كميل بن زياد و نسبه ١٤٩-١٥٠

ذكر ما طعن به الشيعة فى إمامه أبى بكر و الجواب عنها ١٥٤-٢٢٥

الطعن الأول في ذكر ما طعن به عليه فيه من أمر فدك ١٥٥-١٦٤

الطعن الثاني في قوله: ليتنى كنت سألت رسول الله عند موته عن ثلاثه... ١٦٤-١٦٨

ص: ٢٨٧

---

١-\*) و هي الموضوعات الوارده في شرح نهج البلاغه.

الطعن الثالث فى توليته عمر مع أن رسول الله لم يوله شيئاً من أعماله ١٦٨-١٧٥

الطعن الرابع لتأخيره إنفاذ جيش أسامه ١٧٥-١٩٤

الطعن الخامس بمناسبه أن الرسول عليه السلام لم يوله الأعمال و ولى غيره ١٩٥-٢٠١

الطعن السادس فى أنه لم يعرف الفقه و أحكام الشريعة ٢٠١-٢٠٢

الطعن السابع فى عدم إقامته الحد على خالد بن الوليد و قد قتل مالك بن نويرة ٢٠٢-٢١٤

الطعن الثامن فيما تم من دفنه و عمر مع رسول الله فى بيته، و قد منع الله تعالى الكل من ذلك فى حال حياته ٢١٤-٢١٩

الطعن التاسع فى أنه نص على عمر بالخلافه مخالفاً فى ذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم-بزعمهم ٢١٩-٢٢٠

الطعن العاشر فى أنه سمى نفسه بخليفه رسول الله صلى الله عليه و سلم مع اعترافه بأنه لم يستخلفه ٢٢١

الطعن الحادى عشر فى أمره بحرق الفجاءه السلمى بالنار و قد نهى رسول الله صلى الله عليه و سلم عن ذلك ٢٢٢

الطعن الثانى عشر فى أنه تكلم فى الصلاه قبل التسليم ٢٢٢-٢٢٣

الطعن الثالث عشر فى أنه كتب إلى خالد بن الوليد و هو على الشام يأمره أن يقتل سعد بن عباده-بزعمهم ٢٢٣-٢٢٤

الطعن الرابع عشر فى أنه لما استخلف قطع لنفسه على بيت المال أجره كل يوم ثلاثه دراهم ٢٢٤

الطعن الخامس عشر فى أنه أمر فى خلافته بأن من كان عنده شىء من كلام الله فليأته به، مع أن القرآن قد بان بفصاحته عن

فصاحه البشر ٢٢٤-٢٢٥

أخبار الوليد بن عقبه ٢٢٧-٢٤٥

كتاب معاويه إلى عليّ ٢٥١-٢٥٣

ذكر الخبر عن فتح مكه ٢٥٧-٢٨٤

ص: ٢٨٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ  
الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام  
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية  
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب  
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات  
توسيع عام لفكرة المطالعة  
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية  
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة  
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة  
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات  
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : [www.ghaemiyeh.com](http://www.ghaemiyeh.com)

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ( sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : [www.ghbook.ir](http://www.ghbook.ir)

البريد الإلكتروني : [Info@ghbook.ir](mailto:Info@ghbook.ir)

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز  
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية  
الغمامة اصحمان



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

[www.Ghaemiyeh.com](http://www.Ghaemiyeh.com)

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩